

٢٤٤
٤٠٤
١٦٧
عَصْرُ الْخَلِيقَةِ الْمُقْتَنِي لِأَمْرِ اللَّهِ

٥٣٠ - ٥٥٥ هـ / ١١٢٥ - ١١٦٠ م

رسالة تقدم بها
رعد زهرا ومطر

الى مجلس كلية الآداب - جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير في التاريخ الاسلامي

اشرف
دكتور حسين محمد مجبر

صفر ١٤٠٨ هـ

تشرين الاول ١٩٨٧ م

أشهد بأن أعداد هذه الرسائل جرى تحت إشرافي في جامعه البلد بـ
وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ الأسامي



التوقيع :

المشرف : الدكتور حسين حميد مجيد

التاريخ :

بناءً على التوصيات أُرشح هذه الرسائل للمناقشة .

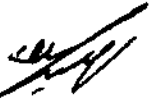


التوقيع :

الاسم : الدكتور فاروق صالح العمر

التاريخ :

نشهد بأمانة أعضاء هيئته المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة ، وقد ناقشنا
النائب في محتوياتها ، ونمنا له عاقبة بها ، وبعثنا بانها جديره بالقبول بتقدير
(النيل درجه ماجستير اداب في التاريخ الاسلامي)



التوقيع :

الاسم : الدكتور تحسين حميد محيد
عضوا " ومشرفا "



التوقيع :

الاسم : الدكتور جاسم مكيان علي
عضوا "



التوقيع

الاسم : الدكتور هجر ناجي
الرئيس



صدقت لمجلس كلية الآداب

التوقيع :

الاسم : الدكتور قحطان عبد الستار الحديثي
عميد كلية الآداب

الإهداء
الى أبي وأمي ...
والى روح أخي الشهيد "عبد الامير"
وفاءً .. واکراماً لهم.

شكر وتقدير

اقدم شكرى وتقديرى الى استاذى الفاضل الدكتور تحسين حميد مجيد *
لتفضله بالاشراف على اعداد هذه الرسالة * ولما بذله من جهد كبير * وما ابداه من
آراء قيمة وملاحظات سديدة اسهمت في اخراج هذا البحث .

كما اتقدم بعظيم شكرى وامتناني لاساتذتي الافاضل * الاستاذ الدكتور
هد الجهار ناجي والدكتور قحطان الحدبثي والدكتور سوادى همد محمد الرويشدى *
والدكتور جاسم صكبان علي والدكتور صلاح الحيدري والدكتور محمد جواد الموسوى لما
بذلوه من جهد لاعدادى لهذه المرحلة .

وانتهز هذه الفرصة لاسجل جزيل شكرى للسيد رئيس قسم التاريخ الدكتور
فاروق العمر لما قدمه من تسهيلات اسهمت في اكمال هذا البحث * والى السيد
شهاب احمد الناصر المدرس في كلية الاداب لتفضله بترجمة بعض النصوص الاجنبية .

ووفاء * اشكر جميع الاخوة الموظفين في المكتبة المركزية ومكتبة كلية الاداب
جامعة البصرة ومكتبة المجمع العلمي العراقي والمكتبة المركزية ومكتبة الدراسات العليا
لجامعة بغداد لما قدموه من مساعدات تذكر .

المحتويات

الصفحة

١	 الاهداء
٢	 شكر وتقدير
٣	 نطاق البحث وتحليل المصادر
١٨	 الفصل الاول : عصر المقتفي السياسي وظروف توليته الخلافة
١٨	 ١- اوضاع العراق والخلافة العباسية قبل تولي المقتفي السلطة
١٨	 الخلافة في ظل التسلط السلجوقي
٣١	 محاولات الخلافة التحررية
٤١	 ٢- المقتفي نشأته وظروف توليه الخلافة
٤١	 اسمه ونسبه
٤٢	 ولادته
٤٣	 نشأته
٤٤	 ثقافته
٤٦	 ظروف توليه الخلافة
٤٩	 بيعته
٥٢	 مشكلة الراشد
٥٩	 الفصل الثاني : دور الخليفة المقتفي في انتهاء التسلط السلجوقي
٥٩	 استغلال الصراع بين السلاجقة
٧٦	 اعادة بناء الجيش
٨١	 تحرير مدن العراق
٨٦	 اصلاح الاوضاع الاقتصادية والمالية
٩٢	 كسب الرأي العام
٩٢	 ١ - كسب العامة
٩٩	 موقف العامة من الخلافة

الصفحة

١٠٣	 موقف العيارين والسطار
١٠٩	 ب - كسب الفقهاء
١١٣	 موقف الفقهاء من الخلافة
١١٩	 الفصل الثالث : علاقة الخلافة بالامارات والدويلات الاسلامية
١٢١	 ١ - علاقة الخلافة مع السلاجقة بعد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م
١٢٥	 ٢ - علاقة الخلافة مع الخوارزميين
١٣٠	 ٣ - آل زنكي في بلاد الشام والموصل
١٤١	 ٤ - الامارة المزيديّة
١٤٥	 ٥ - امارّة البطائح العربيّة
١٥٠	 ٦ - امراء مكة
١٥٥	 الفصل الرابع : التنظيمات في عصر الخليفة المقتفي
١٥٦	 النظام السياسي
١٥٦	 الخلافة
١٥٧	 الوزارة
١٦٤	 شروط اختيار الوزراء
١٦٧	 اسناد منصب الوزارة
١٦٩	 نائب الوزير
١٧١	 النظام الاداري
١٧١	 الامارة على البلدان
١٧٦	 الدواوين
١٧٦	 ١ - ديوان الانشاء
١٧٨	 ٢ - ديوان الزمام
١٨٠	 ٣ - المخزن

الصفحة

١٨٤	 ٤ - ديوان التراكات الحشرية
١٨٥	 ٥ - ديوان الجوالي
١٨٦	 ٦ - ديوان الابنية
١٨٧	 ٧ - ديوان العرض
١٨٨	 الحجابة والحجاب
١٩٣	 نقابة الاشراف
١٩٤	 أ - نقابة العباسيين
١٩٥	 ب - نقابة الطالبين
١٩٧	 استاذ الدار
١٩٩	 الجيش
٢١٠	 القضاء
٢٢٠	 النظر في المظالم
٢٢١	 الحسبة
٢٢٥	 الفصل الخامس : الحياة الثقافية والعلمية
٢٢٨	 ١ - المؤسسات التعليمية
٢٢٨	 أ - المساجد
٢٣٠	 ب - المدارس
٢٣٣	 ج - الكتاتيب
٢٣٤	 د - الدور
٢٣٥	 هـ - الربط
٢٣٧	 ٢ - العلوم الدينية
٢٣٧	 أ - القراءات
٢٤٣	 ب - الحديث
٢٤٨	 ج - الفقه

الصفحة

٢٥٣	 العلوم اللغوية والادبية	٣ -
٢٥٣	 اللغة والنحو	١ -
٢٥٨	 الشعر	ب -
٢٦٧	 التاريخ	٤ -
٢٧٠	 العلوم العقلية	٥ -
٢٧٧	 الرحلة العلمية الى بغداد	٦ -
٢٨٧	 الزهد والتصوف	٧ -
٣٠٢	 مصادر ومراجع البحث	

نطاق البحث وتحليل المصادر

نطاق البحث وتحليل المصادر :

منذ اواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي انتكمت الخلافة العباسية • وبدأت سلطات الخلفاء العباسيين تضعف بفعل سيادة العناصر الاجنبية في الجيش العباسي • وازداد تدخلهم في شؤون الخليفة • ثم جاء البويهيون وتسلطوا على العراق • فسلبوا الخليفة كل سلطة ولم يبقوا على الخلافة الا لاعتبارات سياسية • ثم تلاهم السلاجقة الذين تسلطوا على العراق منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فكررُوا ما فعل البويهيون • واستمرت الخلافة العباسية بالتعثر حتى سقوطها على ايدي الغزاة المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م •

على ان الخلافة العباسية لم تستسلم مطلقا لعوامل الضعف والخور • وظلَّت تناضل من اجل استعادة سلطتها التي سلبها منها المتسلطون الاجانب • وتهيأ لها قادة اكفاء نجحوا بفعل ما تمتعوا به من مقدرة وحكمة • وما بقي لهم من نفوذ روحي • ومساندة جمهور بغداد من استرداد هبة الخلافة • فشهدت هذه الحقبة فترات انتعاش متميزة •

وقد اعتاد معظم الباحثين على اعتبار فترة خلافة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ) / (٨٩٢ - ٩٠١م) والفترة التي تولى فيها الناصر لدين الله الخلافة (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) / (١١٧٩ - ١٢٢٥م) من اكثر هذه الفترات تميزا حيث شهدت انتعاش الخلافة • مهملين بذلك فترة مهمة تقع بين هاتين الفترتين • برزت فيها الخلافة وانتعشت انتعاشا واضحا • وذلك في خلافة المقتضي لامر الله (٥٣٠ - ٥٥٥هـ) / (١١٣٥ - ١١٦٠م) الذي خاض ومن ورائه جمهور بغداد معارك عنيفة مع المتسلطين السلاجقة • من اجل استعادة واحياء نفوذ الخلافة السياسي والاداري ورفض التسلط الاجنبي • واستطاع ان يسدد ضربة قوية موجعة للوجود السلجوقي في العراق • نجح من خلالها في استعادة ما فقدته الخلافة من هبة واحترام طوال عهود التسلط البويهبي والسلجوقي • كما تمكن من تثبيت سلطتها ونفوذها على معظم اجزاء العراق بعد تحريرها من رقبة المتسلطين • فكان عصره بحق بداية لعهد تحرر الخلافة من التسلط الاجنبي • ذلك

العهد الذي مهد لخلفاء آخرين من بعده فرصا للعمل دون ان تكون هناك قسوة
أجنبية تفرض تأثيرها السياسي على الخلافة او تشاركهم سلطاتهم .

ولعل الفترة الطويلة نسبيا ، التي أثر فيها الخليفة المقتفي مسيطرة المتسلطين
السلاجقة في الكثير من سياساتهم الخاطئة في العراق ، وهدم الاحتكاك بهم ^(١) ، قد
تكون احد الاسباب الرئيسة التي حدث ببعض الباحثين الى اهمال هذه الفترة .
الا ان الخليفة ما ان وجد الظروف اكثر ملائمة حتى يبادر الى اعلان ثورته ، منتهجا
بذلك شتى السبل الكفيلة باجتثاث شأقتهم من العراق .

ان صفحات نضال الخليفة المقتفي وكفاحه من اجل تحرير العراق من عنق السلاجقة
واعادة هيبة الخلافة المليئة بالتضحية والفداء ، بقيت طي النسيان ، على حين سلطت
الاضواء على غيره من الخلفاء ممن سبقوه او جاءوا بعده .

وتبدو اهمية دراسة هذا العصر من خلال الدور المميز الذي لعبه المقتفي في
مجابهة السلاجقة وانهاء تسلطهم على العراق على الرغم من الظروف القاسية التي كانت
تمر بها الخلافة العباسية . كما تبدو اهميته من خلال نجاح الخلافة في كسب جمهور
بغداد وما لعبه من دور حاسم في التصدي بحزم للتسلط السلجوقي ، ووقوفهم الراسخ
واستجابتهم لنداءات الخلافة ودفاعهم المستميت عن بغداد . وانتعشت في ظل
هذه الفترة بعض المؤسسات الادارية كنتيجة حتمية لانتعاش الخلافة ، ومنها مؤسسة
الوزارة ، فقد وقف الوزير جنبها الى جنب مع الخليفة المقتفي في مقاومة التسلط
السلجوقي ، وكان له الدور المؤثر والفعال في انهاءه .

وعلى الرغم من عدم استقرار الحياة السياسية نتيجة الصراع بين الخلافة والسلاجقة ،
فقد شهد هذا العصر حركة ثقافية وعلمية ، ازدهرت فيها العلوم الدينية والادبية
واللغوية .

٣٨٤٠٦٦

(١) امتدت هذه الفترة من سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م الى وفاة السلطان مسعود سنة
٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م .

وقد انتظمت هذه الدراسة في خمسة فصول ، غني الفصل الاول منها بدراسة مركزية للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما عانتها الخلافة العباسية ومؤسساتها من عنت السلاجقة في ظل تسلطهم على العراق . كما تضمن الفصل عرضا لمحاولات الخلافة الجادة للتخلص من هذا التسلط وخاصة محاولتي الخليفة المسترشد وابنائه الراشد ، مع محاولة تقويم هاتين المحاولتين واسباب فشلها وكل ذلك امر ضروري بوصفها الفترة التي سبقت العصر موضوع البحث ، ولانها تلقي ضوا على ما اتخذته الخلافة بعدئذ من اجراءات لانهاء الوجود السلجوقي واعادة هبة الخلافة ، لذلك فقد تضمن الفصل ايضا نبذة عن حياة ونشأة وثقافة خليفة العصر موضوع الدراسة ، وظروف توليته الخلافة والمشاكل التي واجهته في سني حكمه الاولى .

وكرس الفصل الثاني لدراسة دور الخليفة المقتفي واجراءاته الرامية لانهاء التسلط السلجوقي في العراق واستعادة نفوذ الخلافة ، كاستغلال الصراع بين السلاطين والامراء السلاجقة الذي ازداد حدة بعد وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م ، ودوره في اعادة بناء الجيش العباسي وتحرير بعض مدن العراق . وجموده في بناء الجبهة الداخلية ، كاصلاح الاوضاع الاقتصادية والمالية ، وكسب العامة بوصفها القوة الشعبية التي كان يلجأ اليها الخلفاء ، وما عند اشتداد الازمات ، والفقهاء الذين كانوا يشكلون سلاحا فاعلا وموثرا بيد الخلافة بما لهم من تأثير معنوي على العامة ، من اجل التفافهم وتأيد هم الخلافة في تدابيرها السياسية وحتى الدينية منها . كما تضمن الفصل عرضا لمواقف هاتين القوتين من الخلافة في صراعها مع المتسلطين الاجانب .

اما الفصل الثالث فقد تناول علاقات الخلافة العباسية السياسية بالامارات والدول الاسلامية ، وموقف السلطة المركزية المتمثلة بالخليفة ومكانته ومدى تأثيره الروحي في العالم الاسلامي ، ومقدار ما بقي له من نفوذ وسيطرة على هذه الامارات والدول ، آخذين بنظر الاعتبار ان هذه العلاقات قد شهدت مرحلتين مهمتين هي فترة ما قبل سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م حيث التسلط السلجوقي وشناحية السلطة والفترة التي اعيست فيها هبة الخلافة بعد سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م . اما الامارات والدول التي بحثت

كتب ابن الجوزي تاريخه مفصلاً على السنين ثم اضاف اليه تراجم لابرز الشخصيات وهو ينتهي بنهاية سنة ٥٧٤ هـ / ١١٢٨ م . قدم خلاله معلومات في غاية الاهمية تناولت تطور الاحداث السياسية وعلاقة الخلافة العباسية بالسلطنة السلجوقية . وموقف عامة بغداد من تلك الاحداث فضلاً عن تقديمه مادة قيمة عن ادارة وموضوع الجيش الذي تم انشاؤه مشيراً الى اعداءه واساليب القتال . ولم ينس ان يقدم لنا معلومات اقتصادية واجتماعية افادت البحث . وعلى العموم فان معلوماته هيات المادة الرئيسية في جميع فصول هذه الرسالة .

وتعد مخطوطة " التذكرة الحمدونية " في جزئها الثاني عشر لابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) من المصادر المهمة التي اعتمدت في هذه الدراسة . فمولفها احد كبار موظفي الدولة . تولى ديوان العرض في عصر المقتفي فترة . كما ان عائلته من البيوتات المعروفة بتقلدها مناصب كتابية^(١) . لذلك فان معلوماته تعد ذات خصوصية معينة على الرغم من تشابه بعض رواياته مع ابن الجوزي . حتى لكانهما ينقلان من مصدر واحد او ينقل احدهما عن الآخر . ولربما كان لمعاصرتهم الاحداث دخل كبير في تشابه معلوماتهما . وكتاب ابن حمدون على الرغم من كونه مختصراً كما صرح بنفسه الا انه قدم معلومات في غاية الاهمية منها معلومات عن ظروف خلع الراشد وتولية المقتفي وحصار بغداد لسنتي ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م و ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م . وعن محاولات الخلافة لتحرير مدن العراق كالحلة وداقوق ومعارك المقتفي مع السلاجقة .

يتبع ابن حمدون في تذكرته التسلسل الزمني للاحداث وغالباً ما ينهيهما بترجمة مركزه لاهم الشخصيات . وتنتهي بنهاية سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م^(٢) . على انسه لم يلتزم كلياً بهذا التسلسل فهو قد خصص جزءاً من تذكرته يذكر تراجم الخلفاء . وكمادة المؤرخين المعاصرين للاحداث . فهو غالباً ما يكون شديد الحذر في ذكر بعض الاحداث منها على سبيل المثال ايجازه الشديد يذكر حصار الجيش السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م .

(١) انظر ص ٢٦٩ .

(٢) انظر الورقة ١٩٣ من التذكرة وهي الورقة الاخيرة من المخطوطة .

ومن عاصروا الاحداث ايضا العماد الاصمبھاني (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م)
الذى سكن بغداد منذ سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م وعاش فيها ، واختص بالوزير عون الدين
بن هبيرة حتى انابة الاخير بواسط ثم بالبصرة . كتب العماد " تاريخ دولته
آل سلجوق " وقدّم فيه معلومات تفصيلية على جانب كبير من الاهمية ، وخاصة عند
حديثه عن اجراءات الخليفة والوزير بعد وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م ،
وعن معارك الخليفة مع السلاجقة ومحاولة السلاجقة احتلال بغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م
كما انفرد بمعلومات لا تتوفر في مصادر اخرى ، ومنها عزل الخليفة لبعض الامراء عن
بعض مدن العراق كدينة هيت والبطائح وغيرها ، وعلى الرغم من اهمية معلوماته
الا ان الذى يقلل من قيمة رواياته اسلوبه السجعى الذى ادى الى ضياع الكثير من
الحقائق التاريخية^(١) . وقد وصلنا الكتاب بصورة مختصرة ، اختصره مؤرخ آخر هو
البندارى (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) .

كما ان كتابه الاخر " خريدة القصر وجريدة العصر " الذى خصصه لتراجم
شعراء القرن السادس الهجرى ، قد افاد البحث بالاطلاع على الحياة الادبيّة
والشعرية في هذا العصر حيث قدّم قائمة بشعراء العراق في هذا العصر ، عززها
بنتاجات شعرهم وانفرد بذكر طائفة منهم عن بقية المصادر المعاصرة الاخرى له . كما
قدّم معلومات عن الحياة الثقافية في بغداد كانتشار الوراقة وازدهار سوق الكتب .
وفي مجال التنظيمات انفرد بذكر طائفة من موظفي الدولة الاداريين في بعض المدن
العراقية كشمس الدين فائق فائق بواسط ومحمد بن احمد الاوانى بدجيل وغيرها .

وقد افاد البحث في تحديد علاقة الخلافة بالزنى وامراء الشام في الفترة
التي تناولتها الدراسة كل من العظمي (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م) في كتابه " التاريخ "
الذى ما يزال مخطوطا^(٢) . فقد انفرد بذكر وفد الخليفة العتقي علي عماد الدين

(١) انظر دراسة الدكتور علي جواد الطاهر عن هذا المؤرخ ضمن بحثه " دراسة
في مصادر الشعر العربي " المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ،
م ٤٤ ، ج ١ ، ١٩٥٦ .

(٢) اتبع العظمي في كتابه التسلسل الزمني للحوادث وانتهى به الى سنة
٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م .

زنكي ، كما كان لابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) في كتابه " ذيل تاريخ دمشق " أهمية في ذكر بعض وفود الخليفة المرسلة الى امراء دمشق وسائر بلاد الشام والجزيرة التي هدفت الى نهذ الخلافات والنزاعات فيما بينهم ، وتوجيه الجبهة العربية الاسلامية في مواجهة الخطر الصليبي . وقد م ايضا بعض الروايات المراقية التي اخذها على ما يظهر من الواقعين على دمشق من بغداد .

وينفرد الفارقي (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢) في كتابه " تاريخ آمد وسيا فارقيين " في الجزء المخطوط منه بمعلومات قيمة على الرغم من قلتها وذلك عن ظروف توليته المقتضي لا نجد ها في مصادر اخرى معاصرة . وقد اخذ معلوماته القليلة هذه من كاتب انشاء الخليفة ابن الانباري اثناء زيارته لبغداد سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م^(١) . وكذلك فان معلوماته تعد موثقة . وقد بذلنا جهدا كبيرا في سبيل الحصول على هذه المخطوطة الا انها لم تجد نفعا . لذلك فقد اعتمدنا على ما نشره امم روز من معلومات عن هذه الفترة في هوامش كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .

ومن المصادر المهمة والاساسية التي اعتمدت في هذه الدراسة كتاب " الكامل في التاريخ " لابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) الذي يشكل مع تاريخ ابن الجوزي مادة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها ، فاحيانا تتشابه معلوماتهما حتى ليظهر وكأنه ينقل عن ابن الجوزي واحيانا اخرى يورد تفصيلات لم ترد عند ابن الجوزي بخاصة فسي حد يشه عن اوضاع السلاجقة ومعارك الخليفة وحرره مع امراء الاطراف وقمعه لبعض حركات التمرد والعصيان في الجبل وبلاد اللحف والبندنجين ، وذكره لعلاقة الخلافة بعماد الدين زنكي وولديه من بعده ، بخاصة في كتابه الاخر " الباهر في الدولة الانابكية " الذي خصصه لهم . وعلى العموم فان ابن الاثير في كتابه قدم المسادة الاساسية للدراسة وافادتها في جميع فصولها .

(١) انظر مقدمة الدكتور بدوي عبد اللطيف في الجزء الذي تم تحقيقه من الكتاب .

وقد تعدد غير قليل من المصادر التاريخية المتأخرة عن المصادر السابقة معلومات مختصرة نقلت معظمها عن ابن الجوزي وابن الاثير والبعض الآخر قد افاد من مصادر اخرى ، افادت البحث في تدقيق وتثبيت المادة التاريخية التي تضمنها كتابا ابن الجوزي وابن الاثير . وقد اتبع بمضى هذه المصادر النظام الحولي مثل " المختصر في اخبار البشر " لابي الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) و " تاريخ مختصر الدول " لابن العبري (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) و " تنمة المختصر " لابن السوردي (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) و " العبر في خبر من غير " و " تاريخ دول الاسلام " للذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) و " المسجد المسبوك والجوهر المحكوك " للفناني (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) . بعضها اتبع نظام الموضوعات كابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٢٨٢ م) الذي قدم معلوماته التاريخية بشكل متسلسل .

وقد مكنت التراجع معلومات تاريخية وادارية وعسكرية فضلا عن افادتها الرسالة بشكل اساسي في مادتها في مجال الحياة الثقافية والعلمية ، ولعل مخطوطة " ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد " لابن الدبيشي الواسطي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) تأتي في مقدمة هذه المصادر ، فقد ضمن تراجمه لشخصيات متعددة معلومات تاريخية وادارية فريدة ، وخاصة في تشكيلات القضاء في بغداد والمناطق الاخرى ، وعن الحجاب وبعض كبار موظفي الدولة ودار الخلافة كاستاذ الدار وغيرهم . كما افاد البحث ايضا في دراسة المؤسسات التعليمية وتقديم مادة قيمة عن العلوم الدينية واللغوية والادبية ، والرحلة العلمية الى بغداد في الفترة موضوع البحث .

اما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٦٦ م) في كتابه " معجم الادباء " فقد افاد البحث بمعلومات هامة عن بعض النحاة واللغويين والادباء والشعراء الذين ارتبطوا بعلاقات مع كبار رجال الدولة ، مثل البديع الاطرلابي وابن الدهان وابن الجواليقي والمؤيد اللوسي وغيرهم .

وافاد ابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) في كتابه " تلخيص مجمع الادباء في معجم الالقب " الدراسة بمعلومات سياسية وادارية عن موضوع الجيوش

قد منها من خلال ترجمته لطائفة من امراء الجيش العباسي الذي انشأ في هذا العصر ، ولمعلوماته اهمية خاصة لانه قد نقل اكثرها من ابن النجار وقثم بن طلحة الزينبي اللذين يعد كتابيهما في عداد المفقودات حاليا ، كما ان خصوصية كتاب الاخير الذي كان من عائلة عباسية تقلدت مناصب رفيعة بالدولة تجعل معلومات ابن الفوطي في الكثير منها موثقة .

ومخطوطة ابن الفجار (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) " التاريخ المجدد لمدنية السلام واخبار فضلائها الاعلام ومن ورد لها من علماء الانام " فهي على الرغم من فقدان اكثرها الا ان ما تبقى منها افاد البحث في دراسة بعض المؤسسات التعليمية ومؤسسات الدولة وتنظيماتها من خلال ترجمته لبعض من تسلم مناصب في الدولة العباسية في الفترة موضوع البحث والذي انفرد بذكر البعض منهم مثل عبد الملك بسن الكيا الهراسي الذي كان على صلة وثيقة بالمقتفي وتسلم منصب حجابة باب النوسي والنظر بالمظالم ، وطلحة بن علي نائب الوزارة ، ووكيل المقتفي ثقة الدولة ابسن الابري الذي بنى المدرسة الثغنية وغيرهم . وقد قدم الدمياطي مختصرا لهذا الكتاب سماه " المستفاد من ذيل تاريخ بغداد " وهو مخطوط ايضا وقد رجعنا اليه في دراسة الحياة الثقافية والعلمية .

كما قدمت كتب التراجم الاخرى معلومات مهمة افادت البحث مثل " وفيات الاعيان " لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) و " المحدثون مشيخ الشعراء " للقطبي (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) و " المختصر المحتاج اليه " للذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) و " الواقفي بالوفيات " للصفدي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) و " فوات الوفيات " لابن شاکر الكشي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .

وزدتنا كتب الطبقات بمعلومات هامة عن العلماء والفقهاء في دراستنا للتنظيمات خاصة في مجال القضاء والحياة الثقافية والعلمية ، ومن هذه الكتب " طبقات الشافعية " للسبكي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) و " الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية " للقرشي (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) وكتاب " ذيل طبقات الحنابلة "

" لابن رجب (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م) الذي ترجم للوزير عون الدين بن هبيرة ترجمة وافية اعتمد فيها على مصادر مفقودة ، و . " الطبقات الكبرى " للشهرستاني (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) الذي ضمن تراجمه طائفة من اراء كبار المتصوفة واصحاب الطرق كابني النجيب السهروردي والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ الرفاعي البطاحي .

ولابد من الاشارة ببعض المراجع الحديثة التي استفاد منها البحث والتي تناولت تاريخ العراق والخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ومنها كتاب " تاريخ العراق في العصر السلجوقي " للاستاذ الدكتور حسين امين ، وكتاب " الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير " للدكتور محمد صالح داود القزاز وكتاب " تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير " للدكتور بدرى محمد فهميد واطروحة الدكتور فاضل الخالدي الموسومة " النظم في العراق في اواخر الدولة العباسية " .

وختاماً فان هذا البحث ما هو الا محاولة لدراسة فترة من تاريخ العراق في ظل التسلط السلجوقي الاجنبي ، ومحاولات الدولة العربية الاسلامية المستمرة على نطاق السلطة والجمهور لمقاومة هذا التسلط وانها وجوده في العراق والتي تكلست جهودها بالنجاح وان اثرها الحاسم في انهاء هذه الفترة .

- الفصل الأول -
عصر المقتفي في السِّيَاسِيَّ
وَضَرْوْف تَوَلِيَّتِهِ الْخِلَافَةِ

الفصل الاول

عصر المقتفي السياسي وظروف توليته الخلافة

يعد عصر الخليفة المقتفي لأمير الله (٥٣٠ هـ - ٥٥٥ هـ) / (١١٣٥ - ١١٦٠ م) أحد الصفحات الهامة والبارزة من تاريخ العراق ، فهو حلقة من حلقات الصراع الطويل الذي خاضته الخلافة العباسية ضد المتسلطين الأجانب . بيد أننا لا نستطيع أن نفهم مجريات الأحداث في عصره فهما صحيحا إلا إذا رجعنا قليلا إلى الوراء لنرى أوضاع العراق والخلافة العباسية في ظل التسلط السلجوقي ، والمحاولات التحررية التي سعى إليها بعض من سبقه من الخلفاء العباسيين ، لأنها أسهمت أسهاما كبيرا في صقل شخصية المقتفي . ولأنها أصبحت الأرضية الصلبة التي استند عليها في مناهضة السلاطين والأمراء السلاجقة التي استفاد منها استفساد قصى ، بحكم كونه قد عاصر جزءا من هذه الأحداث الخطيرة قبل توليه الخلافة .

١ - أوضاع العراق والخلافة العباسية قبل تولي المقتفي السلطة :

الخلافة في ظل التسلط السلجوقي :

كان الغزو البويهي للعراق حدثا تاريخيا بعيد الأثر ، إذ أنه فأنحما عهد السيطرة والتسلط الأجنبي والحكم الدخيل على العراق ^(١) . فقد مارس البويهيون مع الخلفاء أنواعا من التنكيل والعذاب ، واستهتروا بالخلافة ، وشاركوهم بالمعدية من الامتيازات وانشارات الرسمية كالخطبة والسكة وغير ذلك ^(٢) .

- (١) الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٨٦ .
- (٢) عن آثار التسلط البويهي انظر : مسكويه ، تجارب الأمم ، ٢٤ : ٨٦ - ٨٧ .
٣٠٧ ، ٣٩٦ . الروزراوري ، ذيل كتاب تجارب الأمم ، ص ٨٤ - ٨٥ . ابن العلقمي ، الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ٢٨٢ . عبد العزيز - الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٨١ .

وبدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، بدأ عهد جديد آخر من عهود التسلط الاجنبي التعسفي على العراق ، فعلى الرغم من ان مركز الخلافة قد تحسن نسبيا عما كان عليه واستعاد بعض الخلفاء بعض الاحترام في الظاهر على الاقل (١) . الا ان مواقف السلاطين والامراء السلاجقة لم تختلف كثيرا عن مواقف الامراء البويهيين ، فقد بقي الخلفاء العباسيون مسلوبي السلطة قليلي النفوذ في الشؤون السياسية والادارية (٢) .

ولما كان السلاجقة " بدأء لا علم لهم باخبار الملوك وآثارهم " (٣) فقد طبعوا بطابع الخشونة والقسوة ، وحكم كونهم اجانب د خلاء على البلاد ، فقد كان همهم الغلبة والسيطرة (٤) . لذلك لم يترددوا في انتزاع السلطة الدينية من الخلفاء (٥) . وبذلك رسوا للخلفاء ومنذ بداية تسلطهم طريقا واحدا يسيرونهم فيها على وفق ارادتهم وهي النظر في الشؤون الدينية لا غير . ويمكن تلمس ذلك من قول السلطان مسعود (٦) : " عندما اراد بد يلا للخليفة الراشد بعد خلعه " لا اريد ان يلي

(١) القزاز ، محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ، ص ١٢ .

(٢) فوزي ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ص ٨٥ وانظر ايضا :

Lewis, B. "Government, society and economic life under the Abbasids and Fatameds" in the Cambridge Med. History, Vol. IV. p. 655.

(٣) النظامي العروضي السمرقندي ، جهاز مقالة ، ص ٣١ .

(٤) كاهن ، كلود ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٥ .

(٥) رايس ، تامارا ، السلاجقة ، ص ٩٩ .

(٦) السلطان مسعود ، ابو الفتح بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان ، خطب له بالسلطنة سنة ٥٢٧هـ من قبل الخليفة المسترشد بالرغم من وجود اخيه طغرل الذي خطب له من قبل عمه سنجر في خراسان وهمذان ، تميزت فترة سلطنته بكثرة الاضطرابات والفتن ، توفي سنة ٥٤٧هـ . انظر عنه ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ : ٢٠٠ . الراوندي ، راحة الصدور ، وآية السرور ، ص ٣٤٥ وما بعدها . ابن النظام الحسيني ، العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ١١٧ - ١٢٠ .

الامر ، الا رجل لا يدخل نفسه في غير امور الدين * (١) . وعلى هذا الاساس ، فقد استنكر السلاطين السلاجقة على الخلفاء خروجهم لقمع بعض مشيرى الاضطرابات فسي بغداد (٢) . لا بل ارغموهم على التقوقع داخل جدران دار الخلافة رغم انوفهم (٣) .

ان احساس السلاجقة بفضلهم على الخلفاء ، وذلك بارجاعهم الخلافة السي البيت العباسي (٤) بعد القضاء على حركة البساسيري (٥) جعلهم يتدخلون حتى في اختيار الخلفاء وولاية عهدهم (٦) . ولم يكتف السلاجقة بذلك ، بل جرت محاولة من قبل السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥ - ٥٤٨٥هـ) / (١٠٧٢ - ١٠٩٢م) لتغيير الخلافة العباسية ، وذلك عندما عزم ملكشاه على ارقام الخليفة المقتدى (٧) على خلع ابنه الاكبر المستظهر الذي بويع وليا للعهد واحلال ابنه الاصغر الامير جعفر من

- (١) الفارقي ، نبذة من تاريخه ، المنشور في حاشية ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، ص ٢٥١ .
- (٢) انظر تفاصيل ذلك ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٥٣: ٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ٦٥٣: ١٠ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٥٥: ٩ .
- (٤) الفارقي ، نبذة من تاريخه ، ص ٢٥١ .
- (٥) البساسيري ، ابو الحارث ارسلان التركي ، احد قواد بني بويه ، خرج على القائم بامر الله واستطاع ان يخطب للفاطميين ، الا ان طغرليك قتله سنة ٤٥١هـ . انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢١٢: ٨ . ابن خلكان ، وفيات ، ١٩١: ١ - ١٩٢ . الذهبي ، المعبر ، ٢٢٥: ٣ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٢٥: ١٠ . ابن خلكان ، وفيات ، ٢٨٨: ٥ . الفارقي ، نبذة من تاريخه ، ص ٢٥١ . الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١٥٠: ١ .
- (٧) المقتدى ، ابو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين بن القائم ، بويع لـ بالخلافة سنة ٤٧٦هـ بعد وفاة جد ، القائم وتوفي مسموما على يد جاريته سنة ٤٨٧هـ . انظر عنه ابن الجوزي ، المصباح المضي في خلافة المستضي ، ٥٩٣: ١ . ابن دحية ، النبراس في تاريخ بني العباس ، ص ١٤٤ . القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ٢: ١ - ٢ .

زوجته السلجوقية ابنة السلطان ملكشاه " مهملك خاتون " محله (١) . ولما امتنع الخليفة عن تنفيذ ذلك ، ارسل اليه ملكشاه بأمره بضرورة ترك بغداد والانتقال منها ، وقد اذل فيها الخليفة ايما الدلال ، ويبدو ان السلطان كان قد عزم فعلا على خلع المقتدى الا ان وفاته حالت دون ذلك (٢) . ولا غرابة اذا قلنا ان للسلاجقة يد في موت المقتدى المفاجي ، والذي قيل عنه ان توفي مسموما على يد جاريته خمس النهار (٣) . ويبدو ان للمحاولة التي جرت لتحويل الخلافة من المسترشد الى اخيه ابو الحسن ابني المستظهر بالله قبيل وفاة ابيهما كان للسلاجقة يد فيها (٤) خاصة وان " سلاطين السلاجقة لم يكونوا راغبين فيه " (٥) .

واذا ذلك ، فقد اصبح الخليفة في ظل التسلط السلجوقي (٦) ليس لسلته " من الامر الا الاسم لا يتعدى حكمه وراء باية " (٧) . وكان في صورة الامر وهو مأمور في حلية المستولي على الامر وهو مغلوب مقهور (٨) . ويمكن ان نلمس ذلك من مقولته

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص ٢٢٣ (طبعة انقرة) . ابن خلكان ، وفیات ، ٢٨٨ : ٥٥ . الراوندی ، راحة الصدور ، ص ٢١٦ . المستوفي ، القرويني ، تاريخ كريدة ، ص ٣٦٥ . الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١٥٠ : ١١ .

(٢) انظر تفاصيل ذلك ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٢ : ٩٥ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧١ . ابن خلكان ، وفیات ، ٢٨٨ : ٥٥ . ابن دحية ، النهراس ، ص ١٤٤ . ابن الطقطقي ، النهراس ، ص ٢٩٦ . الفارقي ، تاريخ آبد ونيافارقي ، ص ٢٩٥ (القسم الثاني) .

(٣) ابن دحية ، النهراس ، ص ١٤٤ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٤٦ .

(٤) انظر ابن العبراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٨ . ابن أبي عمير ، دول الاعيان ، ص ٤ . ورقة ١٤٣ .

(٥) نظمي زادة افندي ، كلشن خلفاء ، ص ١١٣ .

(٦) يستثنى من ذلك خلافتي المسترشد وابنه الراشد .

(٧) ابن دحية ، النهراس ، ص ١٤٥ . المقرئ ، السلوك لمعركة دول الملوك ، ص ١٤٠ : ١٤١ .

(٨) ابن دحية ، النهراس ، ص ١٤٤ .

الخلافة المسترشد الذي لخص حالة الخلافة العباسية بأبلغ تعبير حينما قال " لقد فوضنا امورنا الى آل سلجوق ، فبغوا علينا فطال الامد ، فقتل قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون " (١) . الامر الذي يؤكد بوضوح على مدى ما كانت تحانيه الخلافة العباسية من فت التسلط الاجنبي الدخيل .

وقد كان للصراعات بين سلاطين السلاجقة وامرائها على العرش (٢) آثار سلبية على مركز الخلافة العباسية بهنداد ، فقد تأثرت بهذه الصراعات ، حتى ان الخلافة كثيرا ما كان يلجأ الى ذكر احد السلاطين المتنازعين بالخطبة ويقطع لخطبة الاخر ، بعد ان تظهر قوة ذلك السلطان في الميدانين العسكري والسياسي (٣) . كما حدث للخليفة المستظهر (٤) في صراع السلطانين محمد وركياروق اولاد ملكفاه (٥) . واذا ما عرفنا ان خطبة بركياروق قد قطعت ست مرات ، ودخل بهنداد ثلاث مرات (٦) ، لتبين لنا مدى مساكناته الخلافة من سوء الاوضاع نتيجة ذلك ، فقد اساء بركياروق هذا الادب في احدى المرات بحق الخليفة حتى اسماه " ما يقبح نقله " (٧) .

(١) النظامي المروزي السمرقندي ، جهار مقاله ، ص ٣٢ .
(٢) من هذه الصراعات انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٥ : احداث سنة ٤٨٧ هـ ، ٤٩٢ هـ ايضا الباهر ، ص ١٢ - ١٣ . الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨٥ - ٨٦ . الراوندي ، راحة الصدر ، ص ٢٢٧ وما بعدها ايضا .
Lewis, op. cit, p. 653.

(٣) حسين امين ، العراق في العصر السلجوقي ، ص ٨٤ .
(٤) المستظهر : ابو العباس احمد بن المقتدي ، هويج بالخلافة سنة ٤٨٧ هـ ، شهد خلافته صراعات حادة بين السلاطين السلاجقة ، لم يحسن استغلالها . ابن السامي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص . ابن الجوزي ، المصباح المضيئ ، ١٥ : ٥٩٤ . القلقشندي ، مآثر الانافسة ، ١٠ : ١٦ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١٣ : ٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٢٨٩ .
(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤٤ : ٩ . ابي الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، ١٢ / ٢٢٩ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٣٢٩ .

ما حدا بالمستظهر الى الاستنجاد بالسلطان محمد لوضع حد لهذه التجاوزات (١) .
 ووصل الامر نتيجة تلك الاوضاع السيئة ان الخطبة في بغداد كانت تقام احيانا
 لسلطانين في الوقت ذاته ، فقد حدث سنة ٤٩٨هـ / ١١٠٤م ان خطب للسلطان
 محمد بالجانب الغربي ولابن اخيه بالجانب الشرقي منها (٢) .

ويرى بعض الباحثين (٣) ان وضع الخلافة قد تحسن من الناحية المادية فسي
 ظل التسلط السلجوقي مما كانت عليه ايام البويهيين . فقد استعاد الخليفة حرته
 في التصرف في املاكه الخاصة ، بعد ان ردت اليه ، الا انها في الوقت نفسه
 اصبحت المعصاة الغليظة التي يهدد بها السلاطين السلاجقة الخلفاء ، كلما لاحت
 منهم رغبة في عدم تنفيذ اوامرهم . فالسلطان طغرل بك حين امتنع عليه القاشم
 بامر الله (٤) من تزويجه ابنته (٥) . امر وزيره بالقض على جميع الاقطاعات التي اقطعت
 له او التي ردت اليه وان لا يترك له شيء (٦) الا ما كان باسم القادر قد يما (٧) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ١٣٠ . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٣٢٩ .
 - (٢) ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٣٨٦ .
 - (٣) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٢٢ . حلي ، كمال الدين ، السلاجقة فسي
 التاريخ ، ص ٢١٧ .
 - (٤) القائم ، ابو جعفر عبد الله بن القادر ، شهدت خلافته عشرين من عصور
 التسلط الاجنبي على العراق ، البويهيين والسلجوقيين ، ترك بغداد سنة
 ٤٤٧هـ ، والتجأ الى العقيليين لمدة سنة ، توفي سنة ٤٨٧ . ابن
 الجوزي ، الصباح المضي ١٥ : ٥٨٨ . ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ،
 ص ٢٠٢ .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ٨ : ٢٢٣ . ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ،
 ١٢ ورقة ٦٥ (م) . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٢٠٠ . الهنداري ،
 تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١ .
 - (٦) انظر تفاصيل ذلك في ابن الجوزي ٨ : ٢٢٤ .
 - (٧) الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢ — ٢٣ .

والرغم من ان بعض السلاطين قد اقطعوا بعض الخلفاء او اضافوا الي
اقطاعاتهم بعض الاقطاعات^(١) ، الا انها كانت عرضة للمصادرة او القبض ، فقد اسر
السلطان مسعود سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م شحنة بغداد بمصادرة املاك الخليفة
المسترشد جميعها واخذ غلاتها^(٢) . ولم يكتف بذلك بل قهضوا على عامل الجوالسي
وضاض العقار ومتولي التركات الحشرية وامروهم بتسليم ما لديهم من اموال^(٣) . ليحرموا
الخلافة من آخر مورد مالي .

وقد تدخل السلاطين السلاجقة في تنصيب وعزل وزراء الخلفاء على وفق
اهوائهم ومصالحهم ، فأصبح الوزير العباسي يعزل بمشيئة السلطان السلجوقي
ففي سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م أمر السلطان ملكشاه بعزل الوزير فخر الد ولسنة^(٤)
بن جهير^(٥) . ولما امتنع الخليفة من ذلك ، جرى من تهديد السلطان وشحنة بغداد
له ما يطول شرحه على حد تعبیر ابن الجوزي^(٦) . ومثل ذلك حدث مع الخليفة
المستظهر سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م عندما عزل وزيره مجد الدين بن المطلب^(٧) بأمر
من السلطان ثم أعيد الى الوزارة بأمر من السلطان ايضا^(٨) .

- (١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٥٦ : ٩٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٨ : ١٥٨ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٤٧ : ١٠٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢٦ / ١١٥ . الباهر
ص ٥٠ . المستوفي القزويني ص ٣٦١ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٤٧ : ١٠٥ .
- (٤) فخر الد ولة : ابو نصر محمد بن محمد بن جهير التغلبي ، استدعاء القاسم
بأمر الله من ميافارقين واستوزره ، توفي ببغداد سنة ٦٨٣ هـ . الفارقي ، تاريخ
ص ١٨١ (القسم المحقق) . الصفي ، الوافي بالوفيات ، ١٢٤ / ١٥ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٣١٧ : ٨ . الفارقي ، تاريخ ، ص ٢٢ (القسم
المحقق) . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ٢٩٤ .
- (٦) انظر تفاصيل ذلك في ابن الجوزي ، ٣١٧ : ٨ - ٣١٨ . البنداري ، تاريخ
دولة آل سلجوق ص ٥٥ .
- (٧) مجد الدين ابو المعالي هبه الله بن محمد ، استوزره المستظهر بعد اسن
جهير ، وكان يتولى ديوان الزمام ، توفي سنة ٥٠٣ هـ . انظر ابن الجوزي ،
المنتظم ، ١٦٥ : ٩٠ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣٠٠ .
- (٨) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٥ : ٤٥٤ .

وعلى الرغم من عدم الغاء السلاجقة لمنصب وزير الخليفة العباسي ، الا انهم لم يسمحوا للوزير من العمل بحرية ^(١) . فحين تضاربت مصالحهم المادية مع اجراءات وزير الخليفة المقتدى ابو شجاع ^(٢) مثلا طالبوا الخلافة بحزله فخري توقيع الخليفة بذلك ^(٣) . ولم يكتفوا بذلك بل طالبوا المقتدى باخراجه من بغداد ^(٤) .

ولم يقتصر هذا التدخل في شؤون الوزارة على السلاطين فحسب بل شاركهم في ذلك وزراءهم ايضا . فقد امر وزير السلطان محمد بن ملكشاه الخليفة المقتدى بحزل وزيره عميد الدولة بن جهير ^(٥) فعزل وقبض عليه وعلى اخوته وصودر من ماله خمسة وعشرون الف دينار ^(٦) .

وقد كانت لميول وزراء السلاطين الشخصية اثر في تنصيب وعزل وزراء الخلفاء ^(٧) . حتى اصبح منصب الوزارة موضع سخيرة وتندر من بعض الشعراء ^(٨) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٢٥٣ ، ٢٥٥ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣٠٥ . كاهن ، كلود ، " الكيان السياسي " ضمن كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٤٠ .
 - (٢) ابو شجاع بن الحسين الروزادري صاحب كتاب ذيل كتاب تجارب الامم . تولى وزارة المقتدى وكان رجلا دينيا خيرا . انظر ابن خلكان ، وفیات ١٣٥٥-١٣٧٠ . السيكي ، طبقات الشافعية ٤٥ : ٥٧٠ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٥٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ١٨٦-١٨٧ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٩٣ .
 - (٥) ابو منصور محمد بن محمد بن محمد بن جهير وترسل للخليفة القاسم والمقتدى الى السلاطين السلاجقة واستوزره المقتدى وفوض اليه الامور . كان حسن التدبير ، كثير الصدقات ، ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٢٩٦ . الصفدي ، الوافي ١٥ : ٢٧٢ . ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ج ٤ ، ص ٩٤٩ .
 - (٦) ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٢٩٨-٢٩٩ . وانظر ابن الجوزي ٩٥ : ١١٤ .
 - (٧) استوزر السلطان محمود عثمان بن نظام الملك ، فارسل الاخير الى المسترشد يطلب فيه عزل وزيره ابن صدقه واستبداله باخيه ابو نصر بن نظام الملك . ولما عزل عثمان من وزارة السلطان ارسل الى الخليفة بحزل ابو نصر . انظر ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٢٣٤-٢٤٦ . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٦٠٢ .
 - (٨) انظر الهند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٩٩ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٢٩٧ .

ولم يقتصر اثر التسلط السلجوقي على الخلافة ومؤسساتها بل تجاوزها الى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، حيث شمل جميع قطاعات المجتمع ، فقد اظهر السلاجقة حقيقتهم كمتسلطين د خلاء لا تهمهم شؤون الناس ، ولا يعنيتهم شئ ، سوى الحصول على اكبر ما يمكن من الاموال . خاصة وانهم قبائل بداءة جبلت على السلب والنهب ^(١) . فهد خول طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م انتشرت عساكرة في سوادها ، وكثر السلب والنهب في الجانب الشرقي منها ^(٢) . وضرب السواد وانجلى اهله ^(٣) . مما ادى الى اختفاء بعض المواد الغذائية وارتفاع اسعار البعض الاخر منها ^(٤) . ولم يقتصر الامر على بغداد فحسب ، بل شمل مناطق اخرى من العراق ، فبعد رحيل السلطان متوجها الى الموصل نهبت اوانسا وهكبرا وتكرت وسائر المناطق الممتدة من بغداد الى الموصل ، الامر الذي سبب تدبير المحاصيل الزراعية ^(٥) .

ونتيجة لاحتياجاتهم الى الاموال ولانتفاعهم السريع ، فقد ابقى السلاجقة سياسة التضمينات ، فقد عقد طغرل بك ضمان بغداد على احد ارباب الاموال سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م بمبلغ كبير جدا ^(٦) . ولما كان المتضمن تاجرا همة

-
- (١) كاهن ، كلود ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٠ .
 - (٢) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ورقة ١٦٠ (م) . العظمي ، تاريخ ، ورقة ١٢٨ أ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ : ١٦٦ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٥٣ ويذكر ان جانبي بغداد قد نهبا .
 - (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ٦١٣ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٥٣ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ : ١٦٦ . الذهبي ، المبر في خبر من غير ، ٣ : ٢١٣ .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ : ١٧٣ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٥٦ .
 - (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٢٦ . الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧ .

الارباح ، فانه سرعان ما اعاد ضرائب المكوس الملغاة^(١) . ومن ناحية اخرى فقد هت السلاجقة بما تعارف عليه الناس من نظام الضرائب ، فقد فرضوا ضرائب شتى ، وخاصة عند ما تشتد حاجاتهم للاموال^(٢) . كما انهم تلاهوا بدور الضرب " السكة " لتنفيذ مآربهم بالحصول على الاموال بطرق غير مشروعة^(٣) ، وذلك بان ضربوا دراهم ودنانير ، وروجوها بين الناس باكثر من قيمتها مما ادى الى الحاق الضرر بالناس^(٤) .

وكان للصراع بين السلاطين السلاجقة اثاره الاقتصادية السيئة على الجمهور ، فمن جراء هذا النزاع افسدت القرى ونهبت ، كما خربت بعض المزارع الاروائية في واسط ، وطريق خراسان^(٥) . والبصرة^(٦) . وذلك تردت احوال الزراعة والفلاحين ، وقد زاد تردى احوالهم اكثر عند ما اصبح النظام الاقطاعي العسكري السياسة الرسمية للسلاجقة^(٧) . فقد اتخذ المقطعون لانفسهم حقوق السيادة على الفلاحين والزراع وفرضوا رسوما جديدة ، وفرضوا السخرة عليهم ووضعوا القيود التي تحد من حركتهم^(٨) . الامر الذي ضج فيه اهل السواد بالشكوى من تردى احوالهم

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٢٦٠ . البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢ .

(٢) القزاز ، المصدر السابق ، ص ١٩ . وانظر :

Cahen, G. pre-ottoman Turkey, p. 47.

(٣) انظر تفاصيل ذلك في البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٤) غنمة ، يوسف ، النقود العباسية ، مجلة سومر ، م ١٠ ، ح ١ ، لسنة ١٩٥٣ ، ص ١٠٣ .

(٥) ابن حمدون ، التذكرة ١٢ ، ورقة ١٩٢ (م) . ابن الجوزى ، المنتظم ، ٩ : ١٣٥ . ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٤٠٢ ، ٤٠٤ . وانظر في هذا الخصوص رسالة الحريري في الاصبهاني ، خريدة القصر وجريدة المصر ، م ٤ ، ح ٢ : ٦٤١ .

(٧) (٨) الدوري ، عبد العزيز ، نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٢٠ ، لسنة ١٩٧٠ ، ص ٢٠ .

المعاشية ، ومعاملة اقطاعيهم اللانسانية لهم^(١) .

وعلى الرغم من ان السلاطين السلاجقة لم يتخذوا منصب امير الامراء او الاستقرار ببغداد^(٢) . الا انهم استحدثوا منصب الشحنة^(٣) الذي كان الاداة الطيبة والمنفذ الاول لسياسة السلاجقة في العراق . وقد كان لوجود هؤلاء في بغداد اثاره السيئة ليس على الخلافة فحسب ، بل على الجمهور بصورة خاصة . وقد تناولت مصادرنا التاريخية الاحمال المتصعبة للانسانية التي مارسها هؤلاء والتي لم يراها فيها حرمة اى من الناس ، خاصتهم وعامتهم^(٤) . فهوصفه ، كان مسوؤلا عن حفظ الامن ومطاردة اللصوص والخارجين على القانون ، فانه كثيرا ما كان يأخذ المستورد بين بحجة المخالفين زيادة منه في رهبتهم ، مما حدا بالناس الى ان يكتروا الهجرة من بغداد الى مناطق اخرى دفعا للظلم والجور^(٥) .

وقد اتخذ البعض من هؤلاء الشحنة هذا المنصب طريقا للغنى الفاحش ، فقد تمكن احد هم من ان يستبد باقطاعات العراق ، كما انه اخذ بمصادرة ارباب الاموال ، حتى ضج الناس ومطلت المعاش^(٦) . ونقل عن احد موظفيه انه قال " جمعت

-
- (١) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٣٢: ٩ . سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ٢٠٩: ٨ . ابن شاکر الکبتي ، هيون التواريخ ، ٤٤١: ١٢ .
- (٢) فاروق عمر فوزى ، الخلافة العباسية ، ص ٨٥ .
- (٣) زبهار ، ادورد فون ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، ص ٣٣٧ .
- (٤) انظر ابن الجوزى ، المنتظم ، ٢٢٨: ٨ ، ٣١٨: ٩ ، ٤٣٥: ٩ ، ٤٢٦: ٩ ، ٤٢٦: ١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٥: ١٦٤ ، ٣٣٧: ٥٤٢ ، ٦٣٦: ١٠ . البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٥٥ ، ص ٢١٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢: ٧٩ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ٤٧ ، ٦١: ١١ .
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٥: ٥٤٢ . البندارى ، تاريخ دولته ، آل سلجوق ، ص ٦١ .

له في العراق الف وثلاثمائة الف دينار مطبوها بالسكة الامامية ، سوى ما كان له من الالات والشباب والدواب والجواهر^(١) .

والى جانب ذلك كانت اعتداءات الجند السلاجقة تتكرر كلما دخل سلاطينهم بغداد ، فينزلوا دور الناس ويرتكبوا ابشع الجرائم في حق اهلها^(٢) . وقد مورست عمليات لانسانية من قبلهم ، وذلك عندما اقدموا على اخراج بعض الناس من دورهم سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م واودوا الحشاب الدور لتدفئة انفسهم^(٣) . كما تجاوزوها الى الاعتداء على حمامات النساء^(٤) . وقد امتد اذاهم حتى على العلماء حيث سحبت حماماتهم البعض منهم من على رؤوسهم^(٥) . ولم يكتف السلاجقة بذلك ، بل خربوا دور وساحل الناس فعلى حين خرب طغرلبيك الدور والمحال والاسواق القريبة من دار المملكة العضدية بالجانب الشرقي لغرض بنائها دار للسلطنة^(٦) ، فان احد وزراءهم امر بتخريب محلة التوشة^(٧) ونقل آلتها لعمارة داره ببغداد^(٨) .

- (١) الهندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦١ . وانظر حول ممتلكات وزير السلطان السلجوقي ابو طالب السميدي ببغداد ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ٩ : ٢٤٠ .
- (٢) انظر ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ : ١٦٩ ، ٩ : ٢٢٨ ، ١٠ : ٢٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٧٠ . الهندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٩٢ .
- (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ : ٢٢٨ .
- (٤) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ : ٢٢٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٨٨ .
- (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ : ٩٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٧٩ .
- (٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ : ١٦٩ .
- (٧) محلة التوشة : محلة من محلات غربي بغداد تقع جنوب محلة التستريين وماب البصرة ، ومقابلة لقنطرة الشوك ، كانت مزدحمة السكان ، انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٢ : ٥٦ . لسترنج ، بغداد فسي
- (٨) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٢٣٩ : ٢٨٠ .

وقد بلغت اعمال السخرة في ظل التسلط السلجوقي حدا من التعسف والظلم لم يراع فيها حرمة للعام او الخاص ، للفقير او الضعيف ، فعند ما اريد بناء دار للسلطنة في بغداد ، استعمل في عمارتها اهل بغداد ، حتى القضاة والاشراف والاميان ، وكان ينقلون الانقاض في طيا السهم ^(١) وقد صور بعض الشعراء الظلم والقهر الذي اثقل به كاهل العراقيين بقوله :

يا صدور الزمان ليس يوفر ما رأينا في نواحي العراق
انما عم ظلمكم سائر الخلق فشابت ذوايب الافاق ^(٢)

محاولات الخلافة التحررية (٥١٢-٥٣٠هـ) / (١١١٨-١١٣٥م) :

ازاء هذه الاوضاع ، ولتأكيد دورهم في الحياة السياسية والادارية قام بعض الخلفاء بمحاولات تفاوتت في اثارها ونتائجها ، فكانت يسيرة في مدلولاتها تارة ، وذات اثر عميق تارة اخرى ^(٣) ، كشفت فيهم روح المعارضة ضد التسلط السلجوقي .

وعلى الرغم من سلبية البعض منها في التطبيق ^(٤) الا انها اعطت مؤشرات

- (١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨ : ٦٩ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩ : ٢٢٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٥٦٩ ، وقد صادف نزول وفر كثير في بغداد وضواحيها .
- (٣) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ : ٢٤٤ . البنداري ، تاريخ دولته آل سلجوق ، ص ٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ١٦٥ ، ٣٣٨ الراوندی راحة الصدور ، ص ٢١٦ وانظر عبد الجبار ناجي ، الامارة المزيديّة ، ص ١٠٠ - ١٠٢ .
- (٤) لجأ القائم الى التهديد بترك بغداد ، ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ٦١٣ .

حية لعدم استسلامهم ونزوحهم في استعادة مركزهم الفعلي ورفض التبعية الاجنبية .
الا ان السلاطين السلاجقة استطاعوا ان يكبحوا جماهم وارغامهم على التعايش
القسري معهم (١) .

وخلال ذلك ايمن الخليفة المسترشد (٥١٢-٥٢٩هـ) / (١١١٨-١١٣٤م)
ان الخلاص من تسلط السلجوقي يكمن اولاً في استعادة حريته في العمل وازالة
ذلك الحاجز الذي بناء المتسلطون الا جانب للحيلولة دون ممارسة الخلفاء الفعلية
لسلطتهم ، السياسية والادارية ، وفي سبيل تحقيق ذلك بدأ خلافته بسلسلة مسن
الامال الاصلاحية على المستويين الاجتماعي (٢) والاقتصادي ، التي كان من شأنها
استقطاب الجمهور وشد هم اليه في معركته مع السلاجقة ، فمن اجل حث اربساب
الاموال واصحاب الاراضي الاقطاعيين ، على رفع الحيف والظلم عن الزراع والفلاحين
بادر الى اسقاط " . . من الاقطاع المختصره كل جور ، وامر ان لا يؤخذ الا ما
جرت به العادة القديمة " (٣) . وتمكن من ناحية اخرى الى رفع القيود عن صناعات
المنسوجات وما كان يلحق بصناعاتها من جور وظلم مرووسهم لهم (٤) . ولكي يحد من
تفاقم ارتفاع اسعار المواد الغذائية ، لجأ الى اسلوب اقتصادي بارع كان القصد
منه تخفيف الضائقة الاقتصادية على الجمهور ، فقد تدخل في تحديد النقد الصحيح ،
كما حدد العلامة بين الدرهم والد ينار لكي يتم التعامل على اساسها (٥) .

- (١) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٥ .
- (٢) انطلاقاً من تدنيه الشديد امر بنقض بيوت الخمر والحانات والاماكن التي
تباع فيها الخمر ، وسحابة اماكن اللهو . انظر ابن الجوزي ، ٩ : ١٩٢ ،
١٨ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٥٤٤ .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٥٤٤ . وانظر فريال المختار ، المنسوجات
العراقية الاسلامية ، ص ١٢٦ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٣٥ : ٩٠ ، القزاز ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

وقد تمكن الخليفة المسترشد فعلا من اثارة الحماس في الجمهور ودعوتهم الى الجهاد ضد دبيس بن صدقة^(١) الذي اصبح مصدر خطر ليس على اهالي بغداد فحسب بل على الخلافة نفسها^(٢) . واستطاع بموازنة اهل بغداد ومعاض امراء الاطراف من الانتصار عليه^(٣) . وقد استفاد المسترشد من هذا الحماس والتجاوب من الجمهور مرة اخرى في تنفيذ مشروعه في بناء سور بغداد^(٤) . في الوقت الذي ادرك فيه ان التفكك داخل العائلة السلجوقية والصراع بينها من اجل السلطنة هو المجال الحيوي لاستغلاله من اجل استرداد هيبة الخلافة^(٥) . فبالقدر الذي حاول فيه المسترشد ابعاد خطر دبيس بن صدقة والملك طغرل السلجوقي^(٦) من الاستيلاء على بغداد وابعاد شبح صراعات السلاجقة عنها ، تراءى للسلطان محمود بان الخليفة قد فعل ذلك نيابة عنه^(٧) . وفي الوقت الذي لجأ فيه دبيس وطفـلـرل

- (١) دبيس بن صدقة : ابو الاعز دبيس الاسدي ، واحد امراء بني مزيد بالحلقة ، تولى الامارة لفترة طويلة من سنة ٥٠١ هـ الى ان قتل سنة ٥٣٠ هـ . انظر ابن خلكان ، وفيات ٢٥ : ٦٠٣ . عبد الجبار ناجي ، الامارة المزيديّة ص ١٢٩ وما بعدها .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٢١٧ ، ٢١٨ . ابن العبراني ، الانباء ص ٢١٣ . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٥٦٥ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٢٣٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ . ابن العبراني ، الانباء ص ٢١٥ . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٦٠٧ ، ٦٠٨ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٣٤٣ ، ٣٤٥ . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٦١١ .
- (٥) بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه ، احتدم الصراع بين ابنه محمود وعمه سنجر من جهة وبين السلطان محمود واخويه مسعود وطفـلـرل . انظر ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٥٤٨ ، ٥٥٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ . عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص ١١٤ . وانظر Muire, The Caliphate, It's Rise, Decline and fall, p. 586
- (٦) التجأ دبيس بعد هزيمته الى المنتفق ثم سار الى دمشق ثم التحق بطفـلـرل . انظر ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٢٠٤ . العظمي ، تاريخ ، ورقة ١١٩٩ . ابن الاثير ، الكامل ١٠٥ : ٦١٠ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ . ابن الاثير ، الكامل ص ١٠ : ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

الى السلطان سنجر^(١) بعد فرارهما ومعد فشل محاولتهما كان المسترشد والسلطان محمود قد عقدا الحزم على توجيه ضربة للسلطان سنجر في خراسان^(٢) . ويظهر ان سنجر قد ادر ك اللعبة التي يلعبها المسترشد باستغلال هذا الصراع ، وقصد زاد من شكوكه شكوى طغرل وديبس من الخليفة ، لذلك ارسل الى السلطان محمود يأمره بتجريد المسترشد من جميع اسباب القوة^(٣) . وتأكدت نوايا المسترشد لدى السلطان محمود . وعندما اراد التوجه الى بغداد ، فمنعه الخليفة من ذلك متعللاً باسباب اقتصادية^(٤) . الا ان السلطان حاصر بغداد واجبر الخليفة على قبول الشروط التي فرضت عليه والتي تقضي بتخليه عن كل ما حصل عليه من قوة ومنعه بذلك عاد الخليفة مرة اخرى الى الخضوع المطلق للسلاجقة بعد قبوله الصلح^(٥) .

على ان المسترشد لم يستسلم ابدا ، واصر على انتزاع حريته وتحرير العراق من رقة المتسلطين بأى ثمن ، لذلك انتهز فرصة خروج السلطان محمود من بغداد ليطالب منه السماح باتخاذ التدابير الامنية لحماية بغداد من هت ديبس^(٦) .

(١) سنجر : ابو الحارث بن ملكشاه بن البارسلان ، تولى السلطنة بمسند وفاة اخيه محمد سنة ٥١١ هـ . بعد ان كان حاكماً على خراسان واتخذ مسن خراسان مقراً لسلطنته ، توفي سنة ٥٥٢ هـ . انظر ابن خلكان ، وفيسات ، ٤٢٧ : ٢ - ٤٢٨ .

(٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٢٥٤ : ٩٥ . المظبي ، تاريخ ، ورقة ٢٠٣ ب .

(٣) انظر تفاصيل ذلك في ابن الجوزى ، المنتظم ، ٢٥٤ : ٩٥ - ٢٥٥ . ولاحظ في ذلك رسالة السلطان سنجر الى ابن اخيه السلطان محمود .

(٤) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٢٥٥ : ٩٥ . ابن العمري ، الانباء ، ص ٢١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٥٣ .

(٥) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ، رنسيان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٢ : ٢٩٠ .

(٦) انظر تفاصيل ذلك في ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠ .

وفات السلطان محمود سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م^(١) ، احتدمت الصراعات بين اخوته من جهة وابنه الذي خطب له بالسلطنة من بعده^(٢) . ويظهر ان موقف المسترشد في هذه المرحلة قد اتسم بالدهاء والمقدرة السياسية ، فبعد ان رفض الخطبة الى اى من تقدم اليها لان " الحكم في الخطبة الى السلطان سنجـر فمن اراد خطب له " في الوقت الذي ارسل فيه الى سنجـر الا ياذن لاحد فـي الخطبة لان الخطبة له وحده ، وكانت غايته الاساسية ، هي لفت انظار المتنازعين الى سلطة سنجـر وابقاعهم في خضم المنازعات^(٣) . والفعل ايقن كل من السلطانين المتنازعين مسعود و سلجوقشاه ، ان استمرار الصراع بينهما سوف يتيح الفرصة لـحـمـهـما سـنـجـر من تبديد امالهم ومصالحتهم ، لذا فقد اتفقا بينهما واشركا الخليفة معهما ، على ان يكون العراق للخليفة وان تكون الخطبة لمسعود ومن بعده لاخيـه سلجوقشاه^(٤) . وفي الوقت الذي خرجوا فيه لتنفيذ ما عزموا عليه ، كان سنجـر قد اغرى دبـيس بن صدقة وحماد الدين زنكي صاحب الموصل بالاستيلاء على بغداد ، ولما احس الخليفة بذلك سار لملاقاتهما واستطاع ان ينزل بهما هزيمة نكراء^(٥) . ولم يكتف المسترشد بهزيمة زنكي بل سار الى الموصل لتأديبه جراء فعلته هذه^(٦) .

-
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٧٠٠ والباهر ، ص ٤٢ . الراوندى ، راحسة الصدور ، ص ٣٠٠ .
- (٢) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٧٤ : ٦٧٥ . البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .
- (٣) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٧٤ . حسين امين ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ — ١٠١ .
- (٤) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٢٥٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٧٦ .
- (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٢٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٧٨ . ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢١٧ .
- (٦) المعظمي ، تاريخ ، ورقة ٢٠٨ ب (م) . ابن الجوزى ، المنتظم .
- ١٠ : ٣٠٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٥٠ .

وعلى الرغم من فشل المسترشد العسكري في حصار الموصل إلا أنه استطاع أن يحصل على نتائج ايجابية في حملته هذه ، فقد جعلته موضع احترام وسهابة من قبل الأمراء والسلاطين السلاجقة الذين قرروا توثيق صلاتهم به (١) .

ويظهر أن المسترشد أراد من سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م أن تكون سنة حسم وانتهاء التسلط السلجوقي على العراق ، وذلك عن طريق ضربهم في عقود أدهم ، ففي هذه السنة حدث ما فكر العلاقة بينه وبين السلطان مسعود الذي عزم على التوجه إلى بغداد ، في الوقت الذي روى فيه الخليفة من قبل بعض الأمراء السلاجقة المخالفين لمسعود واتفقوا معه على قطع خطبة السلطان مسعود وقتاله (٢) .

وفعلا توجه الخليفة إلى همدان لقتاله ، إلا أن محاولته باءت بالفشل وخسر معركته التي انتهت بأسره أولا ومن ثم اغتياله (٣) . يتدبير من السلاجقة والتعاون مع الباطنية (٤) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٣٤٥ ، ٣٦ ، ٤٢٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ١١ : ١٢-١٣ . الباهر ، ص ٤٨ . ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢١٨ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٤٣ . ابن الأثير ، الكامل ، ١١ : ١٢-١٣ . الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١١٧ . ابن القدا ، المختصر ، ٢ : ٩ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٤٩ . ابن الأثير ، الكامل ، ١١ : ٢٧ . ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢٣١ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٤٣ . ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٤٩ . البنداري ، تاريخ آل سلجوق ، ص ١٦٥ . ابن دحية ، النهاس ، ص ١٥٠ . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص ١٥٨ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١١ : ٦١ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣٠٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ح ٨ ، ورقة ٨٧ أ (م) . الراوندي ، راحة الصدور ، ص ٣٠٣ . المستوفي القزويني ، تاريخ كريد ، ص ٣٥٩ . ومن تعاون السلاجقة مع الباطنية في مجالات أخرى انظر ، ابو شامة ، الروضتين ، ١ : ٦٣ . الذهبي ، دول الاسلام ، ٢ : ٤٠ . الخسائي ، المسجد السبوك ، م ٢ ، ورقة ٣٨ ، ٥٢ (م) .

وموج ابنه الراشد ابو جعفر منصور الراشد بالله سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م بعد ورود خبر اغتياله ببغداد (١) . وعلى الرغم من ان السلطان مسعود لم يكن راغبا فسي توليته (٢) . الا انه كاتب شحنته ببغداد ببياضة الخليفة الجدي نيابة عنه (٣) .

انتهر الراشد فرصة مطالبته بمبالغ كبيرة من قبل رسول السلطان مسعود وهزم هذا الاخير على تفتيش دار الخلافة لاخذ المبلغ (٤) . ليعلم عن مطالبته بالثار من قتله المسترشد (٥) . ويبدو ان الراشد قد اتخذ هذه المطالبة وسيلة لانهاء التسلط السلجوقي . فارسل الى عماد الدين زنكي يستدعيه الى بغداد بغية الحصول على مساعدته (٦) . وغيره من الامراء حتى اصبحت بغداد مأوى لكل ناسر ومناهض لمسعود . الامر الذي ايقن فيه الراشد ان الفرصة سانحة لقطع خطبته (٧) . لكن سرعان ما دبت الخلافات بين الامراء بسبب المنافسات والاحقاد بينهم من جهة وبين الراشد من جهة اخرى (٨) . في الوقت نفسه ارسل السلطان مسعود اخاه سلجوقشاه على رأس جيش

-
- (١) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ورقة ٩٠ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٠٠ . ابن الراهب ، تاريخ ، ص ٧٤ .
 - (٢) الفارقي ، نهضة من تاريخه ، ص ٢٥٩ .
 - (٣) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ورقة ٩٠ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٠٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٨٠ . الفسائي ، المسجد المشوك ، م ٢ ورقة ٥٣ (م) .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٤٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٥٠ . الذهبي ، دول الاسلام ، ١٠ : ٥١٠ .
 - (٥) ابن العمري ، الانها ، ص ٢٢٢ . الراوندی ، راحة الصدور ، ص ٣٣١ . الارمني ، خلاصة الذهب المشوك ، ص ٢٧٤ . الذهبي ، دول الاسلام ، ١٠ : ٥١٠ .
 - (٦) ابن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ١٠١ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٠ : ٤٦٠ . ابن تشری بردی ، النجوم ، ٥ : ٥٥٨ .
 - (٧) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٥٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٦٠ . الفسائي ، المسجد المشوك ، م ٢ ورقة ٥٤ (م) .
 - (٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٥٠ - ٥٥٩ . عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص ٥٦ .

لواسط وتمكن من الاستيلاء عليها (١) . سار بعدها مسعود الى بغداد لمحاصرتها ،
مما حدا بالمتحالفين الى اتخاذ موقف المدافع عنها من داخل اسوارها (٢) . وحوصرت
بغداد وجرت معارك بين الطرفين ، انتهت بمعجز المدافعين عنها وخيبة املهم (٣) .
خاصة وان اكثر الامراء اثر الانسحاب من بغداد بعد ازدياد شكوكهم من الخليفة
الراشد (٤) . فأشير على الخليفة بضرورة ترك بغداد والرحيل مع زنكي الى الموصل (٥) .

ان هذه المحاولات وان كانت متفاوتة في امكاناتها وتحقيق جزء من اهدافها
المرجوة على طريق انتهاء التسلط السلجوقي ، وعلى الرغم من استشهاد خليفتين فسي
سهيل تحقيق ذلك الا انها لم يكتب لها النجاح الفعلي لوقوعها في سلسلة اخطاء
كان من الممكن تداركها . فالمسترشد شعر بعد الانتصارات الاولى التي حققها من
جهة واستمرار التفكك داخل السلطنة السلجوقية جراء المنازعات المستمرة من جهة
اخرى جعلته اكثر اندفاعا واقل حذرا كي يستعمل نهاية السلاجقة (٦) . كما
ان اعتداده بنفسه جعلته لم يدرك اللعبة السياسية التي يلعبها السلاطين السلاجقة
في تعاملهم مع القبائل العربية في العراق بخاصة مع الامارة المزديية (٧) ، فعلى الرغم

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٧٠ . المعاضدي ، عهد القادر ، واسط فسي
المصر العباسي ، ص ٩٥ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٧٠ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٢-٥٩ . ابن الاثير ، الباهر ، ص ٥٢ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤١ . ابو
شامة ، الروضتين ، ١ : ٨٠ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤١ . ابن
شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، ١٢ : ٣٠٦ .
- (٦) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٥٠ . فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ،
ص ٨٢ .
- (٧) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٣ .
- (٨) انظر من سياسة السلاجقة مع القبائل العربية ، عهد الجهار ناجي ، الامارة
المزديية ، ص ١٣٥ ، ص ١٤٠ .

من أعمال دبيس بن صدقة المد وانية على بغداد كان من الممكن استمالته الى جانب الخلافة ولو مرحليا للاستفادة من امكانياته العسكرية بدلا من اتخاذها واآخسر^(١) خاصة وان مكانة الخلافة في نظر القبائل العربية كانت محترمة الجانب واضافه الى ان الخليفة كان عربيا من بني العباس الهاشميين ولهذا فهو يمت بصلة النسب العربي الى هذه القبائل التي لابد ان تكون اقرب الى الخلافة العباسية منها الى السلاجقة الغرباء^(٢).

ومن جملة اخطائه اعتماد الكبير على الامراء الاتراك الذين تتحكم بولائهم مستقبلهم المادي والسياسي^(٣). فقد وثق المسترشد ثقة كاملة بوعودهم لمساعدته في الوقوف بوجه السلاجقة بخاصة في حربه مع السلطان مسعود الا ان الاخير استطاع استمالة اكثرهم مما ادى الى عدم التحاقهم بجيش الخليفة اثناء تقدمه باتجاه همدان^(٤) ومن الاخطاء التي يجدر الاشارة اليها هي خروج المسترشد من بغداد سنة ١١٣٤هـ/١١٣٤م فعلى الرغم من نصائح بعض كبار موظفيه وخوادمه بعدم ترك بغداد^(٥) الا انه لم يأبه لنصائحهم تلك وذلك فقد عنصرا مهما واساسيا من

(١) كانت العلاقة بين المسترشد ودبيس في بداية الامر حسنة فقد اخذ البيعة من دبيس كما انه ارسل اليه الى الحلة من يخلع عليه وامره مرة اخرى بالقهص على اخيه ابو الحسن عندما بايع لنفسه. انظر ابن الجوزي المنتظم ٩٨٠: ٩٩٠، ابن الاثير الكامل ١٠٥: ١٠٦، ابن العبراني الانباء ٢١٢.

(٢) فاروق عمر فوزي الخلافة العباسية ص ٨٩. ويذكر الدكتور عبد الجبار ناجي في هذا الصدد ان بالرغم من ان دبيس حاول عدة مرات ان يقف بوجه المسترشد الا ان منزلة الخليفة الدينية كان لها اثر كبير في تثبط عزيمته الامارة الزيدية ص ١٤٤.

(٣) Cahen, op. cit, p. 47.

(٤) ابن الجوزي المنتظم ١٠٥: ١٠٦، ابن حمدون التذكرة ١٢ ورقة ١٨٢ (م) ابى الاثير الكامل ٢٦: ١.

(٥) ابن العبراني الانباء ص ٢١٩، الفارقي نهضة من تاريخه ص ٢٥٠، السبكي طبقات ٤: ٢٩٣.

عناصر قوته العسكرية والمعنوية المتمثلة بالجمهور البغدادي الذي كانت له مواقف
أكدت ارتباطه الوثيق بالخلافة (١).

أما الراشد فقد اتبع خطوات أبيه (٢). ويظهر أنه وقع في أخطائه نفسها
فقد استنجد ببعض الأمراء السلاجقة الذين تقاطروا على بغداد تهاواً فقد أصبح
اجتماع مثل هؤلاء ممن تتباين مصالحهم المادية والسياسية مصدر ضعف وليس مصدر
قوة. فقد جعل بعضهم يشك بنوايا البعض الآخر (٣). مما أدى إلى عدم جديتهم في
القتال. وبالتالي تخلي البعض منهم عن تحالفه ومخادعة بغداد (٤). ومن ناحية
أخرى خلق وجودهم وضعاً مريباً عاشته بغداد حتى "أشرف البلد على النهب وغلا
السعر" (٥). زاد من ذلك تزايد نشاط المياريين والشطار وسهاجتهم الدور والمحلات
وهذا تقوضت دعائم الجبهة الداخلية (٦). التي تعد أحد الركائز الأساسية فسي
تحقيق النصر.

وإذا كان المسترشد والراشد قد سعيا إلى إعادة هيكلة الخلافة وتحرير العراق
من التسلط السلجوقي في وقت غير مناسب على حد تعبير أحد المستشرقين (٧). فسان
استشهادهما (٨) كان إيذاناً بانتهاء التسلط السلجوقي الدخيل في العراق (٩). فقد

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٨: ١٩٢-١٩٣، ٩: ٢٤٣، ١٠: ٢. ابن الأثير،
الكامل، ١٠: ٦٣٧، ١١: ٢٦.

(٢) Muire, op. cit, p. 558

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٥٥، ٥٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٥٨-٥٩. ابن الأثير، الكامل، ١١: ٤١. أبو
شامة، الرضتين، ١: ٨٠.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٥٥.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٥٨. حسين أمين، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٧) كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص ٢٤٥.

(٨) قتل الراشد سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م على باب أصفهان من قبل السلاجقة
بالتنسيق مع الباطنية بعد أن تم خلعهم من قبل السلطان مسعود. انظر
تفاصيل ذلك ص.

(٩) ضيف، د. شوقي، تاريخ الأدب العربي، مصر الدولة والامارات، ص ٢٣٩.

مهدت جهودهما الطريق للمقتفي لان يسدد ضربة قوية للوجود السلجوقي وبالتالي
تحرير العراق .

هذه هي الاوضاع التي نشأ وعاش في ظلها المقتفي وهو امير من امراء البيت
المعاشي التي ساهمت الى حد ما في تكوين شخصيته .

٢ - المقتفي نشأته و ظروف توليه الخلافة :

اسمه ونسبه :

هو محمد بن المستظهر بالله بن المقتدى وكنيته ابو عبد الله (١).
وامه أم ولد حبشية ، اطلق عليها المؤرخون تسميات عديدة (٢) ، منها نسيم او نسيم
المعروفة بست السادة ، زهرة ، مسريد ، بغية النفوس ، نزهة المكاء بست السادة ،
يامي ، باغي . وقد وصفت من قبل بعض المؤرخين بالكرم والافضال (٣) ورجاحة العقل
وحصافة الرأي (٤) . ويبدو ان هذا الاختلاف ناتج من كونها امرأة مخمورة لم تساهم فسي

- (١) العظيمي ، تاريخ ، ورقة ٤٧ أ (مخطوط) . ابن حمدون ، التذكرة
الحمديونية ، ح ١٢ ، ورقة ٩١ (مخطوط) . ابن الجوزي ، المصباح المضي ، في
خلافة المستضي ، ١ : ٥٩٨ . ابن دحية ، النهراس ، ص ١٥٢ .
- (٢) عن هذه التسميات انظر العظيمي ، تاريخ ، ورقة ٤٧ أ . ابن الجوزي ،
المنتظم ، ١٠ : ٦١ . ابن العبراني ، الانباء ، ص ٢٢٥ . ابن الاثير ، الكامل ،
١١ : ٢٥٦ . الباهر ، ١١٤ : ١١٤ . ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٢٨ .
الاريلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ٢٧٠ : ٢٧٠ . ابن تغري بردي ، النجوم
الزاهرة ، ٥ : ٣٣٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢١٠ . ابن
الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص . الصفدي ، الوافي بالوفيات ،
ح ١٥ : ٢٢ (مخطوط) . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨ : ٢٣٤ .
القرماني ، اخبار الدول ، ص ١٢٥ . ابن ابي عذينة ، دول الاعيان ،
٤ : ٢٢٦ (مخطوط) . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ٢ : ٤٠٥ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦١ . الاريلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٢٥ .
ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٢٨ .
- (٤) الغساني ، المسجد المسبوك ، مجلد ٢ من اوراق ٥٥ .

الحياة العامة ، ولم يكن لها تأثير في الحياة السياسية او الاجتماعية حتى يشهـع اسمها كما حدث للخيزران او زبيدة على سبيل الله ، اضافة الى بعض الاخطاء التي وقع فيها النساخ من حيث التنقيط ^(١) وما شابه ذلك . كما هو واضح فـسي " ياغي ، ياغي ونسيم ونسيما " وقد زاد الجوزى من هذا الالتباس حين ذكر فـسي وفيات سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م وفاة " نزهة " المعروفة بست السادة بوصفهم سـا ام المسترشد ^(٢) . وحين ذكر وفاة ام المسترشد سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م ، لم يصرـح باسمها ^(٣) . على الرغم من تأكيد ، على ان الدعوة " ست السادة " هي ام الخليفة المقتفي ^(٤) .

يتفق اغلب المؤرخين على ان ولادة المقتفي سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م ، على الرغم من اختلافهم في تحديد الشهر الذي ولد فيه ، فمنهم من يذكر انه ولد فـسي شهر ربيع الاول في اليوم الثاني ^(٥) ، او الثاني والعشرين ^(٦) ، او الثامن والعشرون منه ^(٧) . على حين ذكر اخرون انه ولد في شهر ربيع الاخر ^(٨) .

- (١) انظر تحسين حميد ، المعتضد بالله ، ص ١٩ .
- (٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٩ : ٢٣١ .
- (٣) المصدر نفسه ، ج ١٠ : ٤١ .
- (٤) المصدر نفسه والجزء ٦١ . ان المسترشد والمقتفي اخوين وليسا شقيقين .
- (٥) ابن حنبل ، التذكرة ، ١٢ ورقة ٩١ (م) . ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٦٠ .
- ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٥٦ . الاربلي ، خلاصة ، ص ٢٥٧ . ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٢٨ . الفسائي ، المسجد المبهوك ، ص ٢٠ ورقة ٥٥ (م) .
- القرماني ، اخبار الدول ، ص ١٢٥ .
- (٦) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ ورقة ٩١ (م) .
- (٧) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٧ .
- (٨) القرماني ، اخبار الدول ، ص ١٢٥ .
- (٩) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٥٦ . الباهر ، ص ١١٤ . الاربلي ، خلاصة ، ص ٢٢٥ . ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٢٨ .

ويبدو ان ولادته حدثت في شهر ربيع الاول ما بين اليوم الثاني والعشرين والثامن والعشرين منه على الأرجح ، لان وفاته حدثت في مستهل شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م عن عمر ناهز الستة والستين الاياما وبالتحديد الاثمانية وعشرين يوما (١) .

نشأته :

اما عن نشأته الاولى فلا توجد لدينا اية معلومات عن حياته الاولى ولا ايسام طفولته او صباه ، الا اشارة وردت عرضا عن زواجه من ابنة نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي التي رآها في ايام خلافة ابيه المستظهر في دار الخلافة ، فطلب من ابيه ان يزوجه اياها (٢) .

ويظهر ان السبب في ندرة المعلومات يعود الى عدم اسهامه في اي نشاط سياسي او اجتماعي او غير ذلك ، قبل توليته الخلافة من جهة ، وللمرحلة المعيشية والحرية التي كانت تمر بها الخلافة العباسية والعراق بصورة عامة خلال هذه الفترة من تسلط القوى الاجنبية وتحكمهم بالعراق ، جعلت المؤرخين — على قلتهم — يتناولون الاحداث الهامة فقط ، وترك ما هو غير مهم في نظرهم ، وخاصة وان المقتفي لم يكن وليا للعهد ، او حتى مرشحا لها . وعلى الرغم من ذلك ، فانه ومن خلال كونه احد امراء البيت العباسي قد عاصر شطرا كبيرا من خلافة والده المستظهر — سر بالله (٣) . وشهد حصار بغداد سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ومقتل اخيه المسترشد سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م وما عقب ذلك من احداث . ويظهر ان هذه الفترة وما رافقها من

-
- (١) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ ورقة ٩١ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٥ : ٢٥٦ . المستوفي القزويني ، تاريخ كريدة ، ص ٣٦٢ . الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٢٥ .
 - (٢) الفارقي ، نبذة من تاريخه ، ص ٢٥١ .
 - (٣) كان المقتفي قد تجاوز سن الثالثة والعشرين عند ما توفي والده المستظهر .

أحداث حرجة وحاسمة قد جعلته أكثر حذرا واتزاناً في تعامله مع السلاجقة على طريق
انتهاء تسلطهم على العراق فيما بعد .

ثقافته :

أولى الخلفاء عنايتهم الفاتحة لتعليم وتأديب أولادهم ، معبرين بذلك عن
تمسكهم الشديد بقيمة العلم وضرورته لتنشئتهم على إدارة الدولة ، حتى أنهم بالغوا
في شروط اختيار العلماء الذين يكلفون بتعليم أولادهم ^(١) . وقد أصبح الامسراء
المباسبون وهم في هذه المرحلة من الأعداد ينهلون شتى صنوف العلم والآداب على
يد كبار العلماء والآدباء .

ويبدو أن المقتفي قد تأدب على مجموعة من العلماء في نشأته الأولى أسوة
بأقرانه من أمراء البيت المباسي ، إلا أنه لم تصلنا أسماء من تأدب عليهم سوى واحد
منهم . وعلى الرغم من ذلك فقد اختلف المؤرخون في شخصيته ، فقد قيل أنه تأدب
على أبي الفرج عبد الوهاب ابن هبة الله بن السبيعي ^(٢) . وقيل بل تأدب على ابنه
أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب ^(٣) . إلا أن الذهبي أزال هذا الالتباس عندنا
صرح بقوله " وأبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السبيعي موصوب المقتفي وقد وهم
من جعل شيخه عبد الوهاب " ^(٤) . ويظهر أن ما ذهب إليه الذهبي هو الأرجح ،

(١) انظر سعيد الديوه جي ، التربية والتعليم في الإسلام ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦٧ : ٩٤ ، ١٠٤ : ٦١ . القفطي ، انهاء الرواء على
انتهاء النجاء ، ٢ : ٢١٨ - ٢١٩ . ابن الديلمي ، ذيل تاريخ مدينة
السلام بغداد ، ح ٣ ورقة ١٧٧ (م) . الخسائي ، المسجد المشهور ،
م ٢ ورقة ٥٥ (م) .

(٣) ابن الجوزي ، المشيخة ، ص ٢٠١ . الصفي ، الوافي بالوفيات ، ٢ : ٩٥ . ابن

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٢٨ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤١ .
(٤) الذهبي ، المشته في الرجال ، ١٤ : ٣٤٧ . الزبيدي ، تاج العروس فسي
جواهر القاموس ، ١ : ٣٥٥ (مادة سيب) .

يوهك ذلك ان المقتفي قد روى الحديث عنه واسمعه بدوره الى الكثيرين ومنهم من روى عنه
عوف الدين بن هبيرة^(١) . وكان ابو البركات من اهل الحديث عالما بالادب والشعر
كثير الافضل على اهل العلم وطلابه^(٢) . ويبدو ان تأثيرات موهبه الى جانب تأثيرات
والدته التي وصفت بالمقل والادب لهما الاثر الواضح في اتجاهات المقتفي العلمية
والادبية ، فقد وصفه بانه " ذو علم وافر " ^(٣) عالم ادب ^(٤) محب للحديث
حافظ له ^(٥) عالم بالصحيح والسقيم منه ^(٦) .

وقد اهتم قبل توليته الخلافة بقراءة القرآن ونسخ كتب العلوم ^(٧) ويبدو
ان اهتمامه هذا استمر حتى بعد توليته الخلافة حتى قيل انه كتب في خلافته ثلاث
ربعات ^(٨) . وبالرغم من قلة ما وردنا من شعره ^(٩) . فانها توهم جانبها مهما من
اهتماماته الادبية وشاعريته ويحتمل ان له شعرا كثيرا الا انه لم يصلنا يوهيد ذلك ابن
واصل ^(١٠) بقوله " وان له شعر حسن " .

- (١) انظر ابن الجوزي ، المشيخة ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ . ابن رجب ، ذيل طبقات
الحنابلة ، ١ : ٢٨٩ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٤٤١٥ . ومن الذين روى
الحديث عن المقتفي ابو منصور ابن الجواليقي العالم اللغوي . انظر القفطسي ،
انباء الرواء ، ٢٤ : ٢١٩ .
- (٢) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٤ : ٢٢٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ١٨٧
وقد تولى وظيفة صاحب المخزن للمستترشد الى حين وفاته ولقبه خالصة الدولة ،
انظر ابن الجوزي ، ٨ : ٩١١ : ٢١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٥٨٧ .
- (٣) الاصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الوافي ، ١ : ٣٥ .
- (٤) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ٥ : ٣٣٣ . اليافعي ، مرآة الجنان ،
٣ : ٣١٠ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤١ .
- (٥) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢ : ٩٥ .
- (٦) ابن دحية ، النبراس ، ص ١٥٧ .
- (٧) الذهبي ، دول الاسلام ، ٢٤ : ٧١ . ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٢٨ .
- (٨) الذهبي ، دول الاسلام ، ٢٤ : ٧١ .
- (٩) انظر ابن العربي ، كتاب محاضر الابرار ، ١٤ : ٣٥٤ . القفطي ، المحمدون من
الشعراء ، ٦٦٥ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ : ١٣٢ .
- (١٠) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ : ١٣٢ .
- (١١) الربعة : مصطلح يتداوله اهل بغداد ، ويعني صندوق فيه اجزاء القرآن . انظر
الزبيدي ، تاج العروس ، ٥ : ٣٤٣ (مادة ربح) .

ظروف توليته الخلافة :

ادرك السلطان مسعود ومنذ الايام الاولى لتولي الراشد الخلافة نزعتـــــــــــــــــه
الاستقلالية ، وان امر سلطنته لا يستقيم بوجوده كخليفة في بغداد ، لذلك عزم على
خلعه واستبداله بخليفة آخر (١) . وقد اكدت الوقائع كما رأينا صدق حدس مسعود ،
وبعد وان مجريات الاحداث اثناء حصار بغداد وهروب الراشد بالله مع عماد الدين
زنكي الى الموصل قد هيأت الظروف والاجواء المناسبة لتنفيذ ذلك ، فقد كان
ترك الخليفة بغداد عاملاً منشطاً وقوياً للسلطان الذي سرعان ما اصبح يمتلك زمام
الامر ببغداد بغياب الراشد . لذلك بادر الى امتصاص نفقة الجمهور عن طريق
اظهاره للعدل وعوده لهم بتحسين اوضاعهم ، وايقاف كل اعمال النهب والسلب ومنع
الجند السلاجقة من النزول بدور الناس (٢) . ولغرض اكمال مخططة القاضي بخلج
الراشد بالله ، امر باستدعاء الفقهاء والقضاة والشهود وامرهم بكتابة محضر فسي
ذم الراشد وما بان من سوء افعاله وقبح سيرته ما لا يجوز شرعاً ان يكون اماماً للامة
فكتب المحضر وشهد بذلك الشهود وحكم قاضي بغداد (٣) بفسقه (٤) . تولى كتابة

- (١) انظر تفاصيل ذلك في الفارقي ، نهضة من تاريخه ، ص ٢٥١ . والى حد ما
ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣٠٨ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤١ . الفسائي ،
المسجد المسبوك ، مجلد ٢ ، ق ١ ، ورقة ٥٥ مخطوط .
- (٣) تولى الحكم قاضي بغداد ابن الكرخي الذي كان ينوب عن قاضي القضاة الذي
التجأ الى الموصل . انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٦٠ . الذهبي ، تاريخ
الاسلام ، ح ٨ ، ورقة ٦٥ ب .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤١ - ٤٢ .
ابن العمري ، الانباء ، ٢٢٢ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ح ٨ ، ورقة
١ ب . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٢٤ . ابن العبري ،
تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٥ .

المحضر الوزير العباسي علي بن طراد الزينبي (١) . ومن المناسب ذكره في هذا المجال هو مدى التأثير الكبير الذي مارسه السلاجقة في بغداد (٢) .

ويذكر بعض المؤرخين رواية أخرى وهي ان السلطان مسعود جمع القضاة والفقهاء وعرض عليهم صورة العهد الذي كتبه الراشد بخط يده والذي ينص " انني متى جندت او خرجت لقتال السلطان ، فقد خلعت نفسي من الامر " فافتي الفقهاء والقضاة بخلمه (٣) .

ان الرواية الاولى تبدو هي الأرجح للاعتبارات الاتية :

١ - ان ابن الجوزي ، وهو شاهد عيان عاصر الاحداث ، قد رجح الرواية الاولى وقال " والاولى اظهر " بالرغم من ذكره كلتا الروایتين (٤) .

٢ - ان خلع الراشد بسبب تمهده للسلطان بعدم التجنيد ، او الخروج عليه قد يكون مبررا امام الفقهاء والقضاة بسبب تعاملهم مع قضية " فقهية " او بسبب ترهيسهم من قبل السلطان او غيره (٥) . الا انه لم يشكل سببا مقنعا بما فيه الكفاية ليوثر في جمهور بغداد الذي الف في هذا العصر خروج بعض الخلفاء لقيادة الجيوش وقتال السلاجقة عن طريق استدعائهم للجهاد . لذلك فقد لجأ السلطان للطعن في سمعة الراشد لفسر في

(١) ابن دحية ، النهراس ، ١٥٢ - ١٥٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٠ . ابن ظافر الازدي ، الدول المنقطعة ، ١٠ ورقة ١٤٢ . الذهبي ، المعبر ، ٨٠ : ٨١ .

(٢) Bosworth, The Political and Dynastic History of the Iranian World, p. 127.

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤٢ . ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ١٠ ورقة ١٤٣ (مخطوط) . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٩٤ : ٩٤ .

(٤) المنتظم ، ١٠ : ٦٠ .

(٥) ابن العماد ، الانباء ، ص ٢٢٢ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٢٤ . الذهبي ، المعبر ، ٨٠ : ٨٠ .

(٦) يذكر د . عبد الجبار ناجي ان الخليفة اصبح يشكل مركز الثقل في التطورات السياسية في العراق في هذه الفترة ، انظر الامارة الزيدية ، ص ١٤٢ .

اظهاره بمظهر غير اللائق لخلافة المسلمين .

٣ - ان الراشد استغل وجود قاضي القضاة (ابو القاسم علي بن الحسين) في الموصل وطلب اليه ان يكتب فتوى بخط يد " بايغال ما جرى وصحيفة امامته " (١). ويد و هنا ان صحة الامامة تنطبق تماما على ما جرى فسي اتهم الراشد بالفسق .

٤ - الاعتبار الرابع هو ان المقتفي ومعد مقتل الخليفة المخلوع شن حملة على كل من افتى بفسقه وعلى كل من ساهم في كتابة المحضر ، فقد تناولهم بالعقوبة والعزل (٢) . وقد برر ذلك بقوله " اذا فعلوا مع غيري فهم يفعلونه معي " (٣) .

وعلى الرغم من ذلك ، فان المسألة لم تكن الا بهرجسة اعلامية لقضية حبكت خيوطها من قبل السلاطين سنجر وسعود ، وذلك عقب اغتيال المسترشد ، وقد اشرك فيها الوزير العباسي " علي بن طراد " صاحب المخزن وكاتب الانشاء كطرف ثالث ، حيث ارسل السلطان سنجر الى السلطان مسعود يأمره في عدم توليه " الا من يقع عليه رأى الوزير " صاحب المخزن وكاتب الانشاء على ان يتعهدوا بضمان مرشحهم (٤) . ولقد لفت السلطان سنجر (٥) نظرهم الى ضرورة ترشيح هارون بن المقتدى لانه شيخ كبير ولا يرى الفتنة . الا ان الوزير رفض ذلك لانهم سيكونون مسءولون امام السلطان مسعود ، و اشار الى ترشيح محمد بن المستظهر الذي وصفه

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٨ ، ورقة ٦٥ ب (م) .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢٦٠: ٥ ، ٢٧٣ . ابن ظافر الازدى ، الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٥ وانظر حول عزل عدد من الشهود ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨٦: ١٠ .

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢٦٠: ٥ .

(٤) الفارقي ، نبذة من تاريخه ، ص ٢٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

بالزاهد العابد (١) . ورغم اعتراض بعض امراء السلاجقة عليه لانه رجل كبير قد جرب الامور وادرك دقائقها ، فان من الضرورة بمائة فتى صغير ليس له تجربة (٢) . الا ان الاتفاق وقع على محمد بن المستظهر وكنم الامر لحسين الوصول الى بغداد (٣) .

ويبدو ان الاعتراض جاء تأكيداً للسياسة العامة للمتسلطين الاجانب فسي ربط العراق بدائرة تسلطهم عن طريق تولية الخلافة لصبي لا يفقه من الامور شيئاً بغية احكام قبضتهم على الخلافة .

ويظهر ان بعض المؤرخين قد كالوا التهم الى الوزير العباسي لدوره هذا في عملية خلع الراشد السابقة لانها (٤) ، على ان ما عزم عليه السلاطين السلاجقة كان امراً لا مجال فيه للتراجع من قبلهم ، وليست هناك اية وسيلة للحيلولة دون تنفيذه . فقد حاول الوزير اثناء عزم السلطان مسعود من تنفيذ قراره الا ان محاولته باءت بالفشل (٥) .

بيمة المقتفي :

بعد ان اُفتى الفقهاء والقضاة بخلع الراشد بالله ، امر السلطان مسعود بقطع خطبته وذلك في السادس عشر من ذي القعدة سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م (٦) . فتقدم الوزير علي بن طراد الزينبي بتسمية محمد بن المستظهر كخليفة (٧) . واخذ السلطان

- (١) الفارقي ز نهضة من تاريخه ، ص ٢٥١ .
- (٢) ابن الاثير ، الباهر في الدولة الاتابكية ، ص ٥٣ .
- (٣) الفارقي ، نهضة من تاريخه ، ص ٢٥١ .
- (٤) ابن الصمراني ، الانباء ، ص ٢٢٢ . ابن دحية ، النهراس ، ص ١٥٢-١٥٣ . الذهبي ، المعبر ، ٨٠: ٨١ .
- (٥) الفارقي ، نهضة من تاريخه ، ص ٢٥١ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ٤٢ . ابن القدا ، المختصر ، ٣: ١١١ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٩٤ : ٤ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ٤٢ . ابن المبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٥ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣٠٨ .

خطوط الوزير وصاحب المخزن وكاتب الانشاء بضمان مرشحهم ، واجتمعوا مع محمد بن السن المستظهر واعلموه بما جرى وشرطوا عليه القيام بامر الخلافة واطاعة السلطان ، واخبروه بانهم ضمنوا ذلك من السلطان " بجميع ما اقترح عليهم ، فوافق على ذلك (١) .

وفي يوم الثامن والعشرين من الشهر نفسه للسنة ذاتها بويح للامير محمد ابن المستظهر بالله بالخلافة (٢) ، واطلق عليه لقب المقتفي لامر الله ، بمسند ان اطلعه كاتب الانشاء على بعض من الالقاب (٣) .

ولم يذكر المؤرخون طبيعة الشروط التي اشترطت على الخليفة المقتفي ، والتي ضمن كل من الوزير وصاحب المخزن وكاتب الانشاء تطبيقها ، ويظهر ان ما ورد على لسان مسعود بشأن الشروط الواجب توفرها في اختيار البديل للراشد بالله هي نفسها الشروط التي اشترطت على المقتفي لامر الله فقد قال " لا اريد ان يجلس الا من لا يداخل نفسه في امور غير امور الدين ، ولا يجهز ولا يتخذ ولا يجمع ولا يخرج علي ولا على اهل بيتي " (٤) . ولجل تنفيذ هذه الشروط ولضمان احكام قبضتهم على الخلافة العباسية وعدم السماح للخليفة الجديد بتكرار ما فعله المسترشد والراشد ، استولى السلاجقة على ما في دار الخلافة من الاموال والمصوغات الفضية والذهبية ، والخيول والدواب ، حتى لم يبق في اصطبل دار الخلافة سوى اربعة رؤوس من الخيل (٥) . وقد قيل انهم بايعوه على ان لا يكون عند الخيل او كراع او آلة سفر (٦) .

- (١) الفارقي ، نهدة من تاريخه ، ص ٢٦٠ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦١: ١٠ . المصباح المضي ، ١٥: ٥٩٨ . ابن دحية ، النهراس ، ص ١٥٣ . ابن ظافر الازدي ، ورقة ١٤١ . ابن تفسري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢٥٨: ٥ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦١: ١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ٤٣: ١١ . الذهبي ، المعبر ، ٨١: ٤ .
- (٤) الفارقي ، نهدة من تاريخه ، ص ٢٥١ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٢: ٦١: ١٠ . الفسائي ، المسجد المسبوك ، م ٢ ، ورقة ٥٦ (م) . الذهبي ، دول الاسلام ، ٥٢: ٢٥ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣١٠ . القرطبي ، اخبار الدول ، ص ١٢٥ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦١: ١٠ . الفسائي ، المسجد المسبوك ، م ٢ ، ورقة ٥٦ (م) .

ولم يكتف السلاجقة بذلك بل طالبوا الخلافة بتسديد مبالغ كبيرة من الاموال ، كانت قد اقترت على المسترشد ولم تتم توفيتها من قبل الراشد ^(١) . بل تعدوا ذلك الى القبض على صاحب المخزن والاستيلاء على التركات الحشرية والجوالي ^(٢) ، بالوقت الذي ارسل فيه السلطان مسعود الى المقتفي لامر الله تقدير احتياجه الشخصي ونفقات دار الخلافة ^(٣) . فاستقرت القاعدة بينها على ان يقطع ما كان للمستظهر بالله ^(٤) . ومن المناسب ذكره في هذا المجال ان الغساني قد انتقد المقتفي لقبوله الخلافة بهذه الشروط وقال " لو ترك هذه الخلافة كان اليتيم بحاله وقد صدق ابو الطيب المتنبي حيث قال :

عش عزيزا اومت وانت كريم بين طمع القنا وحقق الهنود *

ولرأى الغساني في هذا المجال دلالة كبيرة لانه رأى صدر من سلطان قد جرب السلطة ، ومؤرخ في الوقت نفسه ^(٦) . الا انه على ما يبدو قد اعطى رأيا متسرعا يصح لو ان المقتفي لامر الله قد اتخذ موقف المهادنة والتعايش السلمي مع السلاجقة الا انه ومن خلال مسيرته كخليفة ودوره في مقاومة تسلط السلجوقي وتحرير العراق ، يظهر انه قد اتخذ من الوصول الى السلطة " الخلافة " اداة لتنفيذ مشاريعه التحررية وتأكيد الحقوق المسلمة للخلافة كما سنرى .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٤ ، ٦٢ .
 - (٢) المصدر نفسه والجزء ص ٦٢ ، ٦٨ .
 - (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤٣-٤٤ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ٣١٠ . المستوفي القزويني ، كزيدة ، ٣٦١ .
 - (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤٤ .
 - (٥) الغساني ، المسجد المسبوك ، ٢ م ، ورقة ٥٦ (م) .
 - (٦) انظر الغساني ، المسجد المسبوك ، تحقيق د . د . هـ . النعم شاكسر ، المقدمة ص ٦٤ وما بعده .

مشكلة الراشد :

بعد سماعه نهياً خلع له حاول الراشد استعمال الطريقة الشرعية " نفسها التي استعملها السلطان مسعود لخلعه " فقد استغل وجود قاضي القضاة ابو القاسم علي بن الحسين الزينبي في الموصل وطلب منه كتابة محضر يثبت فيه بطلان ما جرى في بغداد وصحة امامته ، الا ان الزينبي رفض ذلك ^(١) . ولما ايقن الراشد - من امتناع قاضي القضاة ، اتجه الى الاستنجاد بامراء الاطراف ، فقد طلب من الارائقة ^(٢) ان ينجذوه في الوقت نفسه ارسل الرسل الى كل من مسعود بن قلع ارسلان صاحب قونية ^(٣) والى الملوك الدانشمندية ^(٤) يطلب منهم العون ، الا ان محاولته بساات بالفشل لعدم حصوله على جواب ايجابي منهم ^(٥) . اما في بغداد فقد كان المقتضي والسلطان مسعود ، يخططان لاستمالة عماد الدين زنكي بغية ابعاد الراشد عن الموصل التي ظلت هي ملاذ الشام يخطب فيها للراشد ^(٦) . وخاصة بمسعود ورد انباء من الموصل تشير الى احتمال قيام الراشد وعما د الدين زنكي بالتوجه نحو بغداد ^(٧) .

- (١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٨ ، ورقة ٦٥ ب (م) .
- (٢) الارائقة : امارة تنسب الى ارتق بن اكسب التركماني احد ممالك ملكشاه ، استطاع احد ابنا ارتق من تأسيس امارة لهم ضمت مارد بن وحصن كيفا ، انظر الخصري بك ، تاريخ الامم ، ص ٤٥٢ . وانظر : Lane-pool, Mohammadan Dynasties, p. 166-167
- (٣) مسعود بن قلع ارسلان ، احد سلاطين سلاجقة الروم ، حكم من سنة ٥٠١ هـ وتوفي سنة ٥٥١ هـ . وتمكن من تثبيت اركان مملكته التي ضمت سننار - و طوروس . تمارا ، السلاجقة ، ص ٦٧ - ٦٩ .
- (٤) الدانشمندية : قبيلة تركمانية تمكنت من تأسيس مملكة ضمت سيواس وقيصريه وملطية وكان لها دور رافع في الحروب الصليبية . انظر مورتمان ، د اشيرة المعارف الاسلامية ، ٩ : ١١٣ - ١١٦ .
- (٥) ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢٢٣ .
- (٦) المعظمي ، تاريخ ، ورقة ٢١١ أ (م) . ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٦ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٩ .

على ان هذه المخاوف سرعان ما بددها مجيء رسولين الى بغداد ممن
الموصل للتوسط لدى الخليفة والسلطان وانهاء حالة الحرب بين الطرفين ، بمسند
ان شعر كل من الراشد وزنكي بضعف موقفهما ^(١) . وكاجراء دبلوماسي من قبيل
الخلافة في بغداد ، رفضت مقابلة رسول الخليفة المخلوع ، على حين استقبل رسول
زنكي ، واحتفي به واسمعت رسالته في الديوان ^(٢) . واستطاع ديوان الخلافة من اخذ
بيعة رسول زنكي ، وسيرت معه محضر خلع الراشد الى الموصل لقراءته هناك ، وللمصادقة
عليه من قبل قاضي القضاة الزينبي الذي سرعان ما حكم بصحته ، الامر الذي وجد
فيه زنكي نفسه امام هذه المستجدات مضطرا لقطع غطبة الراشد وبهايمة المقتفي وذلك
في رجب سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م ^(٣) . وفي الشهر نفسه ارسل السلطان سنجر رسولا
الى بغداد لمبايعة المقتفي نيابة عنه ^(٤) . وبهايمة زنكي للمقتفي اسقطت كسبل
حسابات الراشد ، الذي ادرك عدم جدوى بقاءه في الموصل فاتجه الى اذربيجان
ودخل مراغه ^(٥) . فالتف حوله اهلها وحملوا اليه الاموال وذلك انتعش امله فسي
العودة الى بغداد ^(٦) . ومن هناك كاتب حلفاء القدامى من السلاجقة المنفيين من
طاعة السلطان مسعود لفرض توحيد جهودهم بغية اعادته الى الخلافة ^(٧) . الا ان

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ٤٤: ١١٠ . عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ص ٦٠ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٤٤: ١١٠ . الباهر ، ص ٥٤ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٤٥: ١١٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٧: ١٠ . ابن
الوردى ، تاريخ ، ٥٧: ٢ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٧: ١٠ .
- (٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٩ . ابن العمراني ، الانباء ،
ص ٢٢٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ٦٠: ١١٠ . ويذكر ابن دحية ، ان الراشد
كتب الى سنجر مستنجدا به ، النهراس ، ص ١٥٥ . وانظر ايضا ، ابن ظافر
الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٣ (م) .
- (٦) الغسانسي ، المسجد المسبوك ، مجلد ٢ ، ق ١ ، ورقة ٥٩ .
- (٧) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٩ . ابن العمراني ، الانباء ،
ص ٢٢٣ . الفارقي ، نهضة من تاريخه ، ص ٢٦١ . ابن الاثير ، الكامل ،
٦٧: ١١ .

السلطان ترك بغداد حال سماعه باجتماع المتحالفين واستطاع انزال الهزيمة بهم قبل ان يجتمعوا بالراشد (١).

وصل الراشد الى همدان بعد انتهاء المعركة ، واتصل بالملك داود هناك وسرعان ما التحق بهم خوارزم شاه واتفقوا على قصد العراق ، الا ان سماعهم نبأ عودة السلطان مسعود الى بغداد لمنعهم من دخولها قد اسقط كل حساباتهم فتفرق المتحالفون ، فقصدا داود فارس ، وعاد خوارزم شاه الى بلده (٢) . وكذلك ايقن الراشد بالله عقم محاولاته لاسترداد منصبه كخليفة ، فبانفصالهم عنه سار الى اصفهان ، وبقي فيها اياما الى ان اغتالته الباطنية سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م (٣) بدسيسة من السلاجقة (٤) .

في مثل هذه الظروف والاضاع الشاذة ، استهل المقتفي لامر الله ، خلافته ، ويظهر ان هذه الظروف قد اسهمت بشكل مباشر الى جانب اعتبارات اخرى في اطلاق برنامج الرامي الى اعادة هبة الخلافة وتحرير العراق من تسلط السلجوقي ، الذي كتب له النجاح فيما بعد .

-
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٦٠ - ٦١ . الباهر في الدولة الاتابكية ، ص ٥٤ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٧١ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٦٢ . ابن العمرائي ، الانباء ، ص ٢٢٣ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٧٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٦٢ . الباهر ، ص ٥٥ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦٢ . ابن دحيمة ، النبراس ، ص ١٥٢ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ٨٦ .
 - (٤) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨ : ١٦٨ . الفارقي ، نهضة ——— تاريخه ، ص ٢٦١ . الديار بكرى ، تاريخ الخميس ، ٢ : ٤٠٥ .

ان مناقشة هذه الاعتبارات من الاهمية بمكان لفهم خطواته الناجحة في هذا المجال ضمن السقف التاريخي لها لا يعمزل عنه ، لتنفيذ كل المزاعم التي حدثت ببعض الباحثين بان يمزو طول فترة مجابته للسلاجقة الى ان الخليفة المقتفي كان لا سلطة له ولا امر ، ولا نهى في شؤون الدولة السياسية^(١) . وانه لم يكن اكسر من العويصة في ايدى السلاجقة^(٢) . فاطلقوا عليه لقب الخليفة المطيع الضعيف^(٣) ونسبوا اليه فيها كثيرة منها عدم اللياقة للخلافة^(٤) . والاد هي من ذلك ان احد هم تناس بقصد منه او بخير قصد ، كل الاجراءات الجادة والناجحة التي اعتمد هـا المقتفي على طريق انتهاء التسلط السلجوقي حيث قال " . . . ان بمحاولة المسترشد الفاشلة قد ختمت كل محاولات رفض التسلط السلجوقي ، ولا تصادف محاولة اخرى يصح ان يذكرها التاريخ الا في عهد الناصر^(٥) .

لقد عاش المقتفي لامر الله في فترة حرجة حافلة بالاحداث الخطيرة ، شهد خلالها تأثيرات السياسة السلجوقية في العراق ، وتأثر الخلافة العباسية ومؤسساتها نتيجة الصراع بين السلاطين السلاجقة ، واثار هذا الصراع على الاوضاع العامة فسي العراق . كما شهد بوادر الانتعاش السياسي والاداري ، والمحاولات الجادة لتسي قام بها اخوة المسترشد ومن بعده الراشد للتخلص من التسلط السلجوقي ، وما رافق هذا الانتعاش من احداث مؤثرة انتهت باستشهاد هـا .

-
- (١) جواد ، د . مصطفى ، مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص ٤١ ، ص ٤٣ .
 (٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، ٥٦:٤ . حلمي ، احمد كمال الدين ، السلاجقة ، ص ٧٤ . الفاضل ، سعد محمد ، اوضاع الدول الاسلامية في الشرق الاسلامي ، ص ٥٥ .
 (٣) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .
 (٤) نظمي زاد ، افندي ، كلش خلفا ، ص ١١٦ .
 (٥) السرنجاوي ، عبد الفتاح ، الخلافة العباسية ، اضمحلالها وسقوطها ، ص ١٦٧ . الفاضل ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

ان هذه الاوضاع جعلته يدرك مدى خطورة مجابهة السلاجقة والاصطدام المباشر بهم في السنوات الاولى لخلافته وهو امام تجربتين فاشلتين ، في الوقت الذي كان فيه السلطان مسعود بعد ان اجهض هاتين المحاولتين يعيش في نشوة انتصاره (١) . وهذا فقد ضمن المقتفي عدم الوقوع في احد الاخطاء التي ادت الى فشل الخليفتين السابقين وهو العجلة في مجابهة السلاجقة وانهاء وجودهم . كما ان الخلافة خرجت بعد فشل المسترشد والراشد وهي مثقلة مادياً (٢) قياساً الى امكانياتها المحدودة التي حددها السلاجقة (٣) . اضافة الى ذلك ، الشروط التي اشترطت على المقتفي عند توليته ، وازاء ذلك كان من العبث والمحال مجابهتهم ضمن امكانياته الذاتية الحالية (٤) . لذا فانه على ما يبدو قد اثر تهينة كافسنة الظروف الذاتية وذلك عن طريق تحسين الاوضاع الاقتصادية واكمال الاستعدادات العسكرية وحتى كسب جمهور بغداد وانتهاز الظروف المناسبة لتسديد الضربة القوية المؤثرة لهم بما يكفل نجاحه وتفادي عدم السقوط في تجربة فاشلة اخرى وبالتالي انتهاء تسلطهم وتحرير العراق . ويظهر ان ما عزم عليه قد اثار شكوك السلاجقة اذ سرعات ما ندما على توليته فقد جاء على لسان احد وزرائهم " لقد كان الرأي في المعدل من هذا الرجل ، ولكن الامر مقدرة ، وقد رأيت من هذا الرجل ، ما دل

(١) Bosworth, The Iranian World, p. 129.

(٢) انظر ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) اصبح الخليفة في ظل التسلط السلجوقي يعيش من الاقطاعات التي قررها السلاجقة له ، انظر الخالدي ، فاضل ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص ١٧٧ .

(٤) ابن رجب ، ذيل طبقات الخنابلة ، ١ : ٢٥٨ . ابو شامة ، الروضتين ، ١ : ٢٢٣ . القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ص ٣٦٧ .

على وفور العقل ، وحسن التوصل الى اغراضه وعلى غاية من المعرفة ^(١) .
اشار ذلك مخاوف السلطان مسعود حيث قال " لقد اجلسنا في الخلافة رجلا
عظيما فالله يكفيننا شره " ^(٢) .

-
- (١) ابن الاثير ، الباهر في الدولة الاتابكية ، ص ٥٤ .
(٢) ابن الحلقطي ، الفخرى ، ٣١٠ .

- الفصل الثاني -
دور الخليفة المقتدي
في إنهاء السُلطان السلجوقي

الفصل الثاني دور الخليفة المقتفي في إنهاء تسلط السلجوقي

أدرك الخليفة المقتفي عدم جدوى مجابهة السلجقة ، والاصطدام المباشر بهم ضمن الامكانيات المتاحة لديه كما بينا سابقا . لذا فقد سعى الى انتهـاج سياسة اتسمت بالحكمة والدهاء والاعتزان السياسي وبعد النظر وذلك عن طريق اتخاذ السلسلة من الاجراءات والتدابير الناجحة التي كان من شأنها انهـاء الوجود السلجوقي في العراق ، واعاد هـيئة الخلافة وقطع عنها وعن العراق طمع الاجانب (١) . واثبت من خلالها انه محارب مقتدر وكفوء (٢) . حتى عدّه المؤرخ ابن الاثير انه اول خليفة استبد بالعراق منفردا عن سلطان اجنبي يكون معه منذ ايام الـهـوهميين . واول خليفة تمكن من الخلافة ، وتحكم على عسكره واصحابه من حيث تحكم المالـيك على الخلفاء منذ عهد المنتصر وحتى ايام المؤرخ باستثناء المعتضد (٣).

استغلال الصراع بين السلجقة :

اتسمت الفترة الاخيرة من الحكم السلجوقي في العراق بسنتين بارزتين — اولاهما تزايد الدور الذي لعبه " الـاتابكة " (٤) والامراء الاتراك في شؤون السلطنة

(١) الاصبهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي ، ١ : ٣٥٠ . ابن

الراهب ، تاريخ ، ص ٧٤ . ابن الوردي ، تاريخ ، ٢ : ٨٩٠ .

(٢) الذهبي ، دول الاسلام ، ٢ : ٧١٠ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،

٥ : ٣٣٣ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤١ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٥٦ .

(٤) الـاتابكة : مصطلح تاريخي مشتق من لفظتين تركيتين هما " اتا " بمعنى أب

و " بك " بمعنى نهبـل او شيخ ، واستخدم هذا المصطلح بمعنى الوصي

او الموصوب او المرعي للامراء الاتراك الذين كان يعهد بامر تربيتهم السـي

بعض القادة من الامراء لـحين بلوغهم سن الرشد . انظر القلقشندي ، صـح

الاعشى ، ٤ : ١٨٠ . ايضاً

E.I.(2) S.V, Atabak, Vol. 1, pp. 731-732 (by Cl. Cahen)

السلجوقية وتنامي سلطتهم العسكرية ، وثانيتها ظهور بوادر الخور والضعف فسي السلطة الفعلية للسلاطين السلجوقية انفسهم ^(١) . وذلك نتيجة التفكك المستمر والصراع الدائم بينهم ^(٢) في الوقت الذي بدأت فيه بوادر الانتعاش السياسي للخلافة العباسية بالظهور متمثلة في اوجها بمحاولتي المسترشد والراشد .

هذه الحقيقة برزت بشكل جلي وظاهر في فترة سلطنة مسعود ، فقد عجزت هذه الفترة بكثرة الاضطرابات والقلقل ، حتى لم يبق فيها للسلطان مسعود " شيء " من البلاد البتة الا اسم السلطنة لا غير ^(٣) . ويبدو ان المقتفي قد رأى هذه المسألة بكل دقائقها ، فاستطاع استغلالها بالشكل السليم ، فبعد ان تمكن السلطان مسعود من تفتيت التكتل الخطير الذي كان يهدف الى اعادة الراشد الى الخلافة والخطبة للملك داود ابن اخ السلطان مسعود ^(٤) استطاع الامير بوزار صاحب فارس والاهواز من تشكيل حلف مع الامير عباس صاحب الري هدفه اسقاط السلطان مسعود واحلال احد اخوته محله ^(٥) . وقد استعمل الخديعة في ذلك ، فقد اعلنا طاعتيهما له ، وكاتبا بهذا الشأن . الا ان خروجهما مع اخيه الملك سليمان شاه وابني اخيه السلطان محمود ، محمد وملكشاه اثار شكوكه ومخاوفه ^(٦) . فخرج

(١) عبد النعيم حسنين ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

Bosworth, The Iranian World, p. 167

(٢) انظر :

E.I (2) S.V. Muktafai, Vol. III, p. 716 (by Zetteresteen)
Muire, op. cit, p. 589.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٦٤ ، ١٦٥٤ .

(٤) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٦٠ - ٦١ . الهند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٢١ . الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١١٠ . ابن السوردي ، تاريخ ، ٢ : ٦٠ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٠٤ . الراوندي ، راحة الصدور ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٦) الهند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٨٢ . ابن النظام الحسيني ، اليزدي ، العراضة ، ص ١٢٢ .

من بغداد مسرعا ، في الوقت الذي ارسل الى احد اتابكيه طالبا النجدة ^(١) . وتقارب الجيشان واستعدا للقتال ، الا ان حاجب السلطان (عبد الرحمن طفايرك) الذي كان له ميل مع الاميرين (عباس وبوزايه) بسبب تسلط غلام السلطان مسعود خاصبك على امور السلطنة السلجوقية استطاع ايقاف القتال وتقرير قواعد الصلح بينهما ^(٢) ، على ان يعين ابن طفايرك واليا على ارانيه واذريجان ، وابعد خاصبك ، وذلك استطاع الامراء من السيطرة على زمام الامور في السلطنة السلجوقية ^(٣) . " فصار السلطان معهم تحت الحجر " ^(٤) . وسرعان ما عزلوا وزيره وهينوا وزير احد هم بد يلا عنه ^(٥) . ولغرض اكمال مخططهم في تجريد السلطان من سلطته ، قرروا فيما بينهم ان يكون الامير عباس ملازما له ، بينما رحل الهاقون كسلا الى اقطاعه ، مستصحبين معهم خاصبك لابعاده عن مسعود ^(٦) .

ويظهر ان احساس السلطان مسعود باستلاب سلطنة من قبل الامراء دفعته الى الاتفاق سرا مع خاصبك لغرض التخلص من احد اقطاب التحالف ابن طفايرك ، قسم له ما اراد ^(٧) .

-
- (١) ابن النظام الحسيني اليزدي ، العراضة ، ص ١٢٢ .
 - (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٤: ١١ . الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .
 - (٣) المصدران نفسهما والصفحات . الراوندي ، راحة الصدر ، ص ٣٤١ .
 - (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٤: ١١ .
 - (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٤: ١١ . الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٩٧ .
 - (٦) الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٩٧ .
 - (٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١١٦: ١١ . الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٩٧ . ابن النظام الحسيني اليزدي ، العراضة ، ص ١٢٤-١٢٥ .

اراد الخليفة المقتفي الاستفادة من هذه الاحداث للتخلص من السلطان مسعود الذي استطاع تكبيل حريته وتجريد ه من اسباب قوته على ما يبد ومستغلا نهياً مقتل ابن طفاريك وحراجة موقف الامير عباس ه وذلك من طريق الاتفاق مع الاخيه سر لاغتيال مسعود ه الا ان ظروفها قاهرة حالت دون تنفيذ تلك المحاولة في وقتها المحدد (١) . على حين اصبح مقتل ابن طفاريك عاملاً مشجعاً للسلطان للتخلص من عباس ه وحلول سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م تمكن مسعود من قتله (٢) .

ثارت ثائرة الامير بوزايه لمقتل حليفه ه فخرج من فارس متوجهاً الى همدان عازماً على قطع خطبة مسعود والخطبة لاحد الاخوان محمد او ملكشاه ابنسي محمود ه الا ان مسعود استطاع مكاتبة بعض امراء الاطراف وتمكن من هزيمته ثم قتله (٣) .

ويبدو ان معرفة السلطان مسعود باتفاق المقتفي مع عباس قد عكست العلاقة بينهما (٤) ، واتاحت المجال لاصحاب السلطان باساءة الادب والتناول على الخليفة في حضرته (٥) . كما ان نائب السلطان ببغداد (مسعود البهلاي) قد

(١) الراوندي ه راحة الصدور ه ص ٣٤٥ . ابن النظام الحسيني الميزدي ه العراضة ه ص ١٢٥ .

(٢) ابن الاثير ه الكامل ه ١١٦: ١١٧ . الهنداري ه تاريخ آل سلجوق ه ص ١٩٩ . ابن كثير ه البداية والنهاية ه ١٢: ٢٢١ .

(٣) الهنداري ه تاريخ دولة آل سلجوق ه ص ٢٠١-٢٠٢ . ابن الاثير ه الكامل ه ١١٩: ١١١ .

(٤) الغساني ه المسجد المسبوك ه م ٢ ورقة ٥٦ م) ه حتى ان السلطان القى القبض على مملوك الخليفة ترشك ه ابن الجوزي ه المنتظم ه ١٠: ٨٥ .

(٥) ابن خلكان ه وفيات ه ٥: ٢٧٥ . الحسيني ه اخبار الدولة السلجوقية ه ص ١٤٩ .

أخذ يتصرف تصرفات غير لائقة بعيدة عن الرسوم المتبعة ، كان القصد منها إيحاش الخليفة ، حتى وصل الحد بالسلطان إلى عدم الاستجابة لمراسلات الخليفة التي يطلب فيها بالكف عن هذه التصرفات (١) .

أن مقتل الأمراء الثلاثة (ابن طغايوك ، عباس ، بوزابه) من قبل السلطان وتقريبه خاصبك (٢) ، عجلت بخروج بعض الأتابكة والأمراء (٣) عليه ، ففي سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، توجه هؤلاء الأمراء إلى بغداد محاولين قطع خطبة محمود وتنصيب محمد بن محمود بن ملكشاه سلطاناً على السلاجقة (٤) ، مما أعطى الخليفة مجالاً للتحرك بحرية ، لأن الحاكم السلجوقي (محمود الهلالي) شحنه ببغداد هرب إلى تكريت عند سماعه نبأ تحركهم نحو بغداد ، فبعث المقتفي رسولا إلى الأمراء يناشد هم فيه بضرورة الكف والرجوع عن بغداد (٥) . في الوقت نفسه قام باستكمال جميع الاستعدادات العسكرية الكفيلة بردعهم ، فقد دعا أهالي بغداد إلى الانخراط في الجيش ، كما عمل على تقوية السور ، وأمرهم بحفر خندق حول المدينة ، وتحصين جميع أبواب بغداد (٦) . على حين كان هناك رسول من الخليفة

- (١) ابن خلكان ، وفیات ، ٢٧٥: ٥ . الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٤٩ .
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٢: ١١ .
- (٣) هم الأتابك أيلك كز ، الأمير قيصر ، الأمير البقش كون خر ، تتر الحاجب ، قیماز ، قرقوت الطرنتاوی المحمودی أمير واسط ، وقد التحق بهم علي بن دبیس صاحب الحلة ، انظر ابن الجوزی ، المنتظم ، ١٣١: ١٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٢: ١١ . الهند أری ، تاریخ آل سلجوق ، ص ٢٠٤ .
- (٤) ابن الجوزی ، المنتظم ، ١٣٢: ١٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٢: ١١ . ابن القلانسي ، ذیل تاریخ دمشق ، ص ٣٠١ . الهند أری ، تاریخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٤ . ابن ظافر الأزدي ، أخبار ، ورقة ١٤٧ (م) .
- (٥) ابن الجوزی ، المنتظم ، ١٣١: ١٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٢: ١١ .
- (٦) ابن الجوزی ، المنتظم ، ١٣٣: ١٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٣: ١١ . ابن القلانسي ، ذیل ، ص ٣٠١-٣٠٢ . وانظر

قد خرج من بغداد متوجها الى السلطان ، حاملا رسالة ليخبره فيها بهروب شحنة بغداد الى تكريت ، وان عسكر الامراء قد احاط ببغداد ، وهانه لا يستطيع ان يتخذ جيشا لاجل العهد الذي بينهما ، فرد الجواب " قد برئت ذمة امير المؤمنين الذي بيننا ، وقد اذنت لك ان تجند عسكرا وتحتاط لنفسك وللمسلمين " (١) .

وهاك الامراء فسادا باطراف بغداد ، وجرت مناقشات بينهم وبين اهـل بغداد (٢) . على حين استمر المقتفي بمكاتبة الامراء وارسال الرسل اليهم بالكف عن العدوان ، واشمرت سياسته هذه باستجابتهم ، ونزلوا مقابل التاج - احد قصور دار الخلافة ، للاعتذار من الخليفة (٣) .

لقد تكلفت جهود المقتفي من خلال اجراءاته السليمة في معالجة هذه المشكلة من تحقيق عدة اهداف ، فهو من ناحية كسب رضا السلطان مسعود بالوقوف بوجه هذا التحالف ضد (٤) . ومن ناحية اخرى حقق انتصارا عراقيا على السلاجقة هــ الاول من نوعه (٥) . في الوقت نفسه ضمن بقاء الجيش الذي قام بتجنيد ، كقوة للخلافة يرجع اليه عند الملهمات ، والذي كان محضورا عليه تكوينه بغير هذه الظروف (٦) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣١ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٣٣ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٥ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١١٨ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١١٨ .
 - (٤) انظر مشورة الوزير ابن هبيرة الى المقتفي بهذا الشأن ، البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٤ . ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ (م) .
 - (٥) المشهداني ، محمد جاسم ، نهاية النفوذ السلجوقي في العراق ، مجلة المورخ العربي ، م ٢٥ لسنة ١٩٨٤ ، ص ١٩٩ .
 - (٦) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ - ١٤٨ (م) .

ومحلول سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ، اعاد بعض الامراء () البقي كون خسر والطرناوى المحمودى وعلي بن ديمس) الكرة مرة اخرى ، وطالبوا الخليفة بالخطبة لملكشاه هذه المرة بدلا من السلطان مسعود ، الا ان المقتفي رفض ذلك ^(١) ، ففسي الوقت الذى استعد فيه للدفاع عن بغداد ^(٢) ، بعث رسله الى مسعود يستحثه للمجيء الى بغداد وليعلمه ان الامراء انما جاءوا يطلبون الخطبة التي هي له وحده ^(٣) . وسمع الامراء لخبر استدعاء السلطان انفضوا عن بغداد ^(٤) . وذلك كسب المقتفي الجولة الثانية على طريق اعادة هبة الخلافة وتحرير العراق ، فقد اثبت مرة اخرى حسن نيته تجاه مسعود ، وبالتالي ثقته وصداقته موضع من جهة اخرى عدم الدخول في معركة قد تعرض ما قد تم بناؤه وافشال مخططاته .

اتاح موت السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م بهذان ^(٥) . وما عرفت بالسلطنة من احداث داخلية ^(٦) ، الفرصة التي طالما انتظرها المقتفي لاستكمال مستلزمات ثورته ، وانهاء الوجود السلجوقي في العراق . فقد تخلص بموت مسعود

-
- (١) ابن الجوزى المنتظم ، ١٠ : ١٣٧ - ١٣٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٤٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٢٥ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٦٤ .
- (٢) ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٦٤ .
- (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٤٣ . حسين امين ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٤٣ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٦٥ .
- (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١١ : ١٤٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٦٠ . الراوندى ، راحة الصدور ، ص ٣٥٤ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٢٩ .
- (٦) لقد تغرد خاصبك بالسلطنة بعد وفاة مسعود ، فقد استطاع تنصيب ملكشاه سلطانا على السلاجقة ثم اثر ان يعزله ونصب محمد سلطانا بدلا عنه . انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٦١ . البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٩ - ٢١٢ . الراوندى ، راحة الصدور ، ص ٣٧٧ .

من كل الالتزامات التي فرضت عليه من جهة ، ومن جهة ادرك ضعف الامكانات العسكرية للسلاجقة في بغداد وخاصة بعد هروب شحنتها مسعود البهالي التي تكريت (١) . فبادر اولا الى مصادرة ممتلكات اصحاب السلطان والقبض على العدو منهم (٢) . وقام بحل اقطاعات الامراء السلاجقة في بغداد (٣) ، كما امر بنقض احد الدور التابعة للسلاجقة والذي يعد رمزا من رموز التحكم الاجنبي (٤) .

في الوقت عينه كانت قوات الخلافة قد بدأت وتجهز لاستعادة مدن العراق من ايدي السلاجقة ، وتمكن المقتفي بالفعل من دفع قواته بقيادة وزيره عون الدين بن هبيرة باتجاه الحلة واعادة اخضاعها لسلطة الخلافة وطرد سجنه بغداد منها بعد ان هرب اليها (٥) . ومنها استكمل الوزير تحرير مد ينتي الحلة (٦) و واسط (٧) .

ادرك السلطان الجديد محمد بن محمود جسامه الوضع الخطير ، وما تعانيه سلطته في العراق (٨) ، لذلك سعى بشكل فعال ونشط الى اعادة العراق الى دائرة تسلطهم ، وبادر الى ارسال الرسل الى الخليفة يطلب فيها تحسين علاقتهم واعادة

- (١) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ، ورقة ١٩٢ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤٧: ١٠ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١١/ ١٦١ . الخسائي ، العسجد المسبوك ، م ٢ ، ورقة ٦٦ (م) .

Bosworth, The Iranian World, p. 175

- (٣) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤٧: ١٠ .
- (٥) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ، ورقة ١٩٢ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤٨: ١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ١٦٢ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٤٨: ١٠ .
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ١٦٢ . المقرئ ، السلوك ، ٣٨: ١ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤٨: ١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ١٦٢ .
- (٨) تمكن المقتفي من ضرب د يمار ببغداد يحمل اسمه وحده خاليا من اية اشارة الى السلاطين السلاجقة وذلك سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م . انظر محمد باقر حسيني ، د يمار عباس نادر ، مجلة المورد ، م ٣ ، لسنة ١٩٧٤ . ص ٧٤ .

Lane-pool, Catalogue of oriental coins, Vol. IX, No. 478T.

خطبته في بغداد ، الا ان المقتفي رفض ذلك (١) .

ازاء رفض الخليفة ، اذن السلطان محمد لبعض الامراء السلاجقة ممن تضررت مصالحهم بحل اقطاعاتهم بالعراق بالتقدم نحو بغداد سنة ٥٥٤٩ / ١١٥٤ م^(٢) . فجمعوا الجيوش من التركمان من كل المناطق ، حتى صاروا على حد قول احمد المؤرخين " في عساكر تملح بهم ويستر الغبار وجه السماء " (٣) ، واستطاعوا في بادئ الامر من السيطرة على طريق خراسان (٤) ، واحراز بعض التقدم باتجاه بغداد ، ولكن جند الخلافة العباسية بقيادة الخليفة المقتفي نفسه استطاعت ملاقاتهم في " بجمزا " (٥) وانزلت بهم اقصى هزيمة (٦) . على الرغم من وصول نجدات عسكرية من السلطان محمد (٧) .

-
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٢ . الهندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ . المستوفي القزويني ، تاريخ كزيدة ، ص ٣٦٢ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٣١ .
- (٢) الهندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ . الذهبي ، المعبر ، ١٣٤ : ١٣٥ .
- (٣) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣١ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٨ : ورقة ١١٠٠ (م) .
- (٥) بجمزا : قرية من قرى طريق خراسان ، بينها وبين بعقوبا نحو من فرسخين وقد ذكرها ياقوت الحموي تارة باسم بجمزا ووبكمزا . معجم البلدان ، ١ : ٣٤٠ ، ٤٢٥ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ص ٢١٨ .
- (٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٦ .

وانتهاء موقعة بجمزا ازداد موقف السلاجقة حرجا ، والسلطان محمد بالذات ، الذي ايقن بان مصالحهم في العراق في طريقها الى الانهيار ، ان لم تكن قد انتهت تماما ^(١) .

لقد افرزت معركة بجمزا امرين هاميين احدهما مرتبط بالآخر ، ادركهما الخليفة المقتفي وهما ان النشاط الذي ابداه السلطان محمد في استعادة سلطة السلاجقة في العراق لن يتوقف ولن يغت من عضة شيئا عما عزم عليه ، الامر الذي يجد ربالخلافة بان تهفي في اعلى حالات التوتب الكامل لمواجهة كل الظروف غير المتوقعة ، لذلك فقد امر باقامة استعراضات الجيش ^(٢) . ولم تمض فترة طويلة حتى استطاع السلطان محمد من استنقار الامراء السلاجقة من الاطراف ، وامرهم بالاستعداد الكامل للزحف من جديد على بغداد ^(٣) . الا ان ظروف اجبرته على تأجيل محاولته هذه ^(٤) .

وفي اواخر سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م انتهج الخليفة سياسة جديدة في علاقاته مع السلاجقة اتسمت بالعمل على ضرب السلاجقة من الداخل ، بزرع بذور الخلاف بين السلاطين والملوك السلاجقة ، لفرض تعزيق وحدتهم التي يعمل من اجلها السلطان محمد بجديّة . فقد لبي طلب سليمان شاه ^(٥) لدخول بغداد مستجيبرا ^(٦) .

-
- (١) انظر البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢١ .
 - (٢) الذهبي ، المعبر ، ١٣٥:٤ .
 - (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٥٨:١٠ . الذهبي ، المعبر ، ١٣٥:٤ .
 - (٤) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١١٦:١١ . البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢١ .
 - (٥) سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه اخ السلطان مسعود ، طالب بالسلطنة فسجنه مسعود واخرج من سجنه بعد وفاة اخيه ، فجمع الامراء والاتبكة واعلن نفسه سلطانا على السلاجقة لفترة ، الا ان ابن اخيه محمد تمكن من محاصرة همدان فاضطر الى الهرب ملتجأ لبغداد ، الراوندى ، راحة الصدد ، ص ٣٧٩ - ٣٨٣ .
 - (٦) الخسائي ، المعجد المسبوك ، م ٢ ، ورقة ٦٩ - ٧٠ (م) . ابن خلدون ، تاريخ ، ١٠٧١:٣ .

بعد ان اثبت حسن نيته بارسال زوجته وابنه رهينة لدى الخليفة ببغداد (١) .

ومن الاهمية بمكان الوقوف قليلا عند هذه الحادثة ، لانها تعد تحسولا خطيرا في مسيرة الخلافة على طريق التحرير الكامل من تسلط السلجوقي وانها وجودهم في العراق وخلاصتها :

١ - ان عملية قبول التجاء سليمان شاه بوساطة زوجته التي بقيت ببغداد رهينة - حين مجي زوجها - الى جانب استقباله ، عندما اذن له المقضي بالقعود ، تتم مما وصلت اليه الخلافة المباسية من القوة والهيبة ، فقد تم استقباله من قبل ابن وزير الخليفة في ضواحي بغداد " ولم يترجل له من فرسه " (٢) . وعند وصوله الى بغداد لم يحتفل لمجيئه كما جرت عليه العادة اثناء استقبال السلاطين السلاجقة (٣) . وعند ما استدعي لمقابلة الخليفة الزم بتقبيل عتبة باب النوي (٤) ، الذي لم يقبلها " قبل سليمان سلطان سلجوقي ولا ملك ديلملي " (٥) .

ويظهر ان الخليفة قد قصد من وراء ذلك اشعار سليمان شاه بهيبة الخلافة ، وقد رتبها على تسخير شؤونها السياسية والادارية في العراق باستقلالية تامة غير خاضعة لاي تدخل اجنبي (٦) .

-
- (١) النخاسي ، المسجد المسبوك ، ص ٢٠٠ ورقة ٦٩-٧٠ (م) . ابن خلدون ، تاريخ ، ١٠٧١:٣ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠١١:١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢٠٦:١١ .
- (٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٨ ، ورقة ١١٣ ب (م) .
- (٤) باب النوي : احد ابواب دار الخلافة ، ويسمى ايضا بباب العتبة ، ومعبد هذا الباب بابا رئيسيا لقصور دار الخلافة وفيه العتبة التي يقبلها الرسل والامراء والملوك ، انظر لسترنج ، بغداد ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .
- (٥) الهنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٢ .
- (٦) انظر ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٠٨ .

٢ — على الرغم من ادراك المقتفي ضعف موقف سليمان شاه ، وعدم صلاحيته للسلطنة السلجوقية^(١) . الا انه اثر ان يضرب به السلطان محمد^(٢) ، والذي اصبحت يشكل خطرا كبيرا على الخلافة العباسية لتحجيم نزوعها التحرري^(٣) ، مستغلا تطلعاته لنيل السلطنة^(٤) . فأمر باستدعائه في ١٥ محرم سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م الى دار الخلافة واحضر قاضي القضاة والشهود وحلف على لزوم طاعة الخليفة وعدم التعرض للعراق^(٥) . وبعد مقابل ذلك بالخطبة له بهنداد كسلطان للسلاجقة^(٦) .

وخلال شهر تقريبا من استدعائه سليمان شاه ، عمل المقتفي على اكمال كافة الترتيبات الكفيلة بتجهيزه ، بخيمة تهيئته للقذف به في وجه السلطان محمد ، واحضر سليمان شاه في منتصف شهر صفر من السنة ذاتها ، وخلق عليه وتوجه وطوقه واقامه سلطانا على ما يفتحه من خراسان شريطة ان يترك العراق للخليفة^(٧) . وتم اختيار وزير له من قبل المقتفي^(٨) . ومن الجدير بالملاحظة هنا ان الخليفة اصبحت هو الذي يختار وزير السلطان وهي سابقة تؤكد بالدليل الملموس عما وصلت اليه الخلافة من القوة والقدرة على صناعة القرار السياسي ليس في العراق فحسب ، بل في شتى

-
- (١) انظر الهند أرى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٣ . الراوندي ، راحة الصدر ، ص ٣٨١ .
- (٢) الهند أرى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٣ .
- (٣) المستوفي القزويني ، تاريخ كزيدة ، ص ٣٦٢ .
- (٤) انظر ابن الاثير ، الكامل ١١٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦ . الراوندي ، راحة الصدر ، ص ٣٧٧ - ٣٨١ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠٠ : ١٦٤ . ابن الاثير ، الكامل ١١٤ : ٢٠٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ح ٨ ، ورقة ١١٣ ب .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠٠ : ١٦٤ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠٠ : ١٦٤ . ابن الاثير ، الكامل ١١٤ : ٢٠٦ . الباهر ، ص ١٠٨ .
- (٨) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠٠ : ١٦٤ . الهند أرى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٣ .

السلطنة السلجوقية ذاتها .

وفي الوقت الذي خطب فيه سليمان شاه ، كانت هناك قوة عسكرية مكونة من ثلاثة الاف فارس قد هياها الخليفة في انتظار سليمان شاه للمسير معه الى همدان (١) . كما ارسل اليه المقتفي بمئشرين الف دينار ومائتي الف كر (٢) من القمح كمساعدات مالية وهيئية (٣) . كما استطاع الخليفة من اشراك السلطان المعزول ملكشاه اخ السلطان محمد في هذه العملية ، مستغدا طموحه في استعادة لقبه كسلطان على السلاجقة ، فارسل اليه يستدعيه (٤) . وعندما وصل المقتفي وسليمان شاه الى حلوان (٥) ، التقى بهم ملكشاه هناك ، ومعه الف فارس وتمكن المقتفي من تقرير القواعد بينهما على ان يكون ملكشاه وليا للعهد والسلطنة لسليمان شاه ، ومحمد ان حلف كل منهما للاخر على الموازنة ، سيرهما الخليفة مع الجيش وهاد السبي بغداد (٦) .

وهلى الرغم من فشل هذا التحالف بهزيمتهما عسكريا ومن ثم وقوع سليمان شاه اسيرا بيد حليف السلطان محمد نائب الموصل زين الدين علي كجك (٧) ، الا انه

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠٦ . الهندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٣ .
- (٢) الكر : مكيال بابلي الاصل ويساوى وزنا من القمح يبلغ ٢٩٢٥ كغم ، انظر هنتس ، فالتر ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص ٦٩ .
- (٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٨ ، ورقة ١١٣ ب (م) .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠٦ . الباهر ، ص ١٠٨ .
- (٥) حلوان : اخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، وهي مدينة كبيسرة عامرة ، انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٢٥ : ٢٩٠-٢٩١ .
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠٦ . الباهر ، ص ١٠٨ .
- (٧) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ . ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٣٣٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠٧ . الهندارى ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٢٣ . الراوندى ، راحة الصدور ، ص ٣٨٣ .

اصبح المجال الاكثر فعالية • بالنسبة للمقتني • الذي استطاع اذ امة صلته بالملوك والاتبكة المناوئين للسلطان محمد • وتقديم الدعم لهم باعتبارهم قوة تحد من نشاطه (١) • ومنهم ملكشاه الذي اصبح المرشح الاقوى للسلطنة بعد اسرعه • والاتبك ايلد كز (٢) • الذي كان يطمح بالخطبة لابن زوجته ارسلان شاه بن طغرل (٣) •

وفي شهر ذي الحجة من سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م بالتحديد في الايام الاولى منه • تحرك السلطان محمد على رأس جيش كبير من همدان متجها الى بغداد (٤) • لاحتلال بغداد • وللاقتصاص من الخليفة جراء فعلته بمساعدة مناوئيه (٥) • وتحجيم دوره الذي تجاوز الحد المسموح له • ولإعادة سلطة السلاجقة التي تعاني من عدم الاستقرار في العراق (٦) •

استطاع السلطان محمد من احتلال مدينة بعقوبة • وارسل من هناك يطلب المساعدة التي وعد بها نائب الموصل (٧) • ومعبور الجيش حربي واوانا التقى جيش

(١) Bosworth, The Iranian World, p. 167

(٢) ايلد كز : شمس الدين امير اذربيجان • كان مولى للسلطان مسعود • ولاة اراكان حتى اصبح اميرا من امراء الدولة المقدسية • هيا له زواجه من زوجة السلطان طغرل ان يلعب دورا مهما في محاولة تنصيب ابن طغرل ارسلان الذي كان مسجوناً في تكريت • ابن الاثير • الكامل • ١١ : ١٩٦ • الحسيني • اخباره • ص ١٢٨ •

(٣) الحسيني • اخباره • ص ١٣٩ •

(٤) ابن الجوزي • المنتظم • ١٠ : ١٦٥ • ابن الاثير • الكامل • ١١ : ٢١٢ • الباهر • ص ١١٣ • الهنداري • تاريخ آل سلجوق • ص ٢٢٨ • ويذكر انه تحرك في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها •

(٥) E.I.(1) S.V. Muktafai, Vol. III, p. 720

(٦) الهنداري • تاريخ دولة آل سلجوق • ص ٢١٧ • المستوفي القزويني • تاريخ كزيدة • ص ٣٦٢ •

(٧) ابن الجوزي • المنتظم • ١٠ : ١٦٥ • ابن الاثير • الكامل • ١١ : ٢١٢ • الباهر • ص ١١٣ •

الموصل الاتي من جهة الغرب باتجاه بغداد بالجيش السلجوقي (١) . وابتعدا هجوسهم على بغداد من جهتي الغرب والشمال الشرقي (٢) .

ازاء ذلك اضطر المقتفي الى الانسحاب الى داخل اسوار بغداد الشرقية ، بعد ان قطع الجسور التي تربط جانبي بغداد (٣) . في الوقت الذي كانت الخلافة قد اتخذت جميع التدابير الكفيلة بالدفاع الجدي عن بغداد لاطول فترة ممكنة ، فقد استدعى الخليفة امراء البصرة ، وواسط (٤) و البطحية (٥) والحلة (٦) ، على حين كان قد اصدر اوامره بالتعبئة العامة وتفريق السلاح على الجند والجمهور كافة (٧) ، واتخاذ الاحتياطات الاقتصادية لاحتمال اطالة الحصار (٨) .

واصل الجيش السلجوقي زحفه باتجاه بغداد الشرقية ، وتمكن من نصب جسر جديد على ضفتي دجلة ليسهل الاتصال بين جيشه (٩) . الذي تمكن قسم منه من عبور الى الجانب الشرقي (١٠) . وعلى الصعيد العسكري حدثت معارك بين الطرفين

-
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٣ .
 - (٢) لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٨٠ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٣ . الباهر ، ص ١١٣ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٢ .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ .
 - (٦) جواد ، مصطفى ، قبيلة جاران الكردية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٤ ، ح ١ لسنة ١٩٥٦ ، ص ١١٠ .
 - (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٠ .
 - (٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٠ - ١٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٤ .
 - (٩) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
 - (١٠) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١١٣ . احمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٦٤ .
 - (١١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٣ - ٢١٤ .

اثبت فيها العراقيون بصمودهم عمق ارتباطهم بالخلافة العباسية وفاتهم لم ينتهمهم بغداد واستماتتهم في الدفاع عنها ضد الغزاة (١) .

اما على الصعيد الدبلوماسي ، فقد واصلت الخلافة الاتصال بالامراء والاتبكة منذ الايام الاولى للحصار ، فقد كانت ايلد كز بضرورة التحرك مع احد الملكيين ملكشاه او ارسلان شاه بن طغرل ومهاجمة همدان عاصمة السلطان محمد واعلان الخطبة لاحد هما (٢) . كما استغلت المطامح السياسية لبعض الامراء واصحاب الاطراف المجاورة لهمدان لحشهم على الوقوف بجانب ايلد كز ، مقابل اقطاعهم ، اقطاعات في العراق وايران (٣) .

كما لعبت زوجة سليمان شاه بعد اسر زوجها دورا رئيسا في مصالحة ملكشاه وبعض الامراء السلاجقة بغية توحيد جهودهم ومهاجمة همدان وخلق السلطان محمد (٤) . وذلك تمكن ملكشاه ومساعدة الامراء والاتبكة من الاستيلاء على همدان وقطع خطبة محمد واعلان ملكشاه سلطانا على السلاجقة (٥) .

وفي الوقت الذي كانت الخلافة تنسق اعمالها خارجيا بهدف خلخلة الوضع العسكري والنفسي للجيش السلجوقي (٦) . كانت هناك محاولات جادة للتأثير على بعض

- (١) انظر ص ٩٩ من هذا الفصل .
- (٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٣ ، ٢٦٠ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٩ .
- (٣) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١١٤ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٤٠ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧١-١٧٢ .
- (٥) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٠ .
- (٦) ارسل ملكشاه كتابا الى الخليفة تضمن بانه والامراء قد اندروا جميع الامراء الذين مع السلطان محمد من اهل همدان بضرورة ترك السلطان والممودة خلال عشرين يوما ، والا فان بيوتهم واموالهم وعوائلهم ستكون عرضة للنهب والسلب . كما اخبره بانهم استقبلوا بعض من هؤلاء الامراء . وقد عرض ملكشاه في كتابه هذا بانه متبها للمسير الى بغداد لمساعدته اذا رغب في ذلك . انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٤ .

الامراء السلاجقة في جيش السلطان محمد واستمالتهم الى جانب الخلافة ، او على الاقل عرقلة خطط السلطان محمد (١) .

ادرك السلطان محمد بعد حصار دام اكثر من ثلاثة اشهر (٢) لبغداد ، مدى الخسارة التي مني بها على الصعيدين العسكري والسياسي ، فقد فشلت كل محاولاته لاقتحام بغداد ووجهه بمقاومة شديدة وماسلة من قبل اهالي بغداد طوال هذه المدة (٣) . كما ان امراء بعض اصحابه آثروا الانسحاب من المعركة بحسب سماعهم نبأ مهاجمة مدنهم وتخريبها (٤) . اضاف الى ذلك ان ما اراد تحقيقه في العراق ، لاستعادة سلطته وتأكيد خطبته فيها قد انهار في هذان عاصمتيه ، واصبحت فيها الخطبة لغيره (٥) . لذلك آثر الانسحاب ، ورفع الحصار عن بغداد وذلك في يوم ٢٤ ربيع الاخر سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م (٦) .

وهذا الانتصار الكبير الذي تم بصمود العراقيين ، انقطعت اطماع السلاطين السلاجقة من العراق (٧) . وايقنوا انه سيكون نهاية لاحلامهم واهد افهم التوسعية فيه (٨) .

-
- (١) انظر الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ .
 (٢) يذكر الذهبي انه الحصار دام نحو من شهرين ، المعبر ، ٤ : ١٤٥ .
 (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٣ - ١٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢١٤ - ٢١٥ . الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٦ ، ١٣٨ .
 (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٤ . ابن الاثير ، الباهر ، ص ١١٤ .
 (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٥ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٠ .
 (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٥ . ويذكر ابن الاثير ان الانسحاب تم يوم ٢٤ ربيع الاول سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م . الكامل ، ١١ : ٢١٥ .
 (٧) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٤٠ .
 (٨) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٥ .

إعادة بناء الجيش :

على الرغم من أن الخلافة العباسية عانت من تزايد نفوذ الجند الاتراك^(١) . وتدخلهم السافر في الشؤون السياسية والإدارية ، وبالتالي إهمال شؤون الجيش ، إلا أنها وفي محاولات جادة استطاعت كبح جماحهم وإعادة روح النظام والطاعة اليهم عن طريق إبعاد المؤسسة العسكرية عن التدخل في الشؤون العامة ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة نحو عملها الأساسي^(٢) . إلا أن القوى الأجنبية المتسلطة على العراق من بويهيين وسلاجقة ، استطاعوا من أحكام قبضتهم على الخلافة من خلال تجريدها فعلياً من جيشها . فالبويهيون لم يسمحوا للخلافة بإقامة جيش خاص بها ، بل عدوا أنفسهم حماة لها ، ومن ثم فإن الجيش البويهي كان من الناحية النظرية هو جيش الخلافة ، أما من الناحية العملية ، فإنه لم يكن إلا جيشاً للقوى المتغلبة ، في الوقت الذي فقدت فيه الخلافة العباسية جيشها^(٣) .

ولم يكن السلاجقة بأقل من البويهيين تسلطاً ، فقد اعتبروا أنفسهم حماة وأوصياء على الخلفاء العباسيين^(٤) . لذا فإنهم حرصوا ليس على عدم السماح لهم باتخاذ جيش خاص بهم فحسب ، بل أن يتخذوا حرساً لهم^(٥) . ولأجل تنفيذ ذلك بدقة عمل السلاجقة على أخذ المواثيق والعهد من الخلفاء بعدم اتخاذ جيش^(٦) . وبالتالي فقد أصبحت مهمة إدارة شؤون الخلافة العسكرية بيد مثلهم

(١) استخدم الاتراك بشكل واسع زمن الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) .

(٢) انظر تحسين حميد ، المصدر السابق ، ص ٣٣-٣٤ .

(٣) الخالدي ، فاضل ، النظم في العراق في أواخر الدولة العباسية ، ص ٢٨٩ .

(٤) Arnold, T. The Caliphate, pp. 79-80.

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ٦١ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩: ٢٥٥ ، ١٠: ٢٠٠ ، ٦٠: ٦٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ١١: ٤٢ .

ابن ظافر الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٣ (م) .

ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢: ١٩٨ .

بيفداد " الشحنة " .

وفي فترة نهوض الخلافة ابان حكم المسترشد ، اضطر لقمع تمرد اخيه من الاستعانة بجيش دبب من صدقة امير الحلة^(١) . بعد ان خاف ان يقصد بفسداد وهي خالية من الجيش لانشغال السلطان في همدان^(٢) . وعندما اشتدت حاجته المسترشد الى جيش للوقوف بوجه الاخطار التي تهدد الخلافة ، لجأ الى دعوة الجمهور عن طريق اعلان الجهاد^(٣) . وذلك كانت اول محاولة له من الخلافة لبناء جيشها . كما كانت اول مرة يتصل فيها الخليفة بالجمهور ويدعوه للدفاع عن نفسه ، بعد ان ظل لفترة طويلة معتمدا على غيره^(٤) . وحلول سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م ، اصبح تعداد جيش المسترشد اثني عشر الفا ، تزايد العدد الى خمسة عشر الفا سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٣م وكان بضمنهم ثلاثة وثلاثون اميرا^(٥) .

الا ان ما تم بناؤه ، بدد ، المسترشد في معركته الخاسرة التي سبقت الاشارة اليها ، وقد حاول الراشد بناء جيش خاص بالخلافة الا ان محاولته ابطت من قبل السلاجقة^(٦) . لذلك كان لزاما على المقتفي ان ينتهز الفرصة المناسبة لكي يبدأ من جديد بتكوين جيش آخر خاص به خاصة وان السلاطين السلاجقة ضمن التوجس العام لسياستهم في تجريد الخلفاء من سلطتهم السياسية والادارية كانوا قد اخذوا عليه المواثيق والعهود بعدم اتخاذ جيش^(٧) .

(١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ٩٥ : ٢٠٥ . عبد الجبار ناجي ، الامارة المزيديّة ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢١٢ . ابن ابي عذيبه ، تاريخ دول الاعيان ، ح ٤ ورقة ٢٠ (م) .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩٥ : ٢٣٥ .

(٤) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩٥ : ٢٥٢ ، ١٠ : ٣٥ . ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢١٥ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٥٤ .

(٧) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ . الفارقي ، نبذة من تاريخه ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

وعلى الرغم من ذلك تمكن المقتفي من استغلال حركة التمرد التي قام بها بعض الامراء السلاجقة وحصارهم لبغداد سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م للتخلص من العهد الملتزم به امام السلطان ، وبالتالي تكوين نواة الجيش العباسي (١) . فقد شـرع ببناء جيشه عن طريق فتحه باب التطوع وتدوين الجند (٢) . حتى اجتمع عنده عسكر كبير (٣) . ولم تمض فترة اقل من الشهر حتى امر باستمراغ الجيش امام منظـرة (٤) الحلبة . في الوقت الذي كان فيه قد دعا جمهور بغداد الى حمل السلاح والدفاع عن انفسهم واموالهم (٥) . وعند ما كرر الامراء محاولتهم الثانية سنـة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م دعا المقتفي الى تجميع الجيش وفتح باب التطوع مرة اخرى (٦) .

وعلى الرغم من بدايات اعادة بناء الجيش العباسي قد وقعت في احسـدات هاتين السنتين (٧) . الا انه لا يمكن اعتباره البناء الحقيقي للجيش النظامي المزمع

- (١) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٤ . ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ - ١٤٨ (م) . الحسيني ، اخبار الدول المنقطعة السلجوقية ، ص ١٢٠ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٣٣ .
- (٣) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ (م) .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٣ . استعرض الجيش في ٢٨ جمادى الاولى ، في حين ابتداء الامراء حصارهم لبغداد في ربيع الاول سنة ٥٤٣هـ .
- (٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
- (٦) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٣٨ .
- (٧) يذكر د . مسفر الزهراني انه في سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م انتهز المقتفي الصراع بين السلاجقة فأخذ يعمل على تكوين جيش نظامي للخلافة ، بحيث انـه استعرض ذلك الجيش سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م بعد سنتين من انشائه ، وقد ذكر ذلك دون اى سند تاريخي ، انظر ، نظام الوزارة ، ص ٥٩ .
- (*) منظرة الحلبة : موضع مشرف ينظر منه يقع في وسط السوق اخر محـلة المأمونية ، وهي محكمة البناء ، جعلت ليجلس فيها الخلفاء ليستعرضوا الجيش ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ : ٢١٢ .

بناؤه ، فالذى يبدوان التجنيد الذى قام به كان بمثابة دعوات موسمية ، فرضتها الاحداث والظروف الانية التي مرت بها الخلافة العباسية في سنتي ١١٤٨م و ١١٤٩م .

على ان الشروع الحقيقي الجاد في تكوين الجيش النظامي ، قد بدأ عقب وفاة مسعود سنة ١١٥٢م ، حيث قام بجمع الجيش الذى تم تدوينه وتجنيد سابقا ، محذرا اياهم " ان من تخلف من الجند ولم يحضر الديوان ، ليدون ويجرى على عادته في اقطاعه ابيع دمه وماله " (١) . كما فتح باب التطوع للجمهور مرة اخرى ايضا (٢) .

ويظهر ان المقتفي قد شعر بحاجة هذا الجيش الفتي الى بعض القيادات من الامراء ذوي الخبرات العسكرية المتراكمة ، ومن الذين عملوا في الجيش الذى تسم بناؤه من قبل المسترشد (٣) . فقد استدعى الامير منكهرس المسترشدى من دمشق الذى وصف بانه كان عليما بتمهئة الجيش وفنون القتال (٤) . فضلا عن شروعه وخلال ايام خلافته في شراء المماليك من الارمن واليونان ، مستثنيا في ذلك المماليك الاتراك الذين وجد هم غير مخلصين ومصدر خطر حقيقي على امن الجيش والدولة (٥) .

ان النجاح الذى تحقق في بناء هذا الجيش ، دفعه الى ملاحقة شحنة بغداد الذى تمكن من السيطرة على الحلة ، فقد جهز المقتفي جيشا بقيادة وزيره عون الدين وتمكن من طرده منها ومنها سار الى الكوفة واستعادها ، في الوقت نفسه خرج الخليفة بنفسه لطرده السلاجقة من واسط واستطاع تحريرها (٦) . وحلول عام

(١) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٦١ .

(٣) عن هؤلاء الامراء ، انظر ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ج ٤ ، ق ١ : ١٢٦ ، ٣٥٣ .

(٤) الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٢ .

(٥) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٢٧ . وايضا

Bosworth, The Iranian World, p. 127

(٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٦٢ .

١١٥٣/٥٥٤٨م ارسل الخليفة جيشا لاستعادة مدينة تكريت^(١) . وفي السنة ذاتها تم تحرير مدينة البصرة من ايدى السلاجقة^(٢) .

ومحلول سنة ١١٥٤/٥٥٤٩م احرز الخليفة نصرا آخر فريدا من نوعه في موقعة " بجمزا " حيث انها اول معركة يخوضها الجيش العباسي ضد السلاجقة على نطاق واسع ، اذ جمع فيها السلاجقة حشودا كبيرة قاربت الثلاثين الف رجل^(٣) .

ان موقعة بجمزا اثبتت قدرة المقتفي ليس في احراز النصر فحسب ، بل في قدرته على استنفار عدد هائل من الجيش الذي وصفه احد المؤرخين بانه لم يجمع في بغداد عسكر مثله في وقت من الاوقات^(٤) . فقد استطاع اشراك بعض القبائل العربية ومنها بني عوف^(٥) . وآل ابي الجهر من البطيحة^(٦) . والاكراذ الجاوانية^(٧) . وذلك اثبت العرب والاكراذ تلاحصهم في رفض التسلط السلجوقي على العراق ، وصد اى غزو اجنبي .

-
- (١) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٨٩ .
 - (٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٣ .
 - (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٦ - ١٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٥ . البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٢ .
 - (٤) الحسيني ، اخبار ، ص ١٣١ .
 - (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٦ . وهن بنو عوف انظر ، النويرى ، نهاية الارب ، ٢ : ٣٢٨ . القلقشندى ، قلائد الجمان ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٩٨ .
 - (٦) الحسيني ، اخبار ، ص ١٣١ .
 - (٧) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٦ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٣١ .

وعقب هذا الانتصار راجت شائعات حول عزم السلطان محمد علي احتلال بغداد ، فاستعرض المقتفي جيشه الذي تجاوز الاثني عشر الف فارس ^(١) . وقد شاهد المؤرخ ابن الجوزي هذا الجيش في الاستعراض الذي اقيم بمناسبة عيد الفطر سنة ١١٥٥/٥٥٠م ونقل لنا ما شاهد به بقوله " وخرج العسكر في عيد القطر على زى لسمير مثله لاجتماع العسكر وكثرة الامراء " ^(٢) .

وقد لعب هذا الجيش الى جانب اهالي بغداد ، والذين استطاع المقتفي تعبئتهم دورا متميزا في افشال خطط السلاجقة بصمودهم بوجه السلاجقة سنة ١١٥٦/٥٥١م ^(٣) .

تحرير مدن العراق :

ان تكوين الجيش واعادة بنيائه كان انجازا عظيما للمقتفي ، فقد اصبح بمقدوره وهو على رأس هذه القوة المنظمة ، ليس في الدفاع عن بغداد فحسب ، بل العمل على استرجاع ممتلكات الخلافة وتحرير مدن العراق من تسلط السلجوقي . فقد ارسل جيشا بقيادة وزيره ابن هبيرة الى الحلة لاستعادتها سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، وتمكن الوزير من تحرير الحلة بعد طرد شحنتها ^(٤) . وقد استقبل اهالي الحلة جيش الخليفة بالانتفاضة على الجيش السلجوقي ، مظهرين تجاوزهم وتعاطفهم معهم ورغبتهم فسي

(١) الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١٣٥ . الياقعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ٣ : ٢٩٤ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٧ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٠ - ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ص ٢٣٠ .
١١ : ٢١٤ - ٢١٥ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠ .

(٤) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ورقة ١٩٢ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ،
١٠ : ١٤٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٦٢ . البنداري ، تاريخ
دولة آل سلجوق ، ص ٢١٦ .

التخلص من التسلط السلجوقي^(١)، واتخذ الوزير من الحلة قاعدة له وارسل من هناك قوة عسكرية استطاعت تحرير مدينة الكوفة^(٢).

وفي السنة ذاتها سار المقتفي من بغداد على رأس جيش لضم واسط للخلافة^(٣). في الوقت الذي كان الوزير قد سير قوة أخرى من الحلة باتجاه واسط لمساعدة الخليفة، واستطاع الجيشان من طرد نائب السلطان السلجوقي منها، وفرض سيطرته على واسط^(٤).

ادرك الخليفة المقتفي أهمية مدينة تكريت بالنسبة للسلاجقة^(٥) خصوصا بعد هروب شحنة بغداد مسعود البلالي إليها^(٦). وبالتالي فانها أصبحت مصدر تهديد حقيقي للخلافة العباسية فارسل جيشا اوكل قيادته الى ابي البدر ظفر بن الوزير هبيرة ومعه (ترشك) احد مماليكه المقربين بخية تحريرها وضمها الى الخلافة، الا ان خلافا دبا بينهما ادى الى خيانة المملوك والاتصال مع مسعود البلالي، والقبض على ابن الوزير وبالتالي تسليم الجيش وفشل المحاولة^(٧). واثناء ذلك كانت الخلافة قد ارسلت تعزيزات مادية الى الجيش العباسي، مما حدا بترشك ومسعود البلالي الى نهبها والاستيلاء عليها^(٨).

- (١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ١٦٢، ابن خلدون، تاريخ، ٣: ١٠٦٥.
- (٢) ابن الاثير، الكامل، ١١: ١٦٢.
- (٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ١٤٨.
- (٤) ابن الاثير، الكامل، ١١: ١٦٢.
- (٥) جرت محاولة لضم تكريت في عهد المسترشد الا انها باءت بالفشل، ابن خلدون، تاريخ، ٣: ١٠٦٥.
- (٦) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٣٥.
- (٧) ابن الاثير، الكامل، ١١: ١٦٢، ابن خلدون، تاريخ، ٣: ١٠٦٥.
- (٨) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ١٥٣، ابن الاثير، الكامل، ١١: ١٨٩، الذهبي، المعبر، ٤: ١٢٩.

ويظهر ان ترشك وسعود ارادا تشتيت جهود المقتفي العسكرية ، وصرف نظره عن محاصرة تكريت ، فخرجوا مع قوة من جيشهما باتجاه طريق خراسان ، واعانسا الفساد والخراب فيه ، مما اضطر فيه الخليفة الى السير من بغداد بنفسه لطردها (١) . ولم يكف بذلك بل افرز قوة بقيادة احد امرائه لملاحقتها حتى حدود مراغة والانقضاء عليهما وتأديسهما (٢) . في الوقت نفسه كان المقتفي قد رجع مع الجيش المتبقي لحصار تكريت الا ان حصاره لها لم يدم اكثر من يوم او بضعة ايام (٣) .

ويظهر ان السبب الرئيس في تخلي المقتفي عن حصاره لتكريت بهيمنة السرعة ، انه وجد نفسه مضطرا لاعادة تحرير مدينة واسط التي تمكن السلطان ملكشاه من احتلالها وطرده مثل الخليفة منها (٤) . محاولا بذلك عرقلة مشاريع الخلافة واستعادة سلطة السلاجقة في العراق . واستطاع الخليفة فعلا تحرير واسط وطرده ملكشاه منها (٥) . وحلول شهر شوال من سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م تم ايضا تحرير مدينة البصرة بعد ان طرده منها نواب السلطان (٦) .

وفي مستهل شهر صفر سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م كرر المقتفي محاولته لتحرير تكريت ، فارسل قوة عسكرية لحصارها ، اعقبها بقوة اخرى قادها بنفسه ، وتمكن من دخول المدينة ، فيما هرب السلاجقة الى قلعتها والاحتماء بأسوارها ، الامر الذي اضطر فيه الخليفة الى ذلك القلعة واسوارها بالمجانيق التي حدثت شجرة فيهمسا واصدر اوامره لجنده بالزحف وقتال السلاجقة (٧) . وبعد قتال عنيف دام ما يقرب من

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٤ : ١٥٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٤ : ١٨٩ .
- (٢) ابن الفوطي ، تلخيص ، ٤ : ١٢٦ - ١٢٧ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٤ : ١٥٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٤ : ١٨٩ .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١٤ : ١٦٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٢٩ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٤ : ١٥٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٤ : ١٦٢ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٤ : ١٥٣ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٤ : ١٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٤ : ١٩٤ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ٣ : ٢٩٠ .

الخمسین يوماً^(١) ، وأدرك الخليفة استحالة تحقيق هدفه من هذا الحصار ، فعمد الى بغداد وأواخر شهر ربيع الأول^(٢) ، وهو ينوي الرجوع اليها مرة أخرى .

ويبدو ان المقتفي قد ايقن ان استعدادات جيشه لحصار تكريت لا تتناسب مع حصانة قلعتها وحجم الجيش السلجوقي فيها ، لذلك امر وزيره بالعودة الى حصارها مرة أخرى . باستعدادات عسكرية أكثر مع ضرورة الاكثار من الآلات الخاصة بذلك القلاع^(٣) . في الوقت نفسه دعا الجيش الى الالتحاق فوراً ، وتم استعراضه قبيل سيره الى تكريت^(٤) .

سار الوزير الى تكريت وأقام عليها الحصار حتى قرب من فتحها^(٥) . إلا ان محاولة السلطان محمد بدفع بعض الأمراء السلاجقة لاحتلال بغداد^(٦) ، أفشلت كل خطط الخلافة في تحرير المدينة فقد ارسل الخليفة الى الوزير يأمره برفع الحصار عن تكريت والعودة فوراً الى بغداد^(٧) .

وعلى الرغم من فشل كل المحاولات الجادة التي بذلتها الخلافة لتحرير مدينة تكريت من أيدي السلاجقة ، إلا انها أعطت مؤشراً ايجابياً على حيوية الخلافة ودور المقتفي المتميز في إعادة هيكلة الخلافة وتحرير العراق .

وفي سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م عقب الهزيمة النكراء التي مني بها السلاجقة فسي بجزءاً ، اراد مسعود البلالي وترشك تغطية هزيمة السلاجقة باحتلال مدينة واسط^(٨)

(١) بد ، الحصار يوم ١٢ و ٣ صفر واستمر الى يوم ٢٥ ربيع الأول سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٠٥ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٠٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٥ : ١٩٥ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٠٥ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٠٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٥ : ١٩٥ .

(٦) انظر ص ٦٧ من هذا الفصل .

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٠٥ .

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٠٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٥ : ١٩٦ .

الا ان المقتفي سرعان ما ادرك لمبتهما ، فأرسل وزيره الى واسط وتمكن من طردهما
واعادة تحريرها مرة اخرى (١) .

وفي السنة ذاتها ، ارسل الخليفة قوة عسكرية الى اللحف والبند يجيستن (٢) ،
وتمكنت هذه القوة من فرض سيطرة الخلافة عليها (٣) .

وفي سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م حاول المقتفي ضم مدينة اقوقا (٤) ، الى سلطنة
الخلافة العباسية ، فصار على رأس جيش كبير في شهر ربيع الاول ، وحاصر المدينة
بعد قتال عنيف (٥) ، الا ان حصاره لها لم يدم طويلا ، بسبب سماعه نبأ خروج
جيش من الموصل للدفاع عن المدينة ، لذلك آثر الانسحاب عنها ، وقفل راجعا الى
بغداد (٦) .

وفي جمادى الاخرى سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م تمكن الخليفة من استمساك
البطائح وضمتها الى الخلافة العباسية (٧) ، بعد ان ثبت لديه موقف اميرها المتخاذل
من حصار السلاجقة لبغداد ومساعدته للسلطان محمد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م (٨) .

(١) المصدران نفسهما والجزء والصفحة . الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٢ . الذهبي ،
المعبر ، ٤ : ١٣٥ .

(٢) اللحف والبند نجوين : صقع من نواحي بغداد ، سمي بذلك لانه في جبال
همدان ونهاوند ، وتلك وهود ونهما مما يلي العراق . ياقوت الحموي ، معجم
البلدان ١٦ : ٤٤٩ ، ٥ : ١٤٠ . وهي مدينة مندلي اليوم .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٦ .
E.I.(1) S.V. Muktafai, p. 720.

(٤) اقوقا : مدينة تقع بين اربل وبغداد ، وتسمى احيانا داقوقا . ياقوت
الحموي ، معجم البلدان ٢٦ : ٤٥٩ . وهي المعروفة الان بدقوق .

(٥) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ورقة ١٩٣ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ،
١٠ : ١٦١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠١ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠١ . ابن الوردي ، تاريخ ، ٢ : ٧٩ .

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٦ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٦ : ٤٥١ .

(٨) انظر الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

منتها سنة ٥٥٥٢هـ / ١١٥٢م ، كان المقتفي قد انجز تحرير القسم الأكبر من مدن العراق من أيدي المتسلطين السلاجقة ، وذلك آل " العراق من أقصى الكوفة الى حلوان ، ومن حد تكريت الى عبادان " (١) الى السلطة المركزية ببغداد .

اصلاح الاوضاع الاقتصادية والمالية :

على الرغم من المحاولات الإصلاحية الجادة التي قام بها بعض الخلفاء مسبقاً سبقوا المقتفي لتحسين الاوضاع الاقتصادية والمالية (٢) . الا انه لم يستطع استكمال هذه الإصلاحات او دعمها بشكل جدي في الفترة الاولى من خلافته على الاقل ، بسبب توليه الخلافة في ظروف صعبة ، سبق ان اشرنا اليها ، كما ان هذه الإصلاحات قد تميعت بشكل او باخر من قبل السلطة السلجوقية في العراق من جهة اخرى . فقد اكر السلاجقة من مصادرة اموال الناس ، عقب اغتيال المسترشد وهروب الراشيد من بعد (٣) . كما انهم طالبوا الخلافة بفرض الضرائب والغرامات لاستكمال الاموال التي التزم الخلافة بدفعها كعويضات رغم استحواذهم على موارد الدولة ، التي كانت متملة باجور دار الضرب والتركات الحشرية والجوالي (٤) . هذا الى جانب انهيار بعض المشاريع الاقتصادية الكبرى التي تم انجازها في بغداد ، نتيجة اهمال امرها وعدم ادامتها من قبل ممثلي السلاطين السلاجقة في بغداد كما حدث لمشروع النهروان مثلاً (٥) .

- (١) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٦ .
- (٢) جرت محاولة من قبل المسترشد سنة ٥١٩هـ لاصلاح اراضي السواد الزراعية ومزارعها . انظر ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٦٧ (نسخة مكتبة الدراسات العليا) ، وانظر ص من الفصل الاول .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٢ ، ٦٩ .
- (٤) المصدر نفسه ، الجزء ، ص ٦٦ .
- (٥) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ، ورقة ١٩٢ (م) . ابن شاذان الكندي ، عيون التواريخ ، ١٢ : ٤٤١ . وقد ذكر ياقوت الحموي عن النهروان بانه كان مبن اجمل نواحي بغداد ، واكثرها د خلا واحسنها مظهرها وابهاها . مهجسم البلدان ، ٥ : ٣٢٥ . ومن مشروع النهروان ، انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٤ ، ٩٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٧٧ .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد عقد الخليفة المقتفي العزم على اصلاح الاوضاع الاقتصادية والمالية ، منطلقا من ادراكه باهمية هذا العامل في بناء وتمتين الجبهة الداخلية اقتصاديا لمواجهة اية ازمة قد تعصف بالدولة في معركتها المقبلة مع المتسلطين الاجانب ، وذلك عن طريق اتباعه سلسلة من الاجراءات الاقتصادية - المالية ، برزت نتائجها الايجابية في اكثر من مناسبة ، سواء كان في نفقات استكمال الاستحكامات العسكرية واصلاح السور وغيرها ، ازاء محاولة احتلال الامراء السلاجقة بغداد سنتي ٥٤٣هـ / ١١٤٨م و ٥٤٤هـ / ١١٤٩م . اوفي مساعدة بعض الامراء والملوك السلاجقة بغية ضربهم ببعضهم كما حدث في مساعدة السلطان سليمان شاه او في نجاحه الاقتصادي في مقاومة الحصار السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م . حتى ان احد المؤرخين اشار الى هذه النقطة بقوله " . . . وكان جميع ذلك مسن خزانة الخليفة ولم يكلف احد شيئا ، ولا استقرض من ذوى الاموال " (١) .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ، كيف تم له ذلك ، في ظل الظروف المالية الصعبة التي واجهته ؟ وما تلك الاجراءات التي تم اتخاذها في هذا العدد ؟
 مما لا شك فيه ان اول اسباب نجاحه يعود الى ايمانه المطلق بأهمية المال ، فقد وصف بانه كان شديد الحرص على الاموال ، حتى اتهم من قبل بعض المؤرخين بانه كان محبا لجمعه وادخاره (٢) .

ان هذه الصفة التي نهزه بها طائفة من المؤرخين ، كانت احدى الدعائم التي ارتكز عليها المقتفي في تحسين الاوضاع المالية ، خاصة وانه تولى الخلافة والخزانة خاوية (٣) . وقد عبر المقتفي نفسه عن ذلك مخاطبا السلطان مسعود وخيبر

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٠ - ١٧١ .
 (٢) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٥ (م) . الخناسي ، المسجد المسبوك ، ٢م ، ورقة ٥٥ .
 (٣) ان مجموع ما نهب من المسترشد اثناء خسارته المعركة سنة ٥٢٩هـ كان عشرة ملايين دينار ، انظر تفاصيل ذلك ، ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣٠٣ . كما ان الراشد عندما ترك بغداد سنة ٥٣٠هـ اخذ معه من الجواهر مسن دار الخلافة ما لا يعرف له ثمن . الفارقي ، نهضة من تاريخه ، ص ٢٦٠ .

طالبه بالاموال " . . . ما رأينا اعجب من امرك ، انت تعلم ان المسترشد سار اليك بامواله فجرى ما جرى ، وعاد اصحابه عراة ، وولي الراشد ، ففعل ما فعل ثم رحل واخذ ما بقي من الاموال ، ولم يبق في الدار سوى الاثاث فاخذته جميعه . . . " (١) . ويظهر ان تمسكه الشديد بعدم الاسراف في تبذير الاموال وعدم انفاقها الا فسي المجالات التي ينهي ان تنفق فيها ، كعدم صرف مكافآت للشعراء او المغنين او ما شابه ذلك ، كان سبب غمزم هذا .

لم ترض فترة طويلة من خلافته حتى سعى المقتفي الى استرجاع واردات الدولة وهي اجور دار الضرب والتركات الحشرية والجوالي ، بعد ان ساوم السلطان عيسى دفع مبلغ عشرة الاف دينار مقابل ذلك (٢) ، ايماناً منه باهميتها كموارد ثابتة لخزانة الخلافة ، ورمزا لسلطانه . كما انه استطاع سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م من استرجاع " صريغين " (٣) من اقطاعيات عماد الدين زنكي (٤) ، بعد ان كان قد اقطعها اليه مع " حربي " (٥) ودر ب هارون في فترة سابقة (٦) . ويفهم من ابن الاثير ان المقتفي استطاع استعادة المناطق الاخرى بوفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م كذلك (٧) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٦ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٨-٦٩ .
 - (٣) صريغين : قرية كبيرة غناء ، كثيرة الشجر ، تقع على الضفة نهر دجيل ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ : ٤٠٣ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٨ .
 - (٥) حربي : بليدة في اقصى الدجيل بين بغداد وتكريت ، مشهورة بنسج الثياب القطنية التي تحمل منها الى سائر البلاد . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ : ٢٣٧ .
 - (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤٤ .
 - (٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٩٥ .

ومن المناسب ذكره هنا ان واردات " حربي " وحدها كانت قد بلغت ثلاثين ألف دينار سنوياً (١) . فاذا اضيفت واردات المنطقتين الاخرتين اليها ادركنا مبلغ العوائد المالية التي كانت تد ر على الدولة منذ سنة ١١٤٦هـ / ١٨٤٦م .

وبعد وان الفترة التي اعقبت وفاة السلطان مسعود سنة ١١٥٢هـ / ١٨٤٧م وما رافقها من نشاط لاعادة تحرير العراق من ايدي السلاجقة ، وحل اقطاعات الامراء السلاجقة في العراق (٢) ، قد زادت بشكل او باخر من واردات الدولة المالية . فعلى الرغم من استمرارية نظام الاقطاع بوصفه سهيلاً لدفع رواتب القادة والجنود ، الا ان المقطع في هذه الفترة اصبح ملزماً بارسال وارد الاقطاع الى بيت المال او المخزن بعد اخذ نصيبه منه (٣) .

وقد اهتم الخليفة المقتدي اهتماماً كبيراً بشؤون الزراعة ، وذلك من طريق تحسين نظام الري والعناية به ، نظراً لاهميته في تنشيط الزراعة . فلم يكن يفتقر من موقعة " بجمزا " منتصراً حتى اعز الى صاحب الديوان بحفر نهر الدجـ ل وتوسيعه (٤) . ونهر الدجيل هو احد فروع نهر دجلة ، ويسقي اكثر المناطق الزراعية الشمالية بين الفرات ودجلة والتي بضمنها طسوج قطريل (٥) واوانا وعكـرا (٦) وصرغين (٧) . حتى تدخل ذنائه منطقة الحربية ببغداد فتولف شبكة من الجسد اول

-
- (١) الفارقي ، تاريخ آمد ، ص ٢١٤ (القسم المحقق) .
 - (٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ ، ٢٦٦ . ابن دحيـة ، النهراس ، ص ١٥٧ .
 - (٣) الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٥ . الدوري ، مقدمة في التاريخ العربي الاقتصادي ، ص ٩٧ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ .
 - (٥) قطريل : طسوج من طساسيج بغداد ، وهي متنزهات لاهل بغداد ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ : ٣٧١ .
 - (٦) عكبرا : بلدة من نواحي دجيل قرب صرغين ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ : ١٤٢ .
 - (٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ : ٤٤٣ .

والقنوات لتسقي عددا من البساتين والقطائع (١). ويظهر ان بعض الخلفاء العباسيين قد ادركوا اهمية هذا النهر للنشاط الزراعي من قبل ، فقد امر المعتضد سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م بكريه وقلع الصخور التي تمنع انسياب المياه فيه ، كما ان الخليفة المستنصر اعاد حفر هذا النهر ووسعه لارواء اكبر ما يمكن من الاراضي الزراعية (٢) .

ولم يأل الخليفة جهدا في الاشراف المستمر على هذا المشروع الاروائي العظيم ، والاطلاع على مراحل الانجاز فيه ، حتى تم انجازه وزارة المقتفي واقام عند عدة ايام (٣) . ولم تعض فترة طويلة حتى كثرت الخيرات وهاد الزراع والفلاحون مما ادى الى رخص اسعار المواد الغذائية (٤) . بعد ان غلت ، وكثرت حالات الهجرة من الريف الى المدينة (٥) . حتى ليذكر ابن الجوزي عن تزايد اسعار المحاصيل الزراعية بقوله " .. وبلغ الكر الشعير اربعين دينار ، والحنطة ثمانين " (٦) .

ولم يغفل المقتفي تهئية اهم العناصر الملائمة لتنفيذ اجراءاته الاقتصادية الا وهي استتباب الامن ، لما له من اثر في ازدهار الحياة الاقتصادية ، فقد تنهع للصوص والمفسدين الذين كانوا يقطعون طرق المواصلات والقوافل و " نهضهم بقمعهم اتم نهوض " (٧) . واستطاع بذلك ايقاف نشاطهم الهدام ، فكانت ايامه نضرة بالعدل ، زاهرة بفعل الخيرات على حد تعبير صاحب كتاب المناقب العباسية (٨) .

-
- (١) احمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٢٠ ، ص ٩٩ .
 - (٢) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، ص ٣٤٦ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٨١ .
 - (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٤٦ .
 - (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ :
 - (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ .
 - (٧) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١٠ .
 - (٨) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤١ .

ولكي يبقى الخليفة على تماس مباشر بأوضاع الحياة الاقتصادية في الدولة كان لجولاته في بغداد ومدن العراق والتجوال بأسواقها^(١) اثر كبير فسي اطلاقه على النشاطات الاقتصادية من جهة ، ولمحاولة اصلاح الاوضاع الشاذة التي تعرقل هذا النشاط من جهة اخرى ، كما حدث في احدى جولاته ، حيث تمكن من ازالة ضرائب المكوس في واسط ، عندما احس بثقل وطأتها على الناس^(٢) .

والى جانب اهتماماته بتحسين الاحوال الاقتصادية والمالية ، كان شديد الاهتمام بالحاسبة لعماله حتى انه جعل احد قضاة متوليا لحاسبة العمال^(٣) . وقد عوقب هذا القاضي في احدى المرات وصادره ، بعد ان احس بانه قد مد يده الى اموال الناس^(٤) . ولجل ذلك كان كثير التاني في اختيار عماله ، حتى يصطفي من بينهم الانزة^(٥) .

واخيرا يمكننا تلخيص خطوط سياسته الاقتصادية والمالية ، من خلال معالجته للموضع الطاريء الذي فرض على بغداد ابان الحصار السلجوقي لها سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م ، والاجراء الذي اتخذه ، فقد تم تخزين كميات كبيرة من الفسلل والمواد الغذائية غير المعرضة للتلف^(٦) ، في اماكن اعدت لهذا الغرض تسمى

-
- (١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦١ ، ١٨١ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١٣٩ ، ١٥١ . ابن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ١٧٤ .
- (٢) ابن شاكر الكبي ، عيون التواريخ ، ١٢ : ٥٠٦ .
- (٣) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٥ (م) . الفسائي ، المسجد المسبوك ، ٢م ورقة ٢٣ (م) .
- (٤) الفسائي ، المسجد المسبوك ، ٢م ورقة ٢٣ (م) .
- (٥) انظر الاصبهاني ، الخريدة ، ٤ : ١٤٠ - ٥٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٨ : ١٠٥ (م) .
- (٦) يذكر ابن الاثير ، ان في طول الحصار كانت الغلات كثيرة الا الفاكهة والخضرة مما يدل على عدم خزنها ، الكامل ، ١١ : ٢١٤ .

"الاهراء" تحسبها لطول فترة الحصار (١) .

ولاجل عدم السماح للناس من التمييز والاسراف في المواد الغذائية فقد قننت الخلافة الكميات التي تطرح في الاسواق من المواد الغذائية بأكثر من مائة كر من القمح يوميا (٢) . وعندما احس بشبح الغلاء قد اطل برأسه نتيجـة لاشتداد الحصار وطول الفترة ، سارع الى اتخاذ اجراءات اكثر فعالية ، كـسـان الغرض منها ، عدم زعزعة ثقة الجمهور البندادى بالخلافة ، وذلك عن طريق امتصاص تزايد الاسعار ، بزيادة كميات المواد الغذائية المطروحة في الاسواق (٤) . في الوقت ذاته كان قد امر وزيره بتوزيع الغلال على جند ، كاعطيات بدلا من النقود ، اذ راکـا منه بانهم سيحتاجون الى اثمان بعض هذه الغلال في نفقاتهم اليومية . فيضطـرون حينئذ الى بيعها في الاسواق ، وبالتالي زيادة عرض هذه الموارد وانخفاض اسعارها (٥) .

وقد اثنى البندارى على هذا الاجراء الاقتصادي البارح آبان حصار بغداد بقوله " .. وما زاد سعر في الاوقات ، ولا غلا مطعموم في وقت من الاوقات " (٦) .

كسب الراى العام :

أ - كسب العامة وموقفهم من الخلافة :

انقسم الجمهور البندادى الى طبقتين رئيسيتين ، حدد هما ابن الجوزى

-
- (١) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣١ .
 - (٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ .
 - (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٤ . البندارى ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٣١ .
 - (٤) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٠ .
 - (٥) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٤ .
 - (٦) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣١ .

بقوله " فالرعايا على ضربين ، خواص وهوام " (١) . فالخواص هم اصحاب الخليفة من بني العباس ومن كبار رجال الدولة " وزراء وقواد وكتاب " وكل من له علاقة بالسلطة (٢) . اما العامة فانهم خلاف الخاصة . وقد " قيل ذلك لما كانوا كثيرين لا يحيط بهم البصر فهم في ستر عنه " (٣) . فهم سواد الناس من لم يكونوا يتمتعون بأى سلطة والذين يعملون في شتى حقول الكسب ، ويعيشون في عالم خاص يتدنى من مستوى عالم الخاصة ، وتنحصر في ثلاث فئات اساسية هي الرقيق واهل الذمة وسائر اصناف الكسبة (٤) .

برز دور العامة منذ اوائل القرن الثالث الهجرى كقوة لها ثقلها في الحياة السياسية والعسكرية ، وتأكد هذا الدور المميز لهم بعد مقتل المتوكل عام ٢٤٧هـ / ٨٨١م على ايدى الاتراك ، كما برز دورهم بشكل جلي في عهد المستعين والمعتز (٥) .

ومع ظهور المتسلطين الاجانب (بويهيين وسلاجقة) كقوى اساسية في توجيه سياسة الدولة ، اصبحت العامة القوة الشعبية المعارضة التي يلجأ اليها الخلفاء عند الازمات ، ويستعينون بقوتها التي اثبتت جد ارتها العسكرية في مهاجمة السلطة الاجنبية في اكثر من مناسبة ، لاستعادة هيبة الخلافة وتأكيدهم السياسي (٦) . لذلك فقد حاولت الخلافة التقرب اليهم وكسبهم الى جانبها في مقاومة التسلط

-
- (١) ابن الجوزى ، الصباح المضي ، ١ : ٢٧٦ .
 - (٢) بدرى محمد فهد ، العامة ، ص ١١ .
 - (٣) الصقدي ، نكت الهميان في نكت العميان ، ص ١٠ .
 - (٤) فهمي عبد الرزاق سعد ، العامة ، ص ٦٢ .
 - (٥) انظر الدورى ، عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادى العربى ، ص ٦٢ - ٦٩ .
 - (٦) فهمي عبد الرزاق سعد ، العامة ، ص ٣١٩ .

السلجوقي (١).

وقد أدرك الخليفة المقتفي أهمية هذه القوة في صراعه المرتقب مع السلاجقة تمهيدا لتحرير العراق ، لذلك عمل جاهدا في كسب العامة ، وذلك عن طريق التزامه المباشر بمصالحهم وتطلعاتهم ، ومنذ الأيام الأولى لخلافته ، فقد أذن الخليفة ببيع عقاره الخاص لتسديد المبالغ التي اقترها السلاجقة على الناس ، وعمد أن لاحظ شدة ما يعانيه الناس من السلاجقة من جراء كثرة المصادرات لأموالهم (٢).

وحيث عاد السلاجقة مطالبين بالخلافة بعد مدة ، بغرض الضرائب والغرامات ومصادرة بعض أرباب الأموال ، وقف المقتفي موقفا جريئا موثقا أعق تفهمه لمسؤوليته في حماية رعاياه ورفع الحيف والظلم عنهم ، حيث كتب للسلطان مهيدا إياه بترك بغداد وموكله له بقوله " .. فاني عاهدت الله تعالى أن لا أخد مسن المسلمين حبة واحدة ظلما " (٣). الأمر الذي أصبح فيه السلطان مضطرا إلى إيقاف مثليه عن مطالبة الناس بالأموال (٤).

ولمنع السلاجقة من التلاعب بقيمة النقود وتحجيم وقوع الضرر على الناس (٥) ، فقد تمكن المقتفي من إشغال مشروع السلطان مسعود في عمل دار ضرب للنقد فسي بغداد سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م ، وذلك عندما أمر بالقضاء القبض على الضراب السدي كلفه السلطان لإنشاء دار الضرب ، مما حدا بالسلطان بالإيعاز إلى شحنة بغداد بالقضاء القبض على حاجب الباب ، ومعض خواصه لمساومة الخليفة للأفراج عن الضراب ،

(١) انظر محاولات المسترشد بالتقرب من العامة ، ص ٣٢ من الفصل الأول .

(٢) ابن الحوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦١ - ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ٦٠٦ .

(٤) المصدر نفسه والجزء ، والصفحة .

(٥) عن تلاعب السلاطين بقيمة النقود انظر يوسف غنيمه ، النقد العباسية ،

مجلة سومر ، م ٩ لسنة ١٩٥٣ ، ص ١٢٩ .

الا ان المقتفي رفض ذلك وبادر الى اغلاق مساجد وجوامع بغداد لمدة ثلاثة ايام احتجاجا على انتهاك حرمة ، فاضطر السلطان للافراج عن اصحاب الخليفة (١) .

ولم يدخر الخليفة وسعا لتحسين احوال الناس المعاشية ، باهتمامه وعنايته بالمشاريع الاروائية لازدهار الزراعة وتحسين اوضاع الفلاحين والزراع كما بينا سابقا . ومن المحتمل انه قام ببعض النشاطات الاقتصادية الاخرى ، لم يشر اليه المؤرخون ، خاصة وانه كان حريصا على التقرب من الناس وكسب مودتهم (٢) .

ولم ينس الخليفة اهتمامه بالطبقة المسحوقة من المجتمع ، ومعالجة اوضاعهم المالية المتردية ، فكان يقدق عليهم الاموال ويفرق فيهم الكسوة (٣) . ويجرى في بعضهم الاخر الاعطيات الشهرية (٤) . وحتى في اقصى الظروف التي عاشتها الخلافة وبغداد اثناء الحصار السلجوقي لها ، ساهم في تخفيف آلام ضعاف الحال . ففي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م قبض الجيش السلجوقي المحاصر لبغداد على بعض العامة ممن كانوا يجلبون الحطب والمليف من خارج سور بغداد لبيعها داخل بغداد للاستفادة من اثمانها في نفقاتهم اليومية ، عاقبهم ، بقطع اذانهم وخرم انوفهم ، فتقدم الخليفة بعد اوانتهم وقسم فيهم مالا (٥) . او عن طريق صرف مكافآت نقدية لجرص المعركة ، حيث " ان الخليفة امر فنودي ، كل من جرح فلسه خمسة دنانير ، فكان كلما جرح انسان يعطيه خمسة دنانير " (٦) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٢٠ .
 - (٢) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٧١ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٨٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٢١ .
 - (٤) ابن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ١٧٤ .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٣ .
 - (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٤ . وانظر ايضا الباهر ، ص ١١٣ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠ .

وكان الخليفة المقتفي ينتهز المناسبات ليعبر فيها عن اتصاله بالجمهور ،
ففي سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م ، بعد ان انقذت حياته ، عندما احترق قصر الخلافة
وهو بداخله ، امر باطلاق المحبوسين في سجون بغداد (١) .

كما كان شديد الحرص على اشاعة العدل ومنع تجاوز موظفي الدولة وكسار
امرائه على كرامة الناس او ظلمهم حتى وصفه احد المؤرخين بانه " آخذا على يده
الظالم ، آخذا بيد المظلوم (٢) . فقد كان يأمر اصحابه بان لا يضربوا احدا من
العامة بمقرعه (٣) . وفي احد المرات دعا الناس للحضور الى الديوان وموافقة احد
كبار رجال دولته عما اخذ منهم من الاموال ، بعد ان القى القبض عليه (٤) .

ويظهر ان للجولات التفقدية التي كان يقوم بها ببغداد في بعض مدن
العراق اثر بارز في توثيق وتدعيم صلته بالجمهور ، ففي سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م استغل
موسم الحج ، فسار مع الحجاج يشيخهم حتى وصل بهم الى النجف ودخل الكوفة
وتجول في سوقها واطلع على احوال الناس المعاشية هناك (٥) . ولم تعض فترة طويلة
على زيارته هذه حتى زار الانبار وسار في اسواقها ودروسها ، واطلع على احوال
الناس الاقتصادية والاجتماعية (٦) .

وعقب انتهاء الحصار السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م ، تفقد ما
احدته الجيش السلجوقي من خراب ودمار في بغداد وبعض من قراها " فسار يفتقد
السور من اوله الى آخره . ثم الى الجانب الغربي ، فنظر اثار الخراب وما احتسرق

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٩ .
 - (٢) ابن دحية ، النبراس ، ص ١٥٧ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٨ .
 - (٤) المصدر نفسه والجزء ، ص ١١٩ .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦١ . الذهبي ، العبر ، ٤ : ١٣٩ .
 - (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ .

من الدور ، ثم عاد . . فاطلق مالا كثيرا " ثم تلفد اوانا ^(*) (١) .

وفي سنة ١١٥٣هـ / ١١٥٨م قام المقتفي بزيارة مدينة الانبار مرة ثانية ، لتفقد احوالها وللاطمئنان على الوضع المعاشي للناس فيها ^(٢) . ومنها سار الى كربلاء . وادى مراسيم الزيارة هناك ^(٣) . وفي السنة ذاتها زار مدينة واسط وسار في اسواقها واطلع على الاوضاع الاقتصادية فيها ^(٤) . " فاحسن الى اهلها وازال المكوس ونظـر في امورها وعاد الى بغداد " ^(٥) ، وفي طريق العودة زار المدائن ^(٦) .

ومحلول سنة ١١٥٤هـ / ١١٥٩م زار واسط للمرة الثانية وتفقد اسواقها ومعالها العمرانية ^(٧) . وقد استقبل اهالي واسط زيارة الخليفة هذه استقبالا حافلا ، نقله لنا الاصبهاني ، الذي شارك في استقباله اثناء وجوده هناك ^(٨) . ومن واسط قام الخليفة بزيارة البطائح ^(٩) .

وفي سنة ١١٦٠هـ / ١١٦٥م قام المقتفي بزيارة مدينة هيت واجرى بعض الاصلاحات الاقتصادية فيها وعاد الى بغداد ^(١٠) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ - ١٢٦ .
 - (*) اوانا : بلدة من نواحي دجيل ، تبعد عن بغداد بعشرة فراسخ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ : ٢٢٤ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨١ .
 - (٣) الذهبي ، العبر ، ٤ : ١٥١ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨١ .
 - (٥) ابن شاکر الكتبي ، عيون التواريخ ، ١٢ : ٥٠٦ .
 - (٦) الذهبي ، العبر ، ٤ : ١٥١ .
 - (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨٩ .
 - (٨) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٤ .
 - (٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .
 - (١٠) المصدر نفسه ، الصفحة .

ومن جهة أخرى يظهر ان الخليفة المقتفي قد ساهم بشكل فعال بتحسين اوضاع اهل الذمة وكسبهم الى جانب الخلافة ، اذ راکا منه بحقيقة مكانتهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة العباسية ، سيما وان بغداد وحدها قد ضمت حوالي اربعين الى خمسين الف ذمي في اوائل القرن الرابع الهجري^(١) . فقد اعطى المقتفي اهل الذمة المكانة اللاتقة من خلال اهتمامه بروح وسانهم . فيذكر ماري سليمان في مراسيم تقليد الجائليق مار عبد يشوع المعروف بابن المقلي ، انه حضر باب الحجرة الشريفة في ثالث شهر ربيع الاول سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م وسلم اليه المقتفي نفسه العهد ووضع على رأسه الطرحة^(٢) بين يدي الوزير ، وتقدم اليه بالنهوض ، فخرج وركب معه صاحب الشرطة والحجاب لقصد البيعة في سوق الثلاثاء " ولم يسمع ان جائليقا قبل هذا حضر باب الحجرة وتسلم عهد ، ولبس الطرحة " ^(٣) .

كما انه اعاد رئاسة الجالوت اليهودية الى سابق ما كانت عليه من مكانة ، بعد ان ساءت احوالهم بسبب تسلط العناصر الاجنبية على السلطة^(٤) . فقد ايد حقوق اليهود في اوقاف مرقد " حزقيال " ، ومنع تلاعب موظفي الدولة بها . كما انه اظهر عناية كبيرة بهذا المرقد ^(٥) .

(١) ادم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ، ص ٦٣-٦٤ . ويذكر بنيامين التيطلي الذي زار بغداد بعد سنة ٥٦٠هـ ان بغداد ضمت حوالي اربعين الف يهودي ، الرحلة ، ص ١٣٥ .

(٢) الطرحة : لباس خاص بالمدرسين والقضاة ، يضعونها فوق العمامة ، فاذا خلع المدرس اصبحت يدون طرحة ، انظر ، ناجي معروف ، علماء النظاميات ، ص ٢٤٦ . دوزي ، رينهارت ، المعجم المفصل باسماء الملايس عند العرب ، ص ٢١٢ - ٢١٦ .

(٣) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة كرسي المشرق ، ص ١٥٢ . عمرو بن متي ، اخبار فطاركة كرسي المشرق ، ص ١٠٦ .

(٤) عزرا حداد ، ملحق مع رحلة بنيامين التيطلي ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٥) بنيامين التيطلي ، الرحلة ، ص ١٤٤ . ومرقد حزقيال من اهم وأقدس المزارات اليهودية في العراق ، يقع بالقرب من الحلة على شاطئ الفسرات ، يحج اليه اليهود من اقاصي البلاد للتبرك به ، انظر الرحلة ، ص ١٤٢-١٤٣ .

موقف العامة :

اثار اغتيال المسترشد موجة عارمة من الاستنكار الشعبي ، عبر فيها اهـل بغداد عن مدى تعلقهم بخليفتهم الذي استطاع استمالتهم الى جانبه في معركته مع المتسلطين ، فقد ثارت نائرة البعض منهم ووشوا على الخطيب وكسروا المنبر ومنعوا الخطبة (١) . واكثروا سب السلطانين مسعود وسنجر اقبح سب (٢) . وفيما خرجت نسوة بغداد حاسرات الرؤوس يلطمن وهن منثورات الشعور (٣) كانت هناك جماعـة من عامة بغداد قد اشتبكت مع الجند السلاجقة معبرة عن سخطها (٤) .

لم يتمكن الراشد من استغلال هذا المد الشعبي فينظمه ويجعل منه قوة يستخد منها في مواجهة السلاجقة ، بسبب اضطراب الاوضاع وانقسام انصاره وعجزه عن السيطرة على الحكم (٥) . الا ان الخليفة المقتفي استطاع مد جسور الصلة بينه وبين اهل بغداد ، وابدى جهودا قيمة في هذا المضمار كما بينا سابقا . وذلك تمكن من تحشيد طاقاتهم وتفجيرها باتجاه اهدافه الرامية باعادة هـيئة الخلافة وتحرير العراق .

عبر جمهور بغداد عن هذه الصلة في اكثر من مناسبة ، سواء كان ذلك من خلال استجابتهم لنداءات الخليفة للدفاع عن بغداد او في دعم خطواته . وكان البداية سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م ، عند ما فرض بعض الامراء السلاجقة حصارا حول بغداد ، فقد هب اهالي بغداد مليون نداء خليفتهم بلبس السلاح " فخرج الناس بالمعدة التامة " (٦) . وابدوا حينها شجاعة فائقة وورا مميذا في دفع الامراء السلاجقة عـن

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠٥ : ٤٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ١١ : ٢٦٠ .

(٢) ابن دحية ، النبراس ، ص ١٥١ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠٥ : ٤٩٠ . ابن الاثير ، الكامل ١١ : ٢٦٠ . الباهر ، ص ٥٠ .

(٤) المصادر نفسها .

(٥) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠٥ : ١٣٣ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١١٨ .

بغداد بالرغم من الخسارة البشرية التي منيت بها العامة^(١)، حتى ان صبيان بغداد عبروا عن عمق تعلقهم بقائد هم حين امتدت ايدى المحاصرين الى غلال الخليفة فخرجوا " يقاتلونهم بمبارز الصوف ، والمقاليع وقتلوا جماعة منهم " (٢) .

ان طبيعة الارتباط بين الخلافة والجمهور قد م لنا نموذجا حيا للتمسك المشترك بينهما ، فقد افرزت هذه الحادثة نقطتين هامتين ، اولاهما تأكيد الدور البطولي لاهل بغداد ، وسرعة استجابتهم لنداء الخليفة ووقوفهم الى جانبه ، فبعد ان انتهت حركة الامراء ، نادى باصلاح السور " فخرج العوام بالدياب والبقعات وجاء اهل المحال فعمرو ، وحفر الخندق " (٣) . معبرين بذلك عن فرحتهم بانتصارهم على السلاجقة . وثانيهما التزام الخليفة المباشر بمصالحهم ، فحين فشلت حركة الامراء طلبوا العفو من الخليفة لقاء ما فعلوا ، الا انه رفض الصفح عنهم الا بعد ان يستحلوا من اهالي القتلى من العامة^(٤) .

وفي ايام الحصار السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م ، ترك لنا اهل بغداد صورا بطولية في الدفاع عن مدنتهم ، اثبتوا من خلالها عمق ارتباطهم بماضيهم النضالي المشرق في مقاومة كل غزو اجنبي . فقد اسقط الخطر المحدق ببغداد كل اشكال التمايز الطبقي والاجتماعي ، واستجابت جماهيرها لنداء الخليفة لحمل السلاح " فحمل العوام والتجار والروءساء ثياب الحرب " (٥) . حتى الحجاج الذين وصلوا وقتئذ ، عظم الامر في نظرهم وهم يرون عاصمة دلتهم في هذه الظروف ، قد خلوها رغم الحصار الشديد^(٦) .

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٣٣ . وقد قتل في هذه المعركة حوالي خمسمائة رجل من العامة .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ .
- (٤) المصدر نفسه ، الجزء ، والصفحة .
- (٥) المصدر نفسه ، الجزء ، ص ١٢٠ .
- (٦) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ح ٨ ، ورقة ١١٤ ب (م) . لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٨٠ .

وقد قدم لنا ابن الجوزي صوراً بطولية عن صبيان بغداد ومقاتلتهم للجيش السلجوقي ، بشتى أنواع الأسلحة من مقاليع وزراقات النار ومبارز الصوف وقوارير النفط (١) حتى بلغ ان اصحاب المراكب من عامة بغداد اخذوا يقلبون مراكبهم في نهر دجلة وهي محملة بالجند السلجوقي ، بعد ان ارغمهم السلطان محمد على نقل جندهم الى الجانب الشرقي من بغداد ، حتى اصبح الجند " لا يتقون بالركوب معهم فيها " (٢) .

وقد ضرب اهل بغداد مثلاً في الاندفاع البطولي في قطع امدادات الجيش السلجوقي القادمة اليه من جهة الموصل وغيرها من طريق النهر ، الامر الذي امتنع فيه امير الموصل عن تزويدهم المواد الغذائية وغيرها بعد هذه العمليات (٣) . وقد عبر الاصبهاني عن موقف عامة بغداد من الجند السلاجقة بقوله " . . . وانخرقت مهابتهم عند اهل بغداد ، فطلبوا بكل نوع عليهم الاستحواذ ، فصاروا يكسبونهم في الضياع ، ويغافسونهم - يأخذونهم على غرة - بالقراع ، ويقطعون الطرق على علوفتهم ، ويوجدون السبل الى تكثير مخافتهم " (٤) .

وعبرت عامة بغداد عن سخطها الشعبي واستيائها بهجومهم على السداد السلطانية التي كانت رمزاً من رموز التسلط الاجنبي في العراق ، واستطاعوا اجلاء السلاجقة عنها وابعدوهم ونهبوا ما فيها من اموال وقلعوا ابوابها (٥) .

وقد مت جماهير مدن العراق هي الاخرى صوراً بينت الارتباط الوثيق بينهما وبين السلطة المركزية في بغداد . فقد استقبل اهالي الحلة نبأ سير الجيش العباسي

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ .
 - (٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٠ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٣ .
 - (٤) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٣ .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٥ . ابن الاثير ، الباهر ، ص ١١٤ .

لتحرير مد ينتهم بالثورة على الجيش السلجوقي المتواجد هناك ، وهتفوا بشعبسار الخليفة المقتفي (١) . كما ان اهالي واسط عبروا عن ذلك بدفاعهم عن مد ينتهم ضد الجيش السلجوقي الذي اراد سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م احتلال المدينة ، فقد فتحوا بشقا على الجيش السلجوقي ، ففرت قسم كبير منهم ، الامر الذي ادى الى انسحابهم والرحيل عنها (٢) .

ومن جهة اخرى عبرت العامة من خلال مساهماتها في احتفالات الخلافة العباسية التي تجلى فيها الطابع الوطني عن تأييد ها وتجاوزها مع الخلافة ، فعقب تحرير واسط والكوفة والحلة احتفلت الخلافة لمدة اسبوع ، وضاد فافي هذه الاحتفالات ان خطب لولي العهد ، فاستمرت الاحتفالات واعيد تعليق الزينة ، فساهمت العامة في هذه الاحتفالات مساهمة فعالة عبروا فيها عن فرحتهم (٣) . وقد حدث مثل ذلك بعد فشل محاولة السلاجقة باحتلال بغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م فخرج الناس يلعبون بانواع اللعب فرحا بالانتصار ، كما ان الصبيان الذين قاتلوا السلاجقة اخرجوا الطبول والابواق واسلحتهم واخذوا يلعبون ويضحكون وخرج الناس كلهم يتفرجون عليهم (٤) .

ولمخ من تعلق الجمهور بالخليفة المقتفي الذي اصبغ على ما يبدوا رمزا وطنيا لهم ، ان احتفلوا سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م احتفالا شعبيا كبيرا بعد شفائه من المرض

-
- (١) ابن الجوزى ، الكامل ١١٤: ١٦١ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣: ١٠٦٥ .
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ١١٤: ٢٣٧-٢٣٨ . المعاضدي ، عبد القادر ، واسط في العصر العباسي ، ص ١٠١ .
 (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠: ١٤٨-١٤٩ . وانظر بدي محمد فهد ، العامة ، ص ٢٠٩ .
 (٤) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠: ١٧٥ .

الذي داهمه ، فضربت الطبول ، وعلق البلد اسبوعا كاملا (١) . وتكررت الصورة مسرة اخرى ، عندما مرض سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م فقد انزعج الناس " وماج البلد وعسدم الخبز من الاسواق " (٢) .

موقف العيارين والشطار :

ان تطور المدن العربية الاسلامية وما رافقه من تحولات اساسية في بنية المجتمع العربي الاسلامي ، ادت الى ظهور تنظيمات بين العامة ، هي تنظيمات العيارين والشطار التي عبرت عن رأى العامة في الاحداث السياسية والاجتماعية ، متخذة خطأ يتميز بالثورة على السلطة واصحاب الاموال وخاصة التجار منهم (٣) .

وقد برزت هذه التنظيمات كحركة شعبية مسلحة قامت بدور مهم في التاريخ العربي الاسلامي كحرب الامين والمأمون ، حيث اتيج لها فرصة التدخل في الحرب لنصرة الامين بوصفه خليفة الامة الشرعي (٤) . وظهر دورهم ثانية عند استداد الصراع بين الخليفة المستعين والأتراك وايدوا حين ذلك صمودا رائعا في الدفاع عمن بغداد امام الأتراك (٥) . وليس من مجال هنا لسرد تفاصيل نشاطهم العسكري لان ذلك يخرجنا عن موضوعنا ، الا ان الامر الذي يهمننا ان ظهور العيارين والشطار واستمرار نشاطهم قد ارتبط بقوة السلطة او ضعفها (٦) .

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨٨ - ١٨٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١٦ : ٢٥٢ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٢ .

(٣) الدورى ، عبد العزيز ، مقدمة ، ص ٧٢ - ٧٦ . فهمي عبد الرزاق سعيد ، العامة ، ص ٢٩٦ .

(٤)(٥) انظر الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، ٨ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٤٣ ، ٩ : ٢٩٦ ، ٣٠٩ . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ .

(٦) انظر الدورى ، عبد العزيز ، مقدمة ، ص ٧٣ ، فهمي عبد الرزاق سعيد ، العامة ، ص ٣٢٠ .

ومع تزايد تسلط العناصر الاجنبية على الحكم ، ازدادت فعاليتهم ونشاطاتهم اضافة الى تزايد اعدادهم ^(١) . حتى اصبح لهم " في كل حرب امير " وفي كل محلة متقدم ^(٢) .

ومع دخول السلاجقة بغداد وكتيجة للسياسة القاسية والصارمة التي انتهجوها تجدد نشاط العياريين الى حد ما ، وعلى الاخص في سنوات تسلطهم الاولى على العراق ^(٣) ، وفي اواخر القرن الخامس الهجري واولئ القرن السادس برز دورهم بعض الشيء ، حيث حدثت بينهم وبين السلاجقة بعض المناوشات ^(٤) .

الا ان سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م وما رافقها من احداث ، وكتيجة لاحساسهم بالفراغ الامني ، استعاد العيارون نشاطهم وازدادت فعاليتهم بشكل واسع ، فقاموا باخذوا يهاجمون دكاكين البزازين ويطالبونهم بالذهب ويتهددونهم بالقتل ، الامر الذي حدا بشحنة بغداد السلجوقي الى اتخاذ اجراء امني للحد من فعاليتهم عن طريق تعيين شحن له في كل محلة من محال بغداد ^(٥) . وفي السنة ذاتها واثناء حضار السلطان مسعود لبغداد ثار العيارون في سائر محال بغداد حتى انتههم تمكنوا من قتل رسول عماد الدين زنكي واخذ رسائل السلطان مسعود المرسله اليه ^(٦) . وعند ما دخل السلاجقة بغداد ثار العيارون مرة اخرى وفتكوا بالبلد ونهبوا الاموال ظاهرا فاضطر شحنة بغداد الى ان يقصد دار الرقيق ^(٧) لطلب العيارين الا ان اهل

- (١) انظر الدورى ، عبد العزيز ، مقدمة ، ص ٧٣ .
- (٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ : ٧٥ .
- (٣) يذكر فهمي عبد الرزاق سعد ان العيارين ايدوا العهد السلجوقي في هذه الفترة ، العامة ، ص ٢٥٩ .
- (٤) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٣٠١ ، ٣٣٧ - ٣٣٨ ، ٣٧٨ ، ٥٤٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٨١ .
- (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٥٨ .
- (٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٥٨ - ٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤٠ - ٤١ .
- (٧) دار الرقيق : محلة ببغداد بالجانب الغربي ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٢ : ٤٢٠ .

المحال الغربية من بغداد ثاروا ضدّه ووقفوا بجانب العيارين عندئذ امر الشحنة بحرق بعض الدور والشارع ونهب الاموال التي فيه (١) .

وفي سنة ١١٣٦هـ / ١٨٢١م ، اتسع نشاط العيارين واستطاعوا من احسدى المرات من كبس احد دور التجار واخذ اموال كثيرة متحدين السلطنة السلجوقية ، حيث افهموا صاحب الدار بقولهم " لا تتهموا احدا نحن الحماة بالموضع الفلاني " (٢)

وفي سنة ١١٣٧هـ / ١٨٢٢م وعندما شرع سلجوقشاه بن السلطان محمد فسي الاستيلاء على بغداد واسقاط خطبة مسعود ، خرج اليه شحنة بغداد لايعداد عنها ، استغل العيارون الموقف فثاروا ونهبوا واستفحل امرهم ، حتى اذا عاد الشحنة امر بتتبعهم ، فقتل منهم الكثير وطلب اخرين " وكثر الظلم ، واخذ المستورين بحجة العيارين " (٣) .

ابرزت هذه الاحداث ظهور زعيمين من زعماء العيارين هما " ابن بكران وابن الهزاز " ، وكثر اتباعهما ، وصار احدهما يركب كالامير في ظل حماية جماعته ، وبلغ من شأنهما انهما ارادا ضرب سكة باسميهما ، حتى ان صاحب الشرطة خاف من استفحال امرهما ، وتوجيه من وزير الخليفة وشحنة بغداد امر صاحب الشرطة ابن اخيه حامي باب الازج (*) من ان يدخل في صفوفهم ليتسنى له قتلها ، وفعلا تم القضاء عليهما بعد مدة (٤) .

-
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ٤٥: ١١ .
(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٩: ١٠ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٦١: ١١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧٢: ١٠ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٦٣: ١١ - ٦٤ . ابن خلدون ، تاريخ ، ١٠٦٣: ٣ .
(*) باب الازج : محلة كبيرة ذات اسواق كثيرة ومحال كبار في شرق بغداد ، فيها محال عديدة كل واحدة منها تشبه ان تكون مدينة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٦٨: ١ .

وعلى الرغم من الهدوء النسبي الذي هيأه مقتل زعيمى العيارين ، إلا ان نشاطهم برز سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م حيث " كثرت كبسات العيارين وصاروا يأخذون الناس مجاهرة " (١) .

ومجى السلطان مسعود سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م الى بغداد ، كانت فعاليات العيارين قد بلغت ذروتها ، فقد كثرت كبسات دور الناس والحمامات ، حتى انهىهم دخلوا يوما على خان بسوق الثلاثاء^(٢) في وضع النهار وطلبوا من التجار الاموال وهددوهم بحرق الخان^(٣) . وازاء تبسط العيارين هذا عزل السلطان شحنة بغداد وعين اخربد لا عنه ، الا ان اجراءات الاخير باءت بالفشل " لان كل قوم منهم - العيارين - احتموا بامير " (٤) . فقد كان ابن وزير السلطان السلجوقي واخ زوجة السلطان " ابن قاورت " يقاسمان العيارين ما يسلبونه من الناس (٥) .

وفي ظل هذه الحماية التي وفرتها هاتان الشخصيتان ، تزايد نشاط العيارين حتى دخلت سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م وقدّم السلطان بغداد مرة اخرى " فنزل اصحابه فسي دور الناس ، وتضاعف فساد العيارين بدخوله " (٦) وضع الناس بضيق المعاييس فغلغلقوا الدكاكين والخانات وعبروا عن استيائهم وسخطهم بكسر المنابر واغلاق باب الجامع احتجاجا على ذلك (٧) . ازاء ذلك استدعى السلطان مسعود شحنة بغداد لمحاسبته عن

(١) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٨٦ .

(٢) سوق الثلاثاء : سوق بغداد ، اشتهر ببيع البز . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٣ : ٢٨٣ .

(٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٩٥ .

(٤) (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٩٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٨٩ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٦١ - ١٠٦٢ .

(٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٧) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ٨ : ١٨٣ .

تلكوه في احلال الامن ، فافهم السلطان بحقيقة الامر " يا سلطان العالم اذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك واخا امرأتك ، فافى قدرة لي على المفسدين " فاضطرب السلطان الى اعطاء اوامره بالقاء القبض عليهما وصلبهما ، فقبض على اخ زوجة السلطان فصلب ، اما ابن الوزير فقد هرب ، وقبض على مجموعة كبيرة من العيارين بينمسا لاذ الاخرون بالفرار (١) .

وفي الفترة التي اعقت وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م حاول المفتي انتهاز الفرصة بالتقرب من العيارين وتوجيههم بما يخدم اهدافه في استعادة سلطته وتحرير العراق ، مدركا حجم قوتهم العسكرية من جهة ، وما تحظى به حركتهم من تأييد العامة لها وخضوعها لاوامرهم من جهة اخرى ، فدعاهم للانخراط في جيش الخلافة العباسية الفتية ، ويظهر انهم لبوا ندائه وتمكن من تجنيد الكثيرين منهم (٢) .

وابان الحصار السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م لعب العيسارون والشطاردورا مهما وتميزا في الدفاع عن بغداد وسهاجمة الجيش السلجوقي (٣) ، حتى برز احد زعمائهم واسمه " ابو الحسين العيار " في هذه الفترة ، حيث تمكن في احدى المرات من قيادة مجموعة من تنظيماته ومعملية جريئة استطاع مباغتة طلائع الجيش السلجوقي ليلا واشاعة الرعب والخوف فيهم (٤) .

بعد هذا الاستعراض التاريخي لفعاليات العيارين والشطارد ، لابد من تحديد اهم السمات التي اتسمت بها هذه الحركة والمجالات التي كانت تتحرك فيها في هذا العصر .

لقد استمر ظهور العيارين مرتبطا بقوة السلطة ، فكانوا يشطرون كلما احسوا بغراغ امني ، او كلما كان الشحنة او صاحب الشرطة ضعيفا ، فمن حالات الفراغ الامني

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٩٥ .
- (٢) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص ٤٧ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٣ . البند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٤ .

كان خروجهم سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م ، وسنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م . كذلك الحال في وجود شحنة او صاحب شرطة ضعيف ، كما حصل سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م عند ما رتب ابراهيم صاحب بدلا من الشريف الهاشمي " فكان لا يطوف ولا تنفع حمايته " (١) .

وقد حظيت حركة العيارين بتعاطف العامة معها والتفافها حولها في ثورتها ضد السلطة السلجوقية في بغداد ، كما حدث بوقوف اهل المحال الغربية معهم ضد شحنة بغداد السلجوقي . كما ان حركة العيارين قد بلغت من القوة ما جعل السلطنة السلجوقية غير قادرة فعليا للحد من نشاطهم لذا فقد امرت الناس بلبس السلاح والدفاع عن انفسهم (٢) . او كما حدث عند ما لجأت الى الاعتماد على حامي باب الازج لضرب زعمائهم من الداخل .

واستطاع بعض المتنفذين من السلاجقة من استغلال اسم العيارين لزيادة مواردهم المادية عن طريق توفير الحماية لهم ، فارتكبوا من الجرائم ما شاءوا ، ونهبوا ما نهبوا تحت اسم العيارين (٣) .

عبر العيارون عن سخطهم الشديد تجاه التسلط السلجوقي بصور متعددة ، فقد اقدموا على قتل رسول عماد الدين زنكي الذي جاء حاملا معه رسائل من السلطان مسعود اليه ابان حصار بغداد سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م . كما ثاروا في السنة ذاتها عند ما دخل الجيش السلجوقي بغداد . واتخذت فعاليات العيارين شكلا عنيفا فسي الفترات التي شهدت قدوم السلطان بغداد وخاصة سنتي ٥٣٦هـ / ١١٤١م و ٥٣٨هـ / ١١٤٣م .

وعلى الرغم من ان الخليفة المقتفي لم يحقق النجاح الذي حققه الخليفة الناصر لدين الله في تنظيم العيارين والشرطة في سلك الفتوة ، الا انه سبقه فسي

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ٩٥ .

(٣) محمد رجب النجار ، العيارين والشرطة في التراث العربي ، ص ١٣٤ .

التوجه اليهم ، وتشجيعهم لهم بالانضمام الى جيشه الفتى . كما عمل جاهدا للاستفادة منهم والاستعانة بهم في الازمات ، وكلما تعرضت بغداد للغزو السلجوقي .

ب - كسب الفقهاء وموقفهم من الخلافة :

حكم البويهيون العراق على اساس مذهبي ، وشقوا وحدة الصف عن طريق اثاره النعرات المذهبية (١) . مثلهم فعل المتسلطون السلاجقة (٢) . ويظهر ان المقتفي قد لاحظ الاثار المتراكمة للتسلط الاجنبي على العراق من الناحية الدينية ، لذلك حاول جاهدا ان يوثق علاقته بالفقهاء والعلماء والزهاد من مختلف المذاهب ، لما لهم من تأثير معنوي على الجمهور ، وذلك من اجل رص الصفوف وتوحيد الجهود من جهة . وعلى اعتبار انهم يشكلون سلاحا فاعلا بيد الخلافة من اجل كسب تأييدهم في تدابيرها السياسية والدينية من جهة اخرى (٣) . فقد ارتبط الفقيه العالم الشيخ ابو العباس الحسن بن احمد الهمداني محدث عصره ، بعلاقة قوية مع الخليفة ، فكان الخليفة يحترمه ويجله ويحب سماع حديثه ، حتى انه كتب اليه ذات مرة من بغداد يطلب منه

(١) عن سياسة البويهيين المذهبية انظر مكاربوس كنار ، بغداد في القرون الرابع الهجري ، مجلة المورد ، م ٢ ، ح ٢ لسنة ١٩٧٣ ، ص ١٧ - ١٨ .

(٢) عن سياسة السلاجقة المذهبية ، انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١١ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٢٨ . حسين امين ، العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٢٦ . حلمي ، كمال الدين احمد ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٢٢٤ .

(٣) عن محاولات الخلفاء العباسيين بالتقرب من الفقهاء ، انظر فاروق عمر فوزي ، الخلفاء والفقهاء ، مجلة آفاق عربية ، ع ١٢ لسنة ١٩٨٠ ، ص ٢٩ وما بعدها . وعن حاجة الدولة للعلماء والفقهاء ، انظر ابن الجوزي ، المسباح المضي ، ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

الدعاء للخلافة^(١) . وقد أصبح قدوم أبي العلاء الى بغداد التي اكرم من التردد اليها^(٢) ، فرصة مناسبة للخليفة للاحتفاء به والاستماع اليه ، حتى انه استدعاء سنسنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م من همدان بعد ان طالعت غيخته ، فكرمه وخلع عليه ، وقد وصف ياقوت الحموي طريقة استقباله من قبل الخليفة بطريقة تمت عما يكن لهذا الفقيه من احترام وتبجيل حيث يقول : " . . . فقام له امير المؤمنين واجلسه وكلمه ساعة ، وسأله الدعاء فدعا له وأذن له في الرجوع الى همدان " (٣) .

وقد نال شيخ فقهاء بغداد الفقيه ابو الحسن بن الخل ، خطوة لدى الخليفة ، اكدت على صلتة بعلماء الدين ، فقد اتخذ اماما له يومه بالصلوات الخمس حتى وفاته سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م^(٤) . كما اتخذ من العالم ثقة الدولة ابو الحسن بن الديني المعروف بابن الابري مشاورا له واحد المختصين به^(٥) . كما اصيحت زوجة ابو الحسن مسندة العراق بالحد يث العالمية شهيد ، الكاتبة مخالطة لدار الخلافة لقرباتها من الخليفة وميله اليها والاستماع لاحاديثها^(٦) .

كما حظي قطب الدين المظفر بن اردشير الواعظ بمنزلة رفيعة لدى المقتفي^(٧) ، فكان يحضر مواعظه للاستماع اليه ، حتى انه في احد مجالسه الوعظية

-
- (١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٢٨ : ٣ ، وانظر عنه الفصل الخامس ص
 - (٢) ابن الديلمي ، ذيل ، ح ١ ، ق ٢ ، ورقة ١٥٢ ، ١٦٢ (م) .
 - (٣) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٢٩ : ٣ .
 - (٤) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ، ورقة ١٩٣ (م) ، وانظر عنه الفصل الخامس .
 - (٥) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٣٠ (نسخة مكتبة الدراسات) .
 - (٦) ابن الجوزي ، المشيخة ، ص ٢٠٨ . الصفدي ، الوافي ، ح ١٤ ، ورقة ٤٤ (م) .
 - (٧) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٩٨ . ابن خلكان ، وفيات ، ٣٠٠ : ٤ .

" اقبل عليه الامام المقتفي وقبله ورفعته وجعله وامره بالجلوس في جامع القصر في موضع يقرب من منظرته " ليتسنى له الاستماع اليه دائما (١) .

وفي مجال رعايته للفقهاء والعلماء ، فقد اهتم الخليفة اهتماما كبيرا بزيارة الفقيه ابو علي بن شهراسوب (٢) الى بغداد ، فقد استقبله وخلق عليه ، كما حرص على حضور مجالسه التي اعجب بها كثيرا (٣) .

ولم يترك الخليفة فرصة دون ان يؤكد ميله وتقربه الى الفقهاء والعلماء ، وان يبدى رغبته في مجالستهم والاستماع لمواعظهم ، فقد كان كثير التردد لزيارة الفقيه الزاهد احمد بن مهلهل البرداني (٤) . كما انه كان حريصا على حضور مجالس الشيخ عبد القادر الجيلاني والاستماع اليه (٥) .

والى جانب ذلك ، اتخذ الخليفة اجراءات عملية استهدفت بشكل مباشر اخماد جذوة الخلافات المذهبية التي اذكاها المتسلطون الاجانب ، فقد امر سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م " بان لا يذكر احد اذهبا ولا يشير فتنة " وذلك عقب الفتنة التسي اثارها احد الفقهاء ممن كانت له علاقة بالسلطان مسعود (٦) . كما اتخذ موقفا حازما

(١) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٩٨ .

(٢) ابو علي محمد بن شهراسوب المازندراني ، احد فقهاء الشيعة ، نشأ في حب العلم والدراسة وحفظ القرآن واشتغل بالحديث حتى بلغ النهاية في علم الاصول والخطابة . انظر ابن الفوطي ، تلخيص ، ج ٤ ، ق ٣ : ٢٢٥ . الخوانساري روضات الجنان ، ٢٩ : ٦ .

(٣) الصفدي ، الوافي ، ٤٠ : ١٦٤ .

(٤) احمد بن المهلهل احد كبار الزهاد وحفاظ القرآن ، كثير العبادة ، حثي انه انقطع الى مسجد ، يصلي به لا يخالط احد ، وكان الناس يأتون اليه للتهرب . انظر الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ١ : ٢١٩ . ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٣٦ . ابن العماد الحنبلي ، ٤ : ١٧٠ - ١٧١ .

(٥) التادفي الحنبلي ، فلاح الجواهر ، ص ٦ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٠ .

تجاه أحد الفقهاء ، عندما تأكد لديه أن له دوراً مشبوهاً في إثارة الفتن المذهبية -
 " فشهري بباب النهي وكشف رأسه ، وادب والزم بيته " (١) .

وحرصاً على وحدة الكلمة ورص صفوف الأمة ، وعدم السماح للمذهبية مسن
 أن تطل برأسها فقد منع الوعاظ من عقد مجالسهم سنة ١١٥٥/٥٥٥٠ م (٢) . ويسدو
 أن هذا الاجراء جاء بعد احساسه بأن بعضاً من مواعظ هؤلاء قد اشتطت أو اخذت
 تتحرش بمذاهب بعضها البعض . ولم يأذن لهم بالوعظ إلا بعد مرور أكثر من سنة (٣) .

وقد كانت لزيارات المفتي للاماكن المقدسة لدى المسلمين دليلاً على حرصه
 واهتمامه بمشاعر الناس بصورة عامة وللعلماء والفقهاء بصورة خاصة ، خاصة وأنه كان
 يأمر أحياناً بالاحسان على المقيمين في هذه الاماكن (٤) .

والى جانب ذلك ، حاول الخليفة ومن خلال تبنيه لمظاهر عديدة مسن أن
 يعطي انطباعاً لدى العديد من الفقهاء والعلماء بالتزامه الديني وذلك عن طريق
 بناء المساجد . فقد انشأت بالجانب الغربي من بغداد عدة مساجد منها مسجد بدار
 القز سنة ١١٣٥/٥٥٣٠ م وجامع العقبة (جامع ابن بهليقا) (٥) ، كما انشأه
 سمح لأحد الموسرين في عمارة المسجد الأخير من ماله الخاص وجعله مسجداً جامعاً سنة
 ١١٤٢/٥٥٣٨ م (٦) . كما أنه أبدى اهتماماً بتفقد عمارة مساجد بعض المدن العراقية
 كالكوكة واسط والأنبار (٧) .

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .
- (٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦١ . الفسائي ، المسجد المسبوك ، م ٢ ورقة
- (٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٩ .
- (٤) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦١ ، ١٨١ . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمسان ،
- ٨ : ٢١٨ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ : ١٣٣ . ابن شاذان ، الكشي ،
- ١٢ : ٥٠٦ .
- (٥) مجهول (ينسب الى ابن الجوزي) ، مناقب بغداد ، ص ٢٣ .
- (٦) المصدر نفسه والصفحة . ابن الديلمي ، ذيل ، ح ١ ق ٢ ورقة ١٩٨ (م) .
- (٧) انظر الذهبي ، العبر ، ٤ : ١٣٩ . ابن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ١٧١ .

وانطلاقاً من تدنيه الشديد أولاً ، ولنيل رضا الفقهاء ورجال الدين الذين كان همهم صيانة المجتمع من الفساد ، فقد أمر بإقامة الخمر في مساكن أصحاب السلطان مسعود في بغداد ، كما طلب تفتيش دار الشحنة ، فوجد فيها الكثير من الخمر ، فأمر بإزالتها بعد أن كانوا يظنون أنه لم يشرب الخمر بعد أن حج^(١) . ويظهر أنه من خلال هذا الإجراء أراد الخليفة استغلال سلاح الدين لالغيات نظر الفقهاء والعلماء ومن ورائهم الرأي العام إلى التشهير بكبار السلاجقة^(٢) .

وقد أبدى الخليفة اهتماماً كبيراً بتنظيم أمور الحج^(٣) ، وتأمين طريقة وحماية الحجاج من تحرشات قطاع الطرق والأعراب الذين كانوا يقطعون الطرق على الحجاج أحياناً ، حتى أنه فوض أحد مماليكه حراسة الطريق من بغداد إلى بواحي الكوفة^(٤) .

موقف الفقهاء :

كان النهج السياسي لمدسة الفقهاء وأهل الحديث يتجسد في دعم مؤسسة الخلافة ، فالخليفة هو الشكل القانوني الوحيد للسلطة ، وقد طبق هذا النهج بنجاح طول عصر صدر الإسلام^(٥) . فالإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا^(٦) .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ١١٦ : ١٦١ . الخسائي ، العجد المسبوك ، ٢ م ، ورقة ٦٦ (م) .

(٢) السدائي ، مذهب عبد ، الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، ص ١٨٩ . وانظر ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٣٧ هـ حيث يذكر أنه وصلت سفن فيها خمر فانكر الفقهاء ذلك واحتجوا داخل المدرسة النظامية مما حدا بالسلاجقة إلى كبس المدرسة وضرب الفقهاء ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٢ .

(٣) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦١ .

(٤) ابن الفوطي ، تلخيص ، ٤ : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٥) سانتيلانا ، دافيد دي ، القانون والمجتمع ، ضمن كتاب تراث الإسلام ، ص ٤٢٧ .

(٦) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٥ .

وما ان حلت عهد التسلط الاجنبي على الدولة العباسية ، ودخلت السى
السلطة العربية شخصية فرضت نفسها في ممارسة السلطة مع الخليفة الذى تقلص نفوذه
وتضاءلت سلطته ^(١) ، ولم يبق له الا القناعة بالاشراف الديني ، لذلك لم يكن بوسع
الفقهاء والعلماء غير الرضوخ لواقع الامر على الرغم من شذوذه من اجل وحدة الامة ^(٢) .

ازاء ذلك حاول الخلفاء التمسك بما لهم من تأثير معنوى ، فاهتموا بالنواحي
الدينية واعتبروا القضاة والوعاظ والخطباء ممثلين لهم بين الناس ^(٣) . فهم المفكرون
الذين ينيرون الدرب للناس وهم المكلفون بحراسة وحماية مقومات الامة الروحية ^(٤) .

ويظهر ان الخليفة المقتفي باجرائه التي سبق ان اشرنا اليها استطاع
ان يستقطب الكثير من الفقهاء والوعاظ والعلماء الى جانبه في معركته ضد السلاجقة ،
وقد دلت المواقف التي وقفها هؤلاء الفقهاء والوعاظ في فترة خلافته ، استمراريتها
عطاءاتهم ومقائهم سندا قويا للخلافة في اجراءاتها السياسية والعسكرية .

(١) لايتون ، أ . ك . س ، الفكر السياسي عند المسلمين ، ضمن كتاب الوحدة
والتنوع ، ص ٢٦ .

(٢) سانتيلانا ، المصدر السابق ، ص ٤٢٨ . ومن هؤلاء الفقهاء المساوردي
والغزالي . ولمعرفة آراءهما الفقهية ، انظر الاحكام السلطانية للمساوردي .
ومؤلفات الغزالي ، الرد على فضاء الباطنية ، التبر المسبوك . وانظر
الدراسات الحديثة التي كتبت عنهما ، هاملتون جب ، دراسات في حضارة
الاسلام ، ص ١٨٥ - ٢١٢ . رمضانوف ، دراسة في عالم الغزالي وفكره ،
مجلة المورد ، ع ٤ لسنة ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ وما بعدها . حسين اميين
الامام الغزالي ، مجلة كلية الاداب لجامعة بغداد ، ع ٤ لسنة ١٩٦١
ص ٣٣٥ - ٣٥٠ . عبد العزيز الدوري ، الديمقراطية في مسيرة الحكم
العربي ، مجلة المستقبل العربي ، ع ٩ لسنة ١٩٧٩ ، ص ٦٥ - ٧٦ .

(٣) الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة ، ص ٩٢ .

(٤) انظر مقدمة كتاب المصباح المضي لابن الجوزي ، ١٢: ١ .

ويعد ابن الجوزي أحد هؤلاء الوعاظ ، فمنذ عهد الخليفة المقتضي وتحت يد سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ، وتشجيع من الوزير عون الدين بن هبيرة المسانيد القوي لسياسة المقتضي ، كان يقعد كل يوم جمعة مجلسا وعظيا في دار الوزير ^(١) . وقد استطاع ابن الجوزي بما عرف عنه من لباقة وحضور بد يهية وتفنن بالوعظ ، ان يكسب جميع المذاهب الدينية ، حتى اعتبره أحد المؤرخين بأنه لم يكن حنبلي المذهب ^(٢) . وهو بذلك قد ساهم بشكل جدي في خدمة أحد أهداف الخلافة الرشيدة لاستنهاض جمهور بغداد كوحدة دينية بعيدة عن التناحر المذهبي .

وما ان السلاطين الذين خولوا سلطة سياسية ، فقد كانوا بالضرورة ليس لهم حق الاشراف على سلطان الخليفة الدينية ^(٣) . الا ان السلاجقة اضحوا بعسد فترة من تسلطهم يتدخلون في المجالات التي كانت حكرا على الخليفة والتي تدخل ضمن اختصاصاته كتحيين القضاة ومدري النظامية ^(٤) . فقد جلس الفقيه يوسف الدمشقي مدرسا بالنظامية بأمر من السلطان مسعود ، فما كان من الخليفة المقتضي الا ان امر بمنعه من دخول الجامع ودار الخلافة ، الامر الذي اضطر فيه الدمشقي الى الامتثال والاستجابة لأمر الخليفة ^(٥) . ومقتت المدرسة لمدة سبعة عشر يوما بدون مدرس ، لم يجزوه حد من الفقهاء على التدريس فيها دون اخذ موافقة الخليفة ، حتى ان السلطان تقدم الى ابي النجيب السهروردي للتدريس فيها الا انه رفض دون ابراز اذن الخليفة ^(٦) . وذلك عبر الفقهاء عن تجاوزهم مع خليفة الامة برفض اوامر السلطان

(١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٤ ، المشيخة ، ص ٣٥ . ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٤٥٣ .

(٢) مقدمة كتاب المصباح المضي ، لابن الجوزي ، ١ : ٢٣ .

(٣) هاملتوب جب مدراسات في حضارة الاسلام ، ص ٣١ .

(٤) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٤ . ويذكر ابن النجار ان السلطان سنجر امر المسترشد بتسليم المدرسة النظامية الى الفقيه عبد الواحد بن الحسين فسلمت اليه رغم استنكار الفقهاء لذلك . انظر التاريخ المجدد ، ص ١٠ ق ١ ورقة ٧٧ . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٢٦٨ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٥٢ .

السلجوقي وتدخله في واجبات الخلافة الدينية .

كما استجاب خطباء جوامع ومساجد بغداد مع الخلافة ، عند ما امر المقتضي باغلاق المساجد والجوامع احتجاجا على تطاول السلطان مسعود على حرمة الخلافة بسجن حاجب باب النوبي ، فاعلقوا المساجد والجوامع لمدة ثلاثة ايام (١) .

وقد وقف بعض الفقهاء ، موقفا ايجابيا من الخلافة وتمثل هذا الموقف باسداء النصح والارشاد للسلاطين السلاجقة ، والتأكيد على ضرورة احترام الخليفة ، والعسـدل بين الناس ، ومن هؤلاء الفقهاء والزهاد احمد بن ابي غالب بن الطلاية (٢) الذي كان يرفض مقابلة السلطان عندما كان يستدعيه ، حتى اضطر السلطان لزيارته فتشاغل عنه بالصلاة ، ولم يقل له اكثر من " يا مسعود اعدل " ثم رجع الى صلاته (٣) .

كذلك وقف الفقيه الشيخ ابو العلاء الهمداني الموقف المتشدد نفسه تجاه السلاطين والتأكيد على احترامهم للخليفة ، فكثيرا ما كان يضطر السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ويؤكد له ضرورة احترام الخليفة وحسن معاملة الرعية (٤) . وتمثل هذا الموقف الايجابي ايضا في مواقف الواعظ قطب الدين بن اردشير العبادي الذي كان يحظ السلطان مسعود بمواعظه البليغة مذكرا اياه بتقوى الله ، ومعرفا له بسوء الاوضاع الاقتصادية للناس بسبب وضعه الضرائب على الاسواق (٥) .

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٢٠ .
- (٢) احد الزهاد الفقهاء من اهل دار القز ، قرأ القرآن وسمع الحديث الكثير ولازم مسجد مدة سبعين عام . كان كثير التعبد ، حتى انطوى جسمه لكثرة تعبده ، توفي سنة ٥٣٨ هـ . انظر الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٨ : ورقة ٨٨ (م) .
- الصفي ، الوافي بالوفيات ، ٨ : ٢٧٧ .
- (٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨ : ٢١٥ - ٢١٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٨ : ورقة ٨٨ (م) .
- (٤) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣ : ٢٩ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٠ .

واتخذ بعض الفقهاء والزهاد مواقف متشددة عبروا فيها عن رفضهم للأعمال التمسفية التي مارسها السلاجقة في بغداد ، فقد وقف أبو الحسن علي بن الغزنوي الواعظ موقفا جريئا وشجاعا امام بعض الامراء السلاجقة لما مارسوه من اعمال نهب وسلب للقرى المحيطة ببغداد سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م ، فقد قبح ما فعلوا " وقال : لوجاء الافرنج لم يفعلوا ، فأى ذنب لاهل القرى والرساتيق " وقد استطاع هذا الواعظ من استنقاذ المواشي والاغنام منهم^(١) . كما هدد الزاهد ابن الكواز السلطان مسعود بالاعتصام بالجوامع اذا لم يوقف اعمال اصحابه التمسفية على الناس^(٢) . كما انه واجه السلطان مرة اخرى وطالبه باسقاط جباية العقار بمسدد ان لقي الناس من جراءها الضنك^(٣) .

وقد موهبنا صورا حية للتعاون الوثيق بين الفقهاء والخلافة اثناء حصار السلاجقة لها سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م ، فقد كشفت مواقفهم عن رفضهم للتسلط السلجوقي والتفافهم حول خليفة الامة . فقد ابدى الفقيه يوسف دمشقي من الشجاعة والجرأة ما جعله يقف مناديا رسول السلطان محمد الذي ارسله لتسوية الصراع بين السلاجقة والخلافة بقوله " . . . مالكم عندنا اليوم جواب الا سيف . . . بعد ان احرقتم وافسدتم " ^(٤)

ومن الحوادث الطريفة في هذا المجال ، التي عبرت عن موقف الفقهاء تجاه الغزو السلجوقي لمعاصمة المسلمين ، ان احد الفقهاء عزم على الهروب الى الجيوش السلجوقي المحاصرة لبغداد ، فكتب رسالة بهذا الخصوص ، وحملها احد الفقهاء ليوصلها ، فما كان من هذا الاخير الذي ساء ان يرى خيانة احد افراد طبقة ولده في اشد الحاجة الى التماسك والوحدة ، ففعل ما ينهني ان يفعل ، حيث اخذ الكتاب وسلمه الى دار الخلافة " فاحضر الفقيه ، واقر بذنبه فحبس " ^(٥) .

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٠ .
- (٢) المصدر نفسه ، الجزء ، ص ٨٤ - ٨٥ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٦ .
- (٤) المصدر نفسه ، الجزء ، ص ١٧٣ .
- (٥) المصدر نفسه ، الجزء ، ص ١٧٢ .

واذا كان هذا الالتفاف والدعم قد جاء من لدن الفقهاء والعلماء من داخل
بغداد ، فان بعض الفقهاء قد دعموا موقف الخليفة من خارج العراق ، ومن
عاصمة السلاجقة همذان بالذات . فقد اصدر الفقيه ابو العلاء الحسن بن احمد
الهمداني فتوى بحق السلطان محمد السلجوقي اثناء محاصرته لبغداد ، عبر فيها
عن شرعية وحق الخليفة في جهاد ضد السلاجقة المارقين فقد " صرح القول قائما
على المنبر ، بان السلطان ومن معه من جنود ، خارجة مارقة ، ثم قال لو ان رجلا من
عسكر امير المؤمنين رمى رجلا من اصحاب السلطان بسهم وجاء آخر من غير الفريقين
فنزح السهم من جراحه ، يكون هو ايضا خارجيا باقيا . وكرر هذا القول في ذلك
مرارا " (١) .

(١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣ : ٣٢ .

- الفصل الثالث -
علاقة الخلافة
بالامارات والدوليات الإسلامية

الفصل الثالث

علاقة الخلافة بالامارات والدويلات الاسلامية

اصبحت الدولة العباسية منذ منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي محاطة بولايات وامارات مستقلة استقلالاً جزئياً . وقد حافظت معظم هذه الامارات على ولائها للخلافة العباسية في بغداد ، فاعترفت بالسيادة الروحية للخليفة ، بغية عدم اثاره الرأي العام ضدها ، وقد تمثلت هذه السيادة في مظاهرها بالدعوة للخليفة على المنابر وكتابة اسمه على السكة وارسال الاموال والهدايا الى بغداد ، بين الحين والآخر (١) .

احتفظ الخليفة العباسي بالسيادة الروحية هذه حتى في عهود التسلسط الاجنبي على العراق (٢) . الا ان آثار مشاركة المتسلطين الاجانب للسلطة العريضة الاسلامية المتمثلة بالخليفة انعكست في علاقات ولاية الاقاليم وامراء الاطراف بالخلافة ببغداد سلبيات او ايجابيات على ضوء علاقاتهم مع المتسلطين ، وتمكن خلال ذلك بعض الحكام المسلمين من تثبيت سلطانه والاستقلال باقليمه استقلالاً كاملاً (٣) . حتى اصبحت

(١) الخضرى بك ، محمد ، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، ص ٤٩٤ .

(٢) بقي المرابطون الذين حكموا شمال افريقيا والاندلس للفترة من ٤٤٨-٥٤١هـ /

١٠٥٦-١٠٤٧م يخطبون للخليفة العباسي رغم قوتهم العسكرية ، انظر

حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣٢-٣٣٣ . وانظر ايضا

Bosworth, The Islamic Dynasties, p.28 كما ان احد المتغلبين على

طريشيب بنيسابور استطاع سنة ٥٤٥هـ من ان يخطب للخليفة المقتفي ويلبس

السواد على الرغم من انها كانت بيد الاسماعيليين . انظر ابن الاثير ، الكامل ،

١١: ١٥١ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤: ٣٣ .

(٣) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

خارطة الدولة العباسية في عهد التسلط السلجوقي تتحدد ببغداد والعراق العربي الذي أصبح الهم الأكبر من هموم الخلفاء العباسيين للاحتفاظ بسيادتهم السياسية والادارية عليها (١) .

على ان سياسة الدولة العباسية شهدت في خلافة المقتفي لامر الله تحسولا كبيرا في مسار علاقاتها بما يحيط بها من دويلات وامارات . فاذا كانت سياسة الدولة في الفترة الاولى من خلافته وحتى وفاة السلطان السلجوقي مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م قد تميزت بثنائية القرار وتوجيه سياسة الدولة ، فان الفترة الثانية تعتبر بداية عهد جديد لممارسة السلطة السياسية والادارية دون اية مؤثرات خارجية . فقد امتلك الخليفة المقتفي زمام الامور ببغداد .

وقد هدفت سياسة المقتفي في هذه الفترة الى دعم عوامل الوحدة والتماسك ومحاولة ايجاد السبل الكفيلة لبسط نفوذ السلطة العربية الروحية على الاقل على الامارات التي تمتعت باستقلالها ، او على امراء الاطراف الذين حاولوا ان يحكموا بمعزل عن السلطة المركزية ببغداد (٢) .

١ - علاقة الخلافة بالسلاجقة بعد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م :

بعد ان اخفقت محاولة السلاجقة في استعادة سلطتهم في العراق بانتهاء حصارهم الفاشل سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م خرجت الخلافة العباسية في بغداد وهي في اعلى حالات الاستعداد والتوشع ، معتبرة هذه المحاولة نهاية المطاف في علاقاتها مع السلاجقة (٣) . وقد عزز موقفها هذا وصول نبأ وفاة السلطان سنجر بعد اشهر قليلة

(١) فوزي ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) يذكر ابن القلانسي في هذا المجال " وتناصرت الاخبار بان الامام المقتفي قد اشتدت شوكته وظهر واستظهر على كل مخالفيه ... وانه مزعج على قصد الجهات " ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣٢ .

من الانتصار العراقي الكبير ، فقطعت خطبته ولم يجلس له في الديوان للمعزاة (١) كما جرت العادة ، وذلك تحررت الخلافة والعراق من التبعية الأجنبية الدخيلة .

فبعد ان انسحب الجيش السلجوقي من بغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م استمرت الخلافة بسياساتها التي انتهجها الخليفة المقتفي والقاضية باشاعة روح الفرقة والانقسام بين السلاطين والامراء السلاجقة ، فقد جمع الخليفة بعض الامراء من الانصار ومن يشك بولائهم للخلافة (٢) . فخلع عليهم واجزل لهم العطاء وامرهم بالمضي الى همدان والوقوف بجانب السلطان ملكشاه ضد اخيه السلطان محمد (٣) . الذي استطاع بعد انسحابه من بغداد ان يعيد الخطبة له في همدان بعد ان انهزمت جيوش ملكشاه والاتاك المذكور (٤) . على حين اقام السلطان محمد طيلة سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م يعد العدة منتظرا حلول فصل الربيع لاعادة محاولة الاستيلاء على بغداد وثبتت نفوذه بالعراق ، الا ان مرضه حال دون تنفيذ ذلك (٥) . ومن ثم توفي سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م بمرض السل (٦) .

على ان الفترة ما بين سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م والى حين وفاته قد شهدت نشاطات دبلوماسية محمومة من قبله لاعادة علاقاته مع الخلافة في بغداد ، مقابل نشاطات عسكرية مكثفة من قبل الخلافة العباسية لمواصلة النضال واستكمال تحرير العراق من عنق

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٦ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٢٢ .
- (٢) انظر الفصل الرابع ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٥ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٠ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٤١ .
- (٥) الحسيني ، اخبار ، ص ١٤٢ .
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٥٠ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٢ . الراوندي ، راحة الصدور ، ص ٣٨٧ . ويذكر الحسيني انه توفي سنة ٥٥٣ هـ ، اخبار ، ص ١٤٣ .

السلاجقة . فبعد ان ايقن السلطان محمد من عدم امكانية استعادة سلطته في العراق عسكريا لاشتداد قوة الخلافة العسكرية من جهة وعدم استقرار الاوضاع الداخلية فسي هذا من جهة اخرى ، لجأ الى الاسلوب الدبلوماسي للتأثير على الخليفة المقتفي ، ففي سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م ارسل رسولا شخصيا حاملا رسالة بهذا الشأن ، عززها بعدد من امراء الاطراف بهدف زيادة التأثير على الخليفة ، الا ان الاخير لم ان سمح بوصول هذا الوفد الى منطقة شهربان ^(١) انفذ من الديوان من يأمرهم بالتوقف هناك ، وافهامهم بعدم رغبة الخلافة سماع رسالتهم او وساطتهم ، حتى انهم اقاموا هناك مدة ثمانية عشر يوما بلا طائل " ثم عادوا ولم تسمع رسالتهم " ^(٢) . وقد تدخل خوارزمشاه ايل ارسلان للتوسط بين الخلافة والسلطان الا ان محاولته باءت بالفشل ايضا على ما يبدو ^(٣) .

ومن جهة اخرى ، شهدت هذه الفترة نشاطات عسكرية مكثفة من قبل الخلافة ، فقد استمرت على مواصلة الكفاح ضد السلاجقة وقمع كل محاولة للنيل من استقلال العراق ، ففي سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م ارسل الخليفة المقتفي جيشا لقمع حركة الامير سنقر الهمداني بعد ان كثرت جموعه وزادت تحرشاته وبعثه في منطقة طريق خراسان ، بل تجاسر على الخلافة واعاد الخطبة للسلطان محمد في بلاد اللخف ، فاستطاع الجيش العباسي بقيادة الامير خطلبرس من انزال الهزيمة بسنقر الذي لاذ بالفرار والتجأ الى السلطان محمد بهمدان ^(٤) .

(١) قرية كبيرة عظيمة من نواحي الخالص مشهورة بالبساتين ، وتقع شرق بغداد ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ٣٧٥ . وتسمى اليوم بالمقدادية .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨٩ .

(٣) الوطواط ، رشيد الدين ، مجموعة الرسائل ، ١ : ٢٣-٢٤ . وانظر ص ١٢٩ من هذا الفصل .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٢٩ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٧٣ .

وعلى اثر هزيمة سنقر اقطع الخليفة الامير قويد ان بلاد اللحف وارسله مع قوة عسكرية لحماية المنطقة (١) . الا ان هذا الامير سرعان ما اتفق مع سنقر والتحقا بخدمة السلطان ملكشاه ، وحسنا له الاستيلاء على بغداد (٢) . فساروا باتجاه واستطاعوا استطاعوا نهب الجانب الغربي منها الا ان اهل واسط تمكنوا من مقاومتهم وفتحوا بثقا بتلك الناحية ففرق من الجيش السلجوقي الكثير ، واستطاع ملكشاه ومعظم امراؤه من الانسحاب (٣) . في الوقت نفسه ارسل الخليفة احد مماليكه على رأس قوة لمطاردتهم (٤) .

وفي السنة نفسها ارسل الخليفة جيشا كبيرا الى منطقة الجبل بقيادة الامير منكوس المسترشد لتأديب ابن برجم التركماني واصحابه بعد وصول انباء تشير الى محاولتهم الافساد والعبث بالمنطقة ، واستطاع الجيش العباسي من الحاق الهزيمة بهم ، فقتل من قتل واسر البعض الاخر وحملت رؤوس امرائهم واسراهم الى بغداد (٥) . ومن الجدير بالذكر هنا اننا ولاول مرة نسمع بعد فترة طويلة من عهد التسلسط الاجنبي البويهبي والسلجوقي قيام الجيش العباسي الموتر بأمر الخليفة بقمع حركات التمرد خارج حدود العراق ويحمل رؤوس المخالفين ويشهر بهم والاسرى في داخل بغداد .

وفي سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م عاد سنقر الهذاني الى بلاد اللحف واستطاع ان يلحق الهزيمة بالقوة العباسية المرابطة هناك ، الامر الذي اضطر فيه الخليفة الى ارسال جيشا لتأديبه ، حتى انه سار مع هذا الجيش ووصل به الى النعمانية ، فخلع على امير الجيش (ترشك) ورجع الى بغداد ، واستطاع هذا الامير من انزال هزيمة

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨١ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٣٧ .
 - (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٣٧ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٤٩ .
 - (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٣٩ . وانظر عن ابن برجم ، ابن الفوطسي ، تلخيص ح ٤٤ ق ٣ ص ٥٥ .

منكرة بسنقر الهمذاني والاستيلاء على امواله واسلحته ، كما انه اسر وزيره وارسل الى بغداد بالبشرى^(١) . الا ان سنقر استنجد بالسلطان ملكشاه فاسرع السلطان بانجاد بقوة عسكرية مؤلفة من الفرسان ، مما حدا بالامير ترشك الى طلب الامدادات العسكرية من بغداد ، فارسل اليه الخليفة ما طلب ، وتمكن الجيش العباسي بعد وصول النجادات من مباغتة الجيش السلجوقي ليلا وانزال الهزيمة بهم واستباحة عسكرهم والاستيلاء على اسلحتهم ودوابهم^(٢) .

ان هذه الحملات العسكرية والتاديبة التي قام بها الخليفة المقتفي ضدد السلاجقة في الاطراف وان كانت صغيرة وعلى نطاق محدود^(٣) . الا انها دلت على استعداد حيوية الخلافة ورغبتها الاكيدة والصادقة في استعادة هيبتها ونزوعها الدائم لرفض كل اشكال التسلط الاجنبي .

٢ - علاقة الخلافة بالخوارزميين :

نشأت الدولة الخوارزمية في ظل السلطنة السلجوقية في اواخر القرن الخامس الهجري وذلك عندما اسند السلطان السلجوقي ملكشاه ولاية خوارزم الى احد اتباعه المقربين ويدعى "انوشتكين"^(٤) واطلق عليه لقب "خوارزمشاه"^(٥) وقد تعاقبت

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٤٩ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٢٣ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٤٩ .
- (٣) ذهب المستشرق ميور ان هذه الحملات صغيرة ومحدودة ولم تكن جد يسيرة بالاهتمام ولا تستحق الاشارة اليها Muire, cit, p. 589.
- (٤) انوشتكين : مملوك اشتراه احد الامراء السلاجقة واستطاع بفضل كفائه ولياقته في خدمة بلاط ملكشاه من التدرج بالمناصب حتى كافئه السلطان بتعيينه واليا على خوارزم ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٢٦٨ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٥ : ١٨٩ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٢٦٨ . ابو الفداء ، المختصر ، ٢ : ٢٠٥ . ويذكر بارتولد انه على الرغم من ان انوشتكين قد حمل لقب خوارزمشاه الا انه لم يكن في واقع الامر قد تولى الحكم في خوارزمشاه ، انظر تركستان ، ص ٤٧٣ .

اسرة انوشتكين على حكم خوارزم ، حيث خلفه قطب الدين محمد (٤٩٠هـ - ٥٢١هـ) /
(١١٠٩ - ١١٢٦م) بموافقة السلطان بركياروق ، ثم حفيد علاء الدين آتسز
(٥٢١ - ٥٥١هـ) / (١١٢٦ - ١١٥٦م) ثم ابن آتسز آيل ارسلان (٥٥١ - ٥٦٨هـ) /
(١١٥٦ - ١١٧٣م) (١) .

وقد استطاعت هذه الاسرة التي تظاهرت في بداية حكمها بالطاعة والولاء ،
في ظل حكم علاء الدين آتسز الذي كانت تدفعه طموحاته السياسية الى استغلال
ارتباك الاوضاع السياسية في المنطقة نتيجة الهزائم التي مني بها السلطان السلجوقي
سنجر امام قبائل القره خطاي (٢) . من ان يوسع ممتلكات اسرته وان يعلن استقلالها
السياسي عن التبعية السلجوقية وذلك سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٧م بعد سلسلة من المعارك
الطاحنة مع السلطان سنجر ، ومذلك اصبح للخوارزميين كيان سياسي مستقل (٣) . وبرزت
كقوة جديدة على المسرح السياسي في المشرق من الدولة العربية الاسلامية .

بدأت علاقة الخلافة العباسية بالخوارزميين في فترة كانت الخلافة تناضل من
اجل استعادة هيبتها وانهاء التسلط السلجوقي ، في الوقت الذي كان فيه الخوارزميون
يسعون الى الاستقلال التام عن السلاجقة ، وذلك كان الطرفان متحمسين لاستقلالهما
ومقاومة التسلط السلجوقي ، ولعل سعي الخليفة المسترشد الى توطيد علاقته بهذه
القوة الجديدة عن طريق ارسال الخلع والهدايا الى خوارزمشاه علاء الدين آتسز سنة
٥٢٨هـ / ١١٣٣م دليل اكد على التقارب بينهما واستغلال هذه القوة في مناهضة
السلاجقة وتشجيعها لاتسز على استمرار التمرد ضد هم (٤) . وقد تأكدت هذه العلاقة
بمساهمة خوارزمشاه آتسز الى جانب الخليفة الراشد في كفاحه ضد السلطان مسعود ،
الامر الذي يدل على تطور العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والخوارزميين من

Bosworth, The Islamic Dynasties, p. 109. (١)

بارتولد ، تركستان ، ص ٤٧٤ . حسنين ، عبد النعيم ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ١١٩ . (٢)

ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٩٦ . العبيد ، نافع ، الدولة الخوارزمية ، ص ٢٧ . (٣)

ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٣٥ . (٤)

اجل تصيق جهودهما في مقاومة وانتهاء التسلط السلجوقي (١).

بعد ان فشل الحصار السلجوقي لخوارزم سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م (٢) سارع خوارزم شاه علاء الدين آتسز الى اعلان استقلاله عن السلاجقة واضفاء الشرعية على حكمه عن طريق السعي المتواصل والحديث للحصول على موافقة الخليفة العباسي المقتفي لامر الله على ذلك . فارسل الى الخلافة ببغداد رسالة يطلب فيها من الخليفة اصدار " منشور باسمه على ولاية خوارزم ، جانبها شرقيها وغربيها ، ومضاف اليها ، وينطبق عليها في بلادها وديارها وجبالها وقفارها . . . وان يوضح ذلك العهد ويحلى بالتوقيع الاشرف الاعلى ليكون ذلك مرغمة لانوف الحاسدين " (٣) كما لفت في هذه الرسالة نظر الخليفة المقتفي الى اهمية الدور الذي يلعبه الخوارزميون الان ومستقبلا في حماية الجانب الشرقي للدولة العربية الاسلامية ضد هجمات القبائل الكافرة من بلاد الترك (٤).

ويظهر ان الخليفة قد استجاب لطلب علاء الدين آتسز في رجائه هذا ، فارسل اليه الخلع والتشريف ، وتأكد وصولها في رسالة بعثها آتسز الى الخليفة يشكره فيها على " . . . الخلع الحاصلة للعبد والتشريفات الواصلة اليه من المواقف المقدسة ، قد سها الله ، فقد هزت عطفه وشدت ازره . . . وعرضها العبد على كل

(١) ابن العمري ، الانباء ، ص ٢٢٣ . ابن دحية ، التبيين ، ص ١٥٢ .

العبد ، الدولة الخوارزمية ، ص ٧٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٩٦ .

(٣) الواطواط ، رشيد الدين ، مجموعة الرسائل ١٥ : ١٣ وعن الواطواط انظر ترجمته ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧٤ : ٩١-٩٥ . السيوطي ، بغية الوفاء ، ص ٩٧ . بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ٥ : ١٤٢ .

(٤) الواطواط ، المصدر نفسه والجزء ، ص ٥ .

حاضر وباد ، ونادى عليها في كل محفل وناد ، ولم يبق احد من ائمة خوارزم وعلماؤها وبلغائها وخطبائها الا دعا للمواقف المقدسة ^(١) . ولعل اصـدار الخلافة العباسية مثل هذا المنشور لاضفاء الشرعية على حكم هذه الاسرة يؤكد رغبة الخلافة في دعم هذه القوة الجديدة لما تلعبه من دور هام في حماية الجانب الشرقي للدولة العربية الاسلامية ^(٢) .

استمرت المراسلات والوفود تترى بينهما طيلة فترة حكم خوارزمشاه آتـسـز موهـكة طـبيـعة العلاقات الودية ، ففي كل مرة كان علاء الدين آتـسـز يجسـد ولاءه وطاعته للخلافة العباسية متمثلة بخليفتها المقتفي ^(٣) . ومعتذرا عن عدم استطاعته الحضور الى بغداد عاصمة المسلمين لتقديم فروض الطاعة والولاء ، بسبب انشغاله في حماية ديار الاسلام وحده هجمات الكفر الاتية من بلاد الترك ^(٤) .

مؤلف آتـسـز سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م ، وتنصيب ابنه آيل ارسلان حاكما على خوارزم ^(٥) اكد الاخير في رسالة بعثها الى الخليفة انتماجه سياسة ابيه نفسها في ترسيخ علاقته بالخلافة العباسية ، فقد شجب محاولة السلطان محمد السلجوقي من احتلال بغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م وخروجه عن طاعة الخليفة المقتفي ^(٦) . كما اكد مرة اخرى صدق ولاء حكام خوارزم للخلافة العباسية ^(٧) .

-
- (١) الطواط ، المصدر نفسه والجزء ، ص ١٥ .
 (٢) بدرى محمد فهد ، العراق في العصر العباسي الاخير ، ص ٥٦ .
 (٣) الطواط ، مجموعة الرسائل ، ١٦ : ١ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ .
 (٤) المصدر نفسه والجزء والصفحات .
 (٥) ابن الاثير الكامل ، ٢٠٩ : ١١ .
 (٦) الطواط ، مجموعة الرسائل ، ٢٣ : ١ . المهود ، الدولة الخوارزمية ، ص ٧٧ .
 (٧) الطواط ، المصدر السابق ، ٢٣ : ١ ، ٢٤ .

ولعل علاقات آيل ارسلان الودية بال خليفة المقتفي من جهة ، ونتيجة احساسه بالخطر المحدق بمناطق الشرق الاسلامية جراء تزايد هجمات القبائل الوثنية من جهة اخرى ، دعت الى طرح فكرة التوسط بين الخلافة العباسية والسلطان السلجوقي محمد بن محمود لحل خلافتهما ، في رسالة ارسلها الى الخليفة عارضاً فكرته هذه وفيها يذكر ما " أناب خطة خراسان من استيلاء المعصاة ما انساب واصاب بقعة ما وراء النهر من استيلاء الطغاة ما اصاب ، عذب فيها الراكسج والمساجد وخرب المساجد والمدارس وسفكت الدماء المحرمة واهلكت النفوس المكربة ولو لم تصرف اغنة العناية الكريمة المولوية الامامية المقتفوية الى تدارك هذا الامر ، واطفاء هذا الجمر ، لاتصل شروره باقطار العراق ، بل ضرره جميع الامصار ، ولسن يحصل هذا التدارك على وفق ما تقتضيه وموجب ما ترتضيه الاراء المشرفة النبوية الامامية المقتفية .. الا بتوافق كافة المسلمين وتطابق عامة المؤمنين تحت راية ملكك من ملوك هذه الامة وسلطان من سلاطين هذه الامة .. السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه .. ولكن لا تتسنى له هذه العنية ولا تتحصل له هذه البغية ما لم تكتشف احواله بهركات عناية سيدنا ومولانا الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين " (١) .

ويستمر آيل ارسلان في رسالته متسائلاً عن السبب الذي عكر صفوة علاقتهم بالخليفة بالسلطان محمد ، مبدئاً استعداداً لحمل السلطان الى طاعة الخليفة " فان كان منشأ هذه الحادثة الكارثة ، من جهة السلطان ... فالعبد " آيل ارسلان " في ضمان طي صحائف استزداته واعادته الى ما حمد من لطائف عادته واستنزاله من حمزون الانقطاع الى سهولة الاجتماع .. ورد في طاعة المواقف المقدسة المكربة .. وخدمة المقار المشرفة المعظمة " (٢) .

(١) الوطواط ، مجموعة الرسائل ، ٢٣: ١ .

(٢) المصدر نفسه والجزء .

ولم يكف آيل ارسلان بارسال هذه الرسالة الى الخليفة ، بل اعقبها برسالة اخرى الى عون الدين يحيى بن هبيرة وزير الخليفة لا تخرج في مضمونها عن الرسالة الانفة الذكر ، على ما يبدو ، فقد اكد للوزير ان على الخلافة في هذا الظرف الحرج ان تتناسى عداءها للسلطان محمد السلجوقي ، وان تساند لانه الوحيد القادر على تخليص المنطقة * خراسان وما وراء النهر " من الكفرة ، وقطاع الطرق (١) .

٣ - آل زنكي في بلاد الشام والموصل :

يعد عماد الدين بن آق سنقر مؤسس هذه الاسرة ، فقد كان والده آق سنقر الملقب بقسيم الدولة مملوكا للسلطان السلجوقي ملكشاه ومن الاثريين لديه (٢) . ونتيجة لخدمته وورثته المتميز في خدمة السلاجقة ، فقد ولاه ملكشاه مدينة حلب سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م (٣) . وقد بقي فيها نائبا عن السلطان السبيعي ان قتل في احداث الصراع بين السلطان تتش واخيه السلطان بركياروق (٤) . وتثمينا للدور الذي لعبه آق سنقر الى جانب السلاجقة ، فقد حظي ابنه الوحيد عماد الدين برعاية واهتمام سلاطين السلاجقة وامراتها ، تعبيرا عن عرفانهم باخلاص والوفاء وعلو مكانته (٥) . حتى ان ولاه الموصل السلاجقة اشركوه معهم في معاركهم ضد الصليبيين ، وحينها ابدى من الشجاعة والبسالة ما اكسبه شهره واسعة لدى السلاجقة والمسلمين (٦) .

- (١) بارتولد ، تركستان ، ص ٤٨٣ نقلا عن الخريدة للاصبهاني (القسيم المخطوط) .
- (٢) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٠٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ١٠٣ : ٢ .
- (٣) ابن الاثير ، الباهر ، ٨٠٦-٨٠٨ ، ابو شامة ، الروضتين ، ١ : ٥٩٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ : ١١٠ .
- (٤) ابن الاثير ، الباهر ، ١٥-١٦ وانظر عن احداث الصراع بين السلطانين ، ص ٢٣ من فص ١ .
- (٥) خليل ، عماد الدين زنكي ، ص ٣٦ .
- (٦) ابن الاثير ، الباهر ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ابو شامة ، الروضتين ، ١ : ٦٩٠ ، ابن واصل ، ١ : ١٩٠ .

وتدرج عماد الدين زنكي في المناصب الادارية والعسكرية في مطلع حياته، فقد تولى منصب ولاية واسط سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م وهو اول منصب يتولاه ولاء حينئذ شحنة بغداد وذلك عقب تزايد هجمات الاغراب عليها^(١). ثم اضيفت اليه شحنة البصرة ايضا^(٢). وقد اظهر زنكي في منصبه هذا وموقت قصير مقدرة ادارية وعسكرية فائقة، فقد استطاع ان يضع حدا لهجمات الاغراب وان ينشر الامن والاستقرار في ريوعهما، كما زادت مكانته في نظر امراءه^(٣). وتقديرا للذو الذي اداه في ضبط واسط والبصرة، فقد اختير سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م شحنة على بغداد من قبل السلطان السلجوقي محمود^(٤). ولم تمض فترة طويلة على تسلمه منصبه هذا حتى تم تعيينه اميرا على الموصل والجزيرة وما يفتتحه من بلاد الشام وذلك سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م^(٥).

ومنذ هذا التاريخ لعب عماد الدين زنكي دورا اساسيا ومهما في ارساء سياسة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين، سار عليها خلفاؤه من بعده في الدفاع عن الاراضي العربية، وبخاصة بعد وفاة صاحب دمشق سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م الذي يعتبر من اشد امراء بلاد الشام حرصا في التصدي للهجمات الصليبية^(٦).

- (١) ابن الاثير، الكامل، ١٠: ٦٠٥ والباهر، ص ٢٥.
- (٢) ابن الاثير، الباهر، ص ٢٥.
- (٣) عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص ٣٩.
- (٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٥٠. ابن الاثير، الباهر، ص ٣١.
- (٥) ابن الاثير، الباهر، ص ٣٤. ابو شامة، الروضتين، ١: ٧٥.
- (٦) وهو طفتكين ومن دوره في التصدي للغزو الصليبي انظر، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٢، ١٤٤، ١٥٩. عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ١: ٩٠ والصفحات التالية. الدكتور شاكر مصطفى، "طفتكين رأس الاسرة البيروية ومؤسس النظام الاتابكي"، مجلة كلية الاداب والتربية، جامعة الكويت، عدد ٢ لسنة ١٩٧٢، ص ٣٠. وانظر ايضا دريد عبد القادر نوري، موقف اتابكة دمشق من الغزو الصليبي لبلاد الشام، مجلة اداب الراقدين، جامعة الموصل، عدد ١ لسنة ١٩٧٩، ص ١١٣.

والذى يهمننا هنا بالذات هو تحديد علاقة عماد الدين زنكي واسرته من بعد ، بالسلطة المركزية ببغداد خاصة وان الفترة التي نصب فيها زنكي اميرا على الموصل كانت مرحلة صراع بين الخلافة العباسية والسلاجقة .

بادر عماد الدين زنكي منذ توليه الموصل والجزيرة الى التزام جانب السلاجقة ، وتعميق صلته بهم وتكريس طاقاته لتنفيذ سياستهم ، سيما وانهم هم الذين منحوه امانة الموصل ، في الوقت نفسه حاذر على الا يصطدم مع الخلافة العباسية ، لذلك سعى الى ان تكون علاقاته بهما قائمة على التفاهم والود حرصا منه على عدم استهلاك جهده في صراع جانبي قد يوصل الى انهيار مطامحه السياسية^(١) . الا ان موت السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م وما اعقبه من صراع بين السلاطين السلاجقة على عرش السلطنة ، واستغلال هذا الصراع من قبل الخليفة المسترشد لتحقيق مشروعه في استعادة هيبة الخلافة^(٢) ، جعله يسهم بصورة مباشرة في الصراع ملتزما جانب السلاجقة الامر الذى ادى الى خسران علاقته بالسلطة المركزية^(٣) . ولم تمض فترة طويلة حتى سارع عماد الدين زنكي الى تأكيد رغبته ، وحسن نيته في اعادة علاقاته مع المسترشد ، وقد اجابه الخليفة بعد امتناع شديد^(٤) . ولعل التقاء مصالحهما السياسية قد قربت وجهات نظرهما ، فقد اراد زنكي استغلال جدية الخليفة المسترشد بالتخلص من السلاجقة ، لتنفيذ

(١) عماد الدين خليل ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٢) انظر ص ٣٥ من الفصل الثاني .

(٣) انظر عن خسران علاقته بالخلافة العباسية في العظمي ، تاريخ العظمي ، ورقة ٢٠٨ ب . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٣٠: ١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ٥: ١١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٣٤: ١٠ ، ٣٥ . ابن الاثير ، الباهر ، ص ٤٨ . ويذكر ابن العمراني في هذا الصدد ان المسترشد امر رسول زنكي بالعودة اد راجه وابلاغ سيد ، " فلناتينهم بجند لا قبل لهم ولنخرجهم منها اذله وهم صاغرون " ، الانباء ، ص ٢١٨ .

مطامحه السياسية في الخطبة لالـب ارسلان باعتباره اتابكا له ، في الوقت السـذي ادرك فيه الخليفة المسترشد ما يخطط له زنكي على ما يـيد و (١) . لذلك قبل دعوته لاعادة العلاقات الودية للاستفادة منه في صراعه المرتقب مع السلطان مسعود ، وقد ظهر ذلك واضحا عند ما ارسل اليه سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م رسولا ومعه خلع اعدت له يسأمره فيه بضرورة فك حصاره عن دمشق (٢) . والمجيء الى بغداد مع الب ارسلان حتى يخطب له ويتعاونوا ضد مسعود (٣) . الا ان استعجال الخليفة المسترشد بالخروج من بغداد حالت دون تنفيذها وبالرغم من ذلك ، فان زنكي ارسل اليه قوة عسكرية لمساعدته الا انها وصلت متأخرة ولم تستطع اللحاق به (٤) .

وابان الصراع بين الراشد والسلطان مسعود سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م وقصف عماد الدين زنكي ملتزما جانب الراشد في صراعه هذا الذي انتهى بحصار السلاجقة بغداد وهروب الراشد مع عماد الدين الى الموصل ، ومن ثم خلع الراشد وتولية المقتفي بدلا عنه (٥) . وقد عبر زنكي عن موقفه هذا برفضه البيعة للخليفة الجديد (٦) . الا ان الخليفة المقتفي استطاع استغلال وجود رسول عماد الدين زنكي ببغداد سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م وتمكن من اخذ بيعته واقطع زنكي مقابل ذلك بعض الاقطاعات من املك الخليفة الخاصة في العراق رغبة في كسب رده ، وقد عد ابن الاثير هذا

-
- (١) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧١ . وكان زنكي قد سبق وان طلب من المسترشد الخطبة لالـب ارسلان الا ان المسترشد رفض ذلك ، انظر ابن واصـل ، مفرج الكروب ، ٤٦ : ١ .
- (٢) ابن القلانسي ، ذيل ، ٢٤٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢١١-٢٢٢ . ابن المديم ، زبدة الحلب ، ٢٥٨ : ٢ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٤٣ : ١٠ .
- (٤) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٢ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٤٥ : ١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢٥ : ١١ .
- (٥) انظر ص ٤٦ من الفصل الثاني .
- (٦) المعظمي ، تاريخ ، ورقة ٢١١ أ (م) . ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٥٧ .

الاجراء من قبل الخليفة سابقة " وقاعدة لم يسمح بها لاحد من زعماء الاطلسسراف ان يكون له في العراق اقطاع خاص وان يكون لهم نصيب من خاص الخليفة " (١) . كما انه زاد من القاب الشرفية (٢) . وقد اثمرت هذه الاجراءات وجاءت بنتائجها الايجابية اذ سرعان ما قطع زنكي خطبة الراشد وخطب للخليفة المقتفي بالموصل سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م (٣) .

وبفضل ما حازه زنكي من الاقطاعات والالقاب الجديدة ، توطدت علاقته بالخليفة ، فقد استمرت الوفود والمراسلات والصلات المتبادلة تتواصل بينهما ، ففسي سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م ارسل المقتفي الى زنكي طالبا اليه اطلاق سراح قاضي القضاة ابو القاسم علي بن الحسين الزينبي ، فاستجاب زنكي لطلب الخليفة واسرع باطلاق سراحه وارسله الى بغداد (٤) . وكان زنكي قد امر بسجنه وتعذيبه اثنا وجوده بالموصل بعد ان رفض ابطال الفتوى الخاصة بخلع الراشد في بغداد (٥) . وعلى اثر الانتصار الذي حققه عماد الدين على الصليبيين وافشال مخططهم لاحتلال مدينة شيزر ، بعث الخليفة كاتب الانشاء ابن الانباري اليه يهنئه بالانتصار ، وليخلع عليه خلع الخليفة المرسله معه (٦) . فلبس زنكي التشريف الواصل اليه

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ٤٥: ١١ والباهر ، ص ٥٤ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٤٥: ١١ . ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢: ٢٦٠ . ابن الوردي ، تاريخ ، ٥٧: ٢ .
- (٣) العظمي ، تاريخ ، ورقة ٢١١ ب . ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ٤٥: ١١ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٣٥: ١٠ - ١٣٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ٦٦ . ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ، ق ٤ ، ص ٢٤٦ .
- (٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ح ٨ ، ورقة ٦٥ ب (م) .
- (٦) العظمي ، تاريخ ، ورقة ٢١٢ ب . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٨٣: ١ . ابن العديم ، ٢٦٤: ٢٠ . وعن محاولة الصليبيين لاحتلال شيزر انظر ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٦٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ٥٦ - ٥٩ . عاشور ، الحركة الصليبية ، ٥٨٥: ٢٠ - ٥٨٧ . رسيما ، ستيفسن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٢: ٣٤٤ - ٣٥٠ .

لاظهار اهتمام السلطة المركزية ببغداد به (١) .

ازدادت حاجة الخلافة الى تدعيم علاقاتها مع عماد الدين بعد هذا الانتصار لما له من اثر من نفوس العرب والمسلمين قاطبة ، فقد واصل الخليفة ارسال الخلع اليه ترميماً للجهود التي يبذلها في دفع الخطر الصليبي عن حدود الدولة العربية الاسلامية (٢) . ولم يكتف الخليفة بارسال الخلع والهدايا فحسب ، بل كان يوهك في كل مناسبة تأييد الخلافة له في صراعه مع الصليبيين ، ففي سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م ارسل الخليفة رسولا من بغداد ليوهك دعم الخلافة له وليقرره على ولايته (٣) .

وقد تبلورت العلاقات الودية بينهما وازدادت وثوقا بعد فتح زنكي لامارة الرها الصليبية ، سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م (٤) . حيث ارسل اليه الخليفة سفارة تحمل الهدايا النفيسة وليسبح عليه لقب الملك الغازي الى جانب عدد من الالقاب الشرفية الاخرى مثل الامير الكبير ، العادل ، الموهيد ، المظفر ، قاهر الكفرة والمتمردين (٥) .

وموفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م (٦) انقسمت اتابكيتة بيسن ولد به نور الدين محمود الذي سار الى حلب فتملكها واخضع ما كان بيد ابيه من

-
- (١) المعظمي ، تاريخ ، ورقة ٢١٣ ب - ٢١٤ أ (م) .
 - (٢) ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٦٧ . ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢ : ٢٦٩ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٨ .
 - (٤) انظر عن امارة الرها الصليبية وفتحها ، ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٧٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٩٨ - ١٠٠ . عاشور ، الحركة الصليبية ، ٢ : ٥٨٥ - ٢٨٧ . رنسيان ، المصدر السابق ، ٢ : ٣٤٤ - ٣٥٠ . عماد الدين خليل ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
 - (٥) ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٨٤ . رنسيان ، المصدر السابق ، ٢ : ٣٨٣ .
 - (٦) ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٨٤ . ابو شامة ، الروضتين ، ١ : ١٠٧ .

بلاد الشام^(١) . وسيف الدين غازي الذي نصب اميرا على الموصل^(٢) .

وعلى الرغم من هذا الانقسام الخطير فقد اتسمت علاقات كلتا الاتابكيتين " حلب والموصل " مع السلطة المركزية بطابع الود والاحترام المتبادل ، خاصة وان الامراء الجدد كانوا بحاجة ضرورية للحصول على التقليد بالولاية من الخليفة العباسي ببغداد ، لانه خليفة المسلمين ومصدر قوتهم ، ولكي يسبقوا على حكمهم الشرعية في نظر شعوبهم ، هذا التقليد الذي اصبح من مستلزمات الولاية وممن متمات الشرعية واهم اركانها^(٣) . فقد حرص سيف الدين غازي (٥٤١-٥٤٤هـ) / (١١٤٦-١١٤٩م)^(٤) على ابقاء اسم الخليفة المقتفي يذكر على المنابر وان يضرب على السكة^(٥) . في حين استمرت الوفود والمراسلات تتواصل بينهما^(٦) . حتى انه استجاب في احدى هذه الوفود لطلب الخليفة باطشلاق سراج القاضي كمال الدين محمد بن احمد الشهرزوري الذي احتجزه سيف الدين بالموصل ، الامر الذي يؤكد المكانة الروحية للخليفة لديه^(٧) .

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١١٢ . ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٠٢ .
- (٢) ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٢٨٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١١٢ . والباهر ، ص ٨٤ - ٨٥ .
- (٣) الجميلي ، رشيد ، دولة الاتابكة في الموصل ، ص ٢٢٤ .
- (٤) Bosworth, The Islamic Dynasties, p. 121.
- (٥) الحسيني ، محمد باقر ، العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ، ص ٣٩ - ٤٠ . وانظر رشيد الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .
- (٦) عن هذه الوفود انظر الاصبهاني ، الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ١٢ : ٢ ، ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (٧) ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٣٠١ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ : ٣٢٦ .

وإذا كانت علاقات سيف الدين بالخلافة قد اتسمت بالودية والاحترام فإن علاقات وزيره جمال الدين محمد الاصفهاني لم تقل عن ذلك . فقد كانت وفود ترد الى الخليفة ببغداد وهي محملة بالهدايا والنفائس (١) .

وقد استمرت هذه العلاقات الودية في عهد اخيه قطب الدين مسعود (٥٤٤ — ٥٦٥ هـ) / (١١٤٩ — ١١٦٩ م) (٢) حيث استمرت الخطبة للمقتضي بالموصل ، وظلت النقود تسك باسمه (٣) . كما انه وقف الى جانب الخلافة فسي صراعها مع السلاجقة في بدء الامر ، حيث ارسل سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م الى صاحب قلعة تكرت يأمره بضرورة اطلاق سراح ابن وزير الخليفة ومعض قواده — ممن كانوا قد اسروا ابان حصار تكرت — ويأمره كذلك بلزوم طاعة الخليفة (٤) . الا ان هذه العلاقات لم تستمر على سجيئتها ، بل اصابها بعض التدهور على ما يبدو ، حيث ابدى قطب الدين مودود استعدادا لمساعدة السلطان محمد السلجوقي فسي حصار بغداد وذلك عن طريق ارسال قوة عسكرية بقيادة قائد جيش الموصل زين الدين علي كوجك (٥) .

اما عن علاقة الخلافة بنور الدين محمود صاحب حلب الذي اثبت انه آهل لحمل راية الجهاد ضد الغزو الصليبي الذي بدأه ابوه عماد الدين (٦) . فقد بقي

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٠٨ ، والباهر ، ص ١٢٨ . ابو شامة ، الروضتين ، ٢ : ٣٥٠ .

(٢) Bosworth, The Islamic Dynasties, p. 121.

(٣) انظر النقشبندی ، الدينار الاسلامي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ١٠١ ، السنة ١٩٥٦ ، ص ٢٣٥ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٦ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠٧ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ : ١٣٢ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٤٢ .

(٦) عن دور نور الدين في الجهاد ضد الصليبيين ، انظر حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون .

رغم

حريصا كل الحرص على كسب رضا السلطة المركزية ببغداد و اظهار طاعته لها ، ايماننا
بقدر سيتها ورغبته في الفوز بتأييدها في صراعه مع الصليبيين ^(١) . ولذا فانه كان
يوكد ذلك عن طريق ارسال بعض غنائم انتصاراته على الصليبيين الى الخلافة . ففي
سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م وبعد ان تمكن من انزال هزيمة منكرة بالصليبيين في منطقة
انطاكية بادى الى ارسال جزء من غنائم هذه المعركة الى الخليفة المقتفي ، عززها
بمجموعة من اسرى الصليبيين ^(٢) . الامر الذي يوكد حقيقة ارتباطه الديني والسياسي
بالخلافة العباسية التي يستمد منها قوته الروحية وليلقى منها الدعم المعنوي على
الاقل . وتكرر ارسال مثل هذه الغنائم سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م عند ما تمكن نور الدين
محمود من هزم الصليبيين في منطقة بانياس ، فقد ارسل الى الخليفة رومان بعض
امراء الصليبيين ورسولا يحمل بعض التحف والهدايا ^(٣) .

وبالمقابل كانت الخلافة تواصل ارسال الوفود والرسائل وهي تحمل الخلع
والتشريف مشنة الدور الذي يلعبه والجهود التي يبذلها نور الدين في صد الغزو
الصليبي ^(٤) . حتى ان احد الشعراء الشاميين هنا نور الدين في احدى قصائده
بالخلع التي وصله بها الخليفة المقتفي من بغداد ^(٥) .

-
- (١) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٣٤ . ابن واصل ، مفرج الكسروب ،
١ : ١١٤ . سبط ابن الجوزي ، مرآة ، ٨ : ٢٠١ . الحموي ، التاريخ
المنصوري ، ص ١٠٧ . ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٠٣ . ومن
هذه المعركة انظر ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٣٠٤ . ابو شامة
الروضتين ، ١ : ٥٧ - ٥٨ .
(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٨
ورقة ١١٥ . وانظر ايضا ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٣٣٩ . الحموي ،
التاريخ المنصوري ، ص ١٧٠ .
(٤) ابو شامة ، الروضتين ، ١ : ٢١٠ .
(٥) المصدر نفسه ، الجزء ، والصفحة .

وفيما كانت الخلافة العباسية تواصل ارسال الخلع الى نور الدين لم تنس ما قد يحدث جراء الخلافات بين الاتابيكيات في بلاد الشام كأتابكية دمشق^(١) وسلاجقة الروم في قونية واثار ذلك في زعزعة الجبهة العربية الاسلامية ازاء المهد الصليبي في المنطقة ، لذلك كانت وفود الخلافة العباسية ترد باستمرار الى هذه الامارات والاتابيكيات لتؤكد ضرورة تناسي خلافاتهم وادامة التعاون العسكري وتنسيق جهودهم باتجاه صد الغزو الصليبي^(٢) .

ومنا على ذلك لم يأل الخليفة جهدا بارسال رسول الى نور الدين محمد بعد ايام من استيلائه على دمشق سنة ٥٥٤٩هـ / ١١٥٤م^(٣) ليؤكد رغبته في

(١) اتابكية دمشق : تنسب الى ظهير الدين ابو منصور طفتكين التركي السدي كان من ممالك السلطان تتش ثم اصبح اتابكا لولد دقاق ومعد وفساة دقاق سنة ٤٩٧هـ عهد باتابكية دمشق الى طفتكين والرعاية لولد دقاق تتش واستمرت هذه الاتابكية تحت نفوذ اسرة طفتكين الى سنة ٥٥٤٩هـ / ١١٥٤م حيث استولى عليها نور الدين . انظر د . شاكسر مصطفى " طفتكين رأس الاسرة البورية " ، مجلة الاداب والترتبة الكويتية ، عدد ٢ لسنة ١٩٧٢ ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) عن هذه الوفود انظر ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٣٠١ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ : ٣٧٦ . ابن ابي عذينة ، تاريخ دول الاعيان ، ٤ : ٣٧٩ (م) . وقد اورد ابن الاثير عن لسان الوزير جمال الدين الاصفهانى وزير اتابكية الموصل ما يؤكد رغبة الخلافة ببقاء هذه المنطقة بعيدة عن الخلافات عند ما ذكر الوزير لسيف الدين غازى بضرورة نبذ خلافاته مع نور الدين قال " اننا نظهر للخليفة اننا تبع نور الدين بن نور الدين يظهر للافرنج ويتهدد هم بنا " ، الباهر ، ص ٩٦ .

(٣) ابن القلانسي ، ذيل ، ص ٣٢٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ص ١١ : ١٩٧ .

توحيد الجبهة العربية الاسلامية المواجهة للصليبيين ، حاملا معه الهدايا والتحف وعهدا ولاء بموجبه بلاد الشام مضافا اليه مصر واعمالها (١) . مسبغا عليه لقبـ الملك العادل (٢) ، ويأمره بالمسير اليها لفتحها ، خاصة بعد ان ادرك الخليفة اضطراب الاوضاع السياسية في مصر نتيجة لمقتل خليفته الفاطمي الظافر بالله وما اعقب ذلك من احداث عاصفة بالدولة الفاطمية (٣) . حتى ليذكر ان الصليبيين هددوا بغزو مصر منتهزين اضطراب الاوضاع الداخلية فيها (٤) .

ويؤكد الموقف الذي وقفه نور الدين محمود اثناء الحصار السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م عمق العلاقة السياسية والروحية التي تربطه بالخلافة العباسية في بغداد ، فقد عبر عن استنكاره الشديد لموقف اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل ازاء الخلافة بمساعدته السلطان محمد السلجوقي ، كما انه بعث السـيـ زين الدين على كوجك يلومه على قتال الخليفة المقتفي (٥) ويأمره بان يمضي ويرمـي نفسه " بين يدي الخليفة حتى يرضى " (٦) عنه .

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٣١ . الذهبي ، دول الاسلام ، ٢ : ٦٥ . السيوطي ، محسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ٢ : ١٢ .

(٢) ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٤٧ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٤٤٠ .

(٣) انظر عن هذه الاحداث ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩١-١٩٤ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ : ٣٠٠-٣١٥ . ابن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ١٧-٢٧ . ابوشامة ، الروضتين ، ١ : ٩٧-٩٩ .

(٤) عاشور ، الحركة الصليبية ، ٢٥ : ٦٨١ . معتمد على بعض المصادر السريانية .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٤ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧١ .

٤ - المزديون :

تنتمي الاسرة المزديية الى قبيلة بني اسد العربية^(١) ، التي سكنت انحاء متفرقة من العراق منذ بداية حروب التحرير العربية الاسلامية^(٢) . وقد برز المزديون كقوة جديدة ومؤثرة على المسرح السياسي في العراق منذ اواخر القرن الرابع الهجري وديايات القرن الخامس الهجري ، حيث استطاعوا ان يؤسسوا امارة مستقلة لهم في منطقة الفرات الاوسط وتحت يد ا في مدينة الحلة فيما بعد ، مستغلين الاضطراب الذي شهدته سلطة البويهيين وضعف سيطرتها على العراق^(٣) .

اتسع نفوذ هذه الاسرة وسيطرت على مناطق واسعة من العراق وخاصة في عهد اميرها علي بن مزيد " ٣٥٠ - ٤٠٨ هـ) / (٩٦١ - ١٠١٧ م) وابنه ديبس (٤٠٨ - ٤٧٤ هـ) / (١٠١٧ - ١٠٨١ م) اللذين ناضلا طيلة سنين من اجل تثبيت اسس امارتهما وتوسيع حدودها^(٤) .

عاصرت هذه الامارة فترتين مهمتين من فترات التسلط الاجنبي على العراق (البويهي والسلجوقي) ، ولعبوا خلالها دورا متميزا في النضال ضد هذه القوى ساهم الى حد كبير في اشغال السلطة الاجنبية وتفتيت قوتها كما انها حالست دون استمرار تسلطهم على العراق^(٥) . وقد برز دورهم هذا بشكل جلي في فترة التسلط السلجوقي ، حيث جعلوا من انفسهم كتلة مؤثرة في تغيير انماط التحالفات

-
- (١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٢٤: ٢٤٠ . ابن خلدون ، تاريخ ، م ١٩: ٤ .
الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حلل) ٢٨٣: ٧ . وانظر د . عبد الجبار ناجي ، الامارة المزديية ، ص ٥٦ - ٥٧ .
(٢) سليمان ، احمد السعيد ، تاريخ الدول الاسلامية ، ٢٥٣: ١ .
(٣) Bosworth, The Islamic Dynasties, p. 51.
(٤) انظر د . عبد الجبار ناجي ، الامارة المزديية ، ص ٥٩ وما بعدها .
(٥) عاشور ، الحركة الصليبية ، ١١٥: ١ .

السياسية في العراق من خلال استغلال الصراع بين السلاطين السلاجقة من جهة والصراع بين الخلفاء والسلاجقة من جهة أخرى (١).

بدأت علاقة الخلافة العباسية بالاسرة المزديية في فترة كان الخلفاء يناضلون من اجل استعادة سلطتهم السياسية والادارية من المتسلطين الاجانب عن طريق استغلال الصراع بين السلاطين السلاجقة على العرش ، لذلك حاولوا جاهدين اقامة علاقات ودية مع بعض امراء المزديين بغية كسب تأييدهم واستمالتهم الى جانب الخلافة في صراعها واستطاع الخليفة المقتدى ومن بعده ابنه المستظهر من اقامة علاقات حسنة مع الامير صدقة بن منصور المزدي (٤٧٨-٥٠١هـ) / (١٠٨٥-١١٠٨م) (٢). حتى ان المقتدى استعان بقوة صدقة العسكرية لقمع بعض احداث الشغب في بغداد نفسها (٣). الا ان تضارب مصالحهما السياسية عرقلت توطيد علاقتهما ، ففي حين حاول الخليفة تحجيم صلاحيات صدقة خشية من اطماعه في بسط سيطرته على العراق ، كان صدقة هو الآخر يتوجس شرا من تنفيذ المستظهر عند استرداده سلطته السياسية وبذلك سيصبح خطرا حقيقيا يهدد مطامحه السياسية (٤).

وفي عهد دبيس بن صدقة (٥١٢-٥٣٠هـ) / (١١١٨-١١٣٥م) اتسمت علاقته بالخليفة المسترشد بادية الامر بالاحترام حتى انه سارع الى مبايعته على الطاعة (٥) ، كما انه استجاب لطلب الخليفة بالقبض على اخيه ابو الحسن بن المستظهر الذي هرب الى الحلة ومنها الى واسط واعلن نفسه خليفة للمسلمين (٦). الا انه ورغم

(١) Bosworth, The Islamic Dynasties, p. 51.

(٢) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩ : ٤٨ ، ١٣٢٦ ، ٢٣٦٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ١٥١ ، ١٨٤ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩ : ١٣٢ .

(٤) د . عبد الجبار ناجي ، الامارة المزديية ، ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩ : ١٩٨ ، ٢٠٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٥٣٨ . ابن العبراني ، ص ٢١٣ .

ذلك فقد اظهر تمرد ، وتحديه للخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية معا ، الامر الذي وصلت فيه علاقاتهما الى الصدام المباشر ^(١) . وقد ذهب دبيس اخيرا ضحية مطامحه السياسية على يد السلطان مسعود السلجوقي ^(٢) . وعند ما أعلن الخليفة الراشد الذي خلف والده ثورته على السلاجقة ، اشترك الامير المزيدي صدقة بن دبيس الذي عين بدلا من والده اميرا على الحلة مع الخليفة في نضاله ضد السلاجقة سنة ٥٣٠هـ ^(٣) .

ولم يذكر مؤرخونا شيئا عن علاقة الامير المزيدي محمد بن دبيس الذي عينه السلطان مسعود اميرا على الحلة بدلا من اخيه صدقة ^(٤) سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م ^(٥) ، طيلة فترة امارته وحتى سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ، ففي هسذه السنة تمكن اخوه علي بن دبيس من تجنيد جموع كثيرة من بني اسد وسار بهم الى الحلة واستطاع الاطاحة بأخيه محمد وتنصيب نفسه اميرا على الحلة ^(٦) . وأعلن تهديده بالاستيلاء على بغداد ، مما حدا بالخليفة المقتفي الى اتخاذ تدابير دفاعية حول بغداد للحيلولة دون ذلك ، في الوقت ذاته ارسل اليه من الديوان

(١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٠ ، ١٢٠ ، ٢٦ - ٢٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٧٦ - ٦٧٩ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات ، ٣٣ : ٢ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٣٦ : ١١٠ .

(٤) قتل صدقة بن دبيس في المعركة التي قامت بين السلطان مسعود والملوك داود ومجموعة الامراء الذين ارادوا إعادة الراشد الى الخلافة ، حيث اشترك صدقة الى جانب السلطان مسعود . انظر ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٤٧٠ . ابن العبراني ، الانباء ، ص ٢٢٣ . الفسافي ، المعجم المسبوك ، ٢ : ٦١ . وانظر الامارة المزيديّة ، ص ١٦٠ - ١٦٢ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٦١ : ١١ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٠٥ . ابن الوردي ، تاريخ ، ٢ : ٦٤ .

رسولا شخصيا يأمره فيه بالكف عن تهديد هـ وشه العرب في قلوب الناس^(١). ويظهر ان الامير علي قد اذعن لاوامر الخليفة التي نمت عن احترامه الخليفة لمكانته الروحية حيث اجاب بقوله " انني العبد المطيع مهما رسم لي فعلت " (٢).

ولعل علاقة الامير علي بن دبيس السيئة مع السلطان مسعود دفعتهم الى الاشتراك مع الامراء السلاجقة المنشقين عن طاعة السلطان مسعود في حصار بغداد لسنتي ٥٤٣هـ/١١٤٨م و ٥٤٤هـ/١١٤٩م^(٣). التي لم يراعوا فيها حرمة الخلافة العباسية .

وفي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م توفي علي بن دبيس^(٤) وخلفه ابنه مهلهل على امارة الحلة^(٥). ولم تتضح طبيعة علاقة الامير الجديد بالخلافة العباسية لقصر فترة حكمه ، حيث ان الخليفة تمكن سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م بعد وفاة السلطان مسعود من تحرير الحلة وسط نفوذ الخلافة عليها^(٦).

على ان مهلهل بن علي استغل الوضع المضطرب الذي احده نياً مسير الجيش السلجوقي باتجاه بغداد اواخر سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م وانهمك الخلافة باستدعاء امراء العراق وتمكن من الاستيلاء على الحلة وطرد ممثل الخليفة منها^(٧).

- (١) ابن الاثير ، الكامل ١١٥: ١٠٥٠ ابن الفوطي ، تلخيص ٤٠٣: ٣٥٤ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ١١٥: ١٠٥٠ .
- (٣) انظر ص ٦٣-٦٤ من الفصل الثاني .
- (٤) ابن حمدون ، التذكرة ١٢: ١٩٢ (م) . ابن الجوزي ، المنظوم ، ١٠: ١٤٦ . ابو الفدا ، المختصر ٢: ١٧ . الصدي ، الوافي ١٢: ٦٢ (م) . ابن ابي عذبة ، تاريخ دولة الايمان ٤: ٣٠٩ (م) . ويذكرها ابن الاثير في أحداث ٥٤٥هـ ، الكامل ١١٥: ١٥٢ .
- (٥) الصدي ، الوافي ١٢: ورقة ٦٢ (م) . ابن ابي عذبة ، تاريخ ٤: ٣٠٩ (م) .
- (٦) انظر ص من الفصل الثاني .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠: ١٦٨ . د . عبد الجبار ناجي ، الامسار المزيدي ، ص ١٦٨ .

ومع ابتداء الحصار السلجوقي لبغداد ، أبدى بعض الامراء الطموحين من بني اسد استعدادهم لمشاركة الجيش السلجوقي في الاستيلاء على بغداد ، وشاركوا الجيش السلجوقي في شن بعض الهجمات النهرية من جانب دجلة باتجاه بغداد الا انها باءت بالفشل الذريع بفضل المقاومة العنيدة التي ابداه اهل بغداد ومماليك المقتدي (١) . فقد قتل بعضهم وغرق البعض الاخر كما اسرى بعض امراءهم وقد امر الخليفة بصلبهما على دقل زورق مقابل الجيش السلجوقي بعد ان مثل بهما اهالي بغداد ، وعلق الباقون على سور بغداد لقاء فعلهم الخياني (٢) .

ويرى احد الباحثين ان الذين اشتركوا في هذه المعركة جماعة من بني اسد وليسوا من اسرة المزيديين لان الامير مهلهل قد توفي في السنة نفسها ، واستلم الامارة جماعة من بني اسد وهم الذين اشتركوا في القتال (٣) . ويؤكد ذلك ان الخليفة المستنجد قد جرد حملة عسكرية لاجلاء بني اسد من الحلة لقاء فعلتهم النكراء هذه وذلك سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م (٤) .

٤ - امارة البطائح العربية :

خلال فترة التسلط البويهبي الاجنبي على العراق ، وما رافقها من ارتباك في الاوضاع السياسية والاقتصادية للدولة العربية الاسلامية ، ظهرت ردود فعل

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ - ١٢٠ . البنداري ، تاريخ دولته آل سلجوق ، ص ٢٣١ . الراوندي ، راحة الصدور ، ص ٣٨٣ . الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣١ . الحسيني ، اخباره ص ١٣٧ ويذكر ان الذي اشترك في القتال علي بن دبيس وهو خطأ لان علي توفي سنة ٥٤٦هـ .

(٣) د . عبد الجبار ناجي ، الامارة المزيديية ، ص ١٦٩ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٩٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٤٦ .

عربية ناصبت العداء للمتسلطين الاجانب ، وقد تمثلت هذه بظهور بعض الامارات العربية ، كان بعضها قريبا جدا من مركز الخلافة العباسية في بغداد كأمانة البطائح في جنوب العراق ، التي ساهمت الى حد كبير في اضعاف القوة الاجنبية البويهية واشغالها وعدم افساح المجال امامها لتوطيد دعائم استقرارها في بغداد (١) .

وقد قاد عمران بن شاهين السلمي مؤسس هذه الامارة العربية مقاومة بطولية بوجه البويهيين حتى تمكن من انتزاع اعترافهم بعاميرا على منطقة البطائح سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م (٢) . وقد استمرت امانة بني سليم بقيادة عمران بن شاهين وخلفائه من بعده صامدة بوجه البويهيين طوال عهد امراءها الاوائل رمزا للمقاومة العراقية الصلبة ضد الغزو الاجنبي للعراق (٣) .

ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حكمت البطائح اسرة عربية اخرى هي اسرة آل ابي الجبر اللثي ، حيث تمكن الامير ابو علي محمد بن ابي الجبر من استغلال الاوضاع المرتبكة جراء دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م واعلن نفسه اميرا على البطائح سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م (٤) . على

(١) ابراهيم جدوع ، امانة البطائح العربية ، ص ١٠ و ٩٨ (رسالة ماجستير غير منشورة) .

(٢) انظر مسكويه ، تجارب الامم ، ٢ : ١٣٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨ : ٤٩٠ ، المعاضدي ، واسط في العصر العباسي ، ص ٥٦ . وعن عمران بن شاهين ، انظر ابراهيم جدوع ، المصدر السابق ، ص ٦٧ . فاروق عمر فوزي ، دور اهل ميسان في الدفاع عن عروبة العراق ، المورد ، ١٥ ، ع ٣ ، ص ٣٩ .

(٣) فاروق عمر فوزي ، دور اهل ميسان ، ص ٤١ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ٦٥٢ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٤٠ : ١٠٩٠ .

الرغم من المحاولات السلجوقية المحمومة التي استهدفت ازاحتها عن حكم البطائح (١) .
 وذلك يعد الامير ابو علي اول امير من آل ابي الجبر يتقلد الامارة في عهد
 التسلط السلجوقي ، واستطاع ابناءؤه من بعده ان يلعبوا دورا سياسيا مشرفا في
 ابراز الوجه العربي للعراق حيث مثلوا الرافض العراقي لكل قوة اجنبية تحاول
 النيل من استقلاله (٢) .

وعلى الرغم من اخضاع السلاجقة لامارة البطائح سنة ١١٠٢/٥٥٠١م
 واقطاعها لاحد ممالك السلطان السلجوقي الذي اناب عنه هو بدوره احد احفاد
 الامير ابو علي بن ابي الجبر (٣) ، الا ان المظفر بن حماد بن ابي الجبر استطاع
 سنة ١١٢٢/٥٥١٦م من السيطرة على البطائح وقتل اميرها المستناب من قبل
 السلاجقة (٤) . وذلك عادت امارات البطائح مستقلة غير خاضعة لاي تسلط اجنبي .

وقد لعب هذا الامير البطايعي (٥١٦-٥٥١هـ) / (١١٢٢-١١٥٦م)
 دورا مهما في مقاومة التسلط السلجوقي واستغلال الصراع بين السلاطين والامراء
 السلاجقة في محاولة ذكية منه للحد من سلطتهم واشغالهم عن التدخل بشؤون
 امارته (٥) . كما ان علاقته توطدت مع الخلافة العباسية وشكل جلي في فترة حكم
 المعتفي والذات منذ سنة ٥٣١/١١٣٦م ، حينما استجاب لطلب الخليفة بتهيئة
 السفن اللازمة لنقل الخليفة ومن معه للانحدار بهم نحو البطائح ، بعد ان انتشرت

(١) ابن خلدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٦٨ .

(٢) ابراهيم جدوع ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) اقطعت البطائح الى ملوك السلطان محمد واسمه محكوية الذي سرعان
 ما اناب عنه نصر بن النقيس وهو احد احفاد الامير ابو علي . انظر
 الاصفهاني ، الخريدة ، ج ٤ ، ص ٥٤٥ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٥٩٩ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٤٥ : ١٠٩٠ -
 ١٠٩١ .

(٥) ابراهيم جدوع ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

شائعات في بغداد عن عزم الراشد والملك دويد ومن معها نحو بغداد (١). ولعل استدعاء الخليفة المقتفي للمظفر بن حماد دون غيره من امراء الاطراف يؤكّد ادراك الخليفة لطبيعة القبائل العربية في استعدادهم الكامل لقبول الاستجارة والسذود عن المستجير ، خاصة وان هناك تجارب سابقة في التجاء بعض الخلفاء السّياسيين القبائل العربية آبان فترات التسلط السلجوقي (٢) .

ويظهر ان الخليفة المقتفي قد حرص على توطيد علاقته بأمر البطائشح المظفر وادامتها رغبة منه في كسب هذه الامارة العربية في معركته ضد المتسلطين الاجانب . وقد اكدت مواقف هذا الامير من السلاجقة واضعاف تسلطهم في العراق عبر اشتراكه مع ديبس بن صدقة (٣) . والامير اللطرنطاوى صاحب واسط (٤) . وبأكثر من مناسبة في مقاومة السلاجقة رغبة المقتفي في توثيق صلته به ومخاصة بعد وفاة السلطان سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م . حتى انه استجاب لرجاء الامير المظفر في التدخل لدى قاضي القضاة ابو الحسن الدامغاني بغية العفو عن احد قضاة واسط (٥)

- (١) انظر ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢٢٣ .
- (٢) يذكر ابن الفوطي " ان البطائشح في ايام آل ابي الجبر كانت حرماً آمناً " تلخيص مجمع الاداب ، ٤ : ٦٢٣ . وعن التجاء الخلفاء الى القبائل العربية كالتجاء القادر بالله الى البطائشح ، والتجاء الخليفة القائم السّياسيين العقيليين ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ : ١٥٢ ، ٨ : ٢٠٥ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٣٠٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٦٧٩ ، ١٠ : ٦٧٩ .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٧٨ .
- (٥) وهو القاضي ابو يعلى بن الفراء .

الذي يرتبط بعلاقات مع امير البطائح ، وكان هذا القاضي قد هدد من قبل قاضي القضاة لانه مارس القضاء رغم كونه قد عزل من قبل قاضي القضاة المذكور (١) .

وعلى الرغم من ان مصادرنا لا تشير الى معلومات اخرى تؤكد رغبة الخليفة هذه لتكشف لنا طبيعة العلاقات بين الخلافة وامارة البطائح ، الا ان احداث سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م اثبتت ان الخلافة قد استطاعت كسب هذه الامارة الى جانبها وان علاقتهما قد سارت بصورة حسنة ، فقد وقف الامير المظفر موقفا مشرفا مع الخليفة عند ما خرج بجيشه لملاقاة السلاجقة بموقعة بجمزا ، وقاد ميمنة الجيش العباسي وابلى بلاء حسنا حتى حسم الموقف لصالح الجيش العباسي حينئذ (٢) .

ومحلول سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م قتل الامير المظفر من قبل احد افراد اسرته ومن الطامعين في الامارة وتم تعيين ابنه مكانه (٣) . ويبدو ان مقتل الامير المظفر قد احدث شرخا في علاقات الامارة بالسلطة المركزية ، فقد امتنع امير البطيحة الجديد بدر بن المظفر من الاستجابة لطلب الخلافة القاضي باستنفار امراء مدن العراق للدفاع عن عاصمة الدولة العربية الاسلامية بغداد بعد سماع نبأ مسير الجيش السلجوقي نحوها (٤) . ولم يكن الامير بدر بالامتناع عن تلبية نداء الخليفة بل اتخذ موقفا خيانيا بعد ان حوصرت بغداد حيث عرض خدماته وامكاناته العسكرية ووضعاها تحت تصرف السلطان محمد السلجوقي (٥) . مقابل اطلاق يده في مواضع قريبة من امارته (٦) . وفعلا ارسل الى السلطان قوة عسكرية ومجموعة

-
- (١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢١٣ . ابن رجب ، ذيل ، ١٤ : ٢٤٥ .
 - (٢) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٣١-٢٣٢ . ويذكر ان السدي اشترك هو بدر بن المظفر .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٧ . الاصبهاني ، الخريدة ، ٤ : ٢ ، ٥٣٠ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ .
 - (٥) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٨ .
 - (٦) الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٨ .

من السفن ، تمكن اهالي بغداد والجيش العباسي من ايقاف هذه الامدادات بعد مدة واحراق بعض من هذه السفن (١) .

ولم تمض فترة اكثر من ثلاثة اشهر (٢) على انتهاء الحصار السلجوقي لبغداد ، حتى سار الخليفة المقتفي نحو البطائع عازما على تأديب اميرها لقاء موقفه المتخاذل وما ان سمع الامير يدرب ذلك ، حتى سارع الى الهرب من البطيحة (٣) .

ويظهر ان البطائع اصبحت تابعة للسلطة المركزية في بغداد ابتداء من هذا التاريخ رغم انقطاع اخبارها ، يدل على ذلك ما ذكره احد المؤرخين سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م ، عن وصول الخليفة الى واسط وانحداره الى الفرات وعزله الامير ظفر وهاقبه وطالبه بما استخرجه من دفاثن ابن حماد (٤) .

• - امراء مكة :

على اثر اعلان الخطبة للعباسيين في مكة سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣ م ، تمكن صاحب اليمن الصليحي من دخول مكة بناء على اوامر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله واستعادة النفوذ الفاطمي فيها (٥) . وقبيل رجوع صاحب اليمن اُناب عنه ابو هاشم محمد بن جعفر (٦) احد افراد اسرة الهواشم التي تنتسب الى ابي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن الجون بن عبد الله بن الحسن بن السبط

-
- (١) البند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠ . الراوندي ، راحة الصدر ، ص ٣٨٣ .
- (٢) انتهى الحصار يوم ٢٤ ربيع الاول سنة ٥٥٢هـ وقصد الخليفة البطائع يوم ٢٥ جمادى الآخرة من نفس السنة .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٦ .
- (٤) البند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٥ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٣٠٠ . جارشلي ، امراء مكة في العهد العثماني ، ص ١٣ . مالكي ، د . سليمان ، بلاد الحجاز ، ص ٣٥ .
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ٣٠٠ . الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢ : ١٩٦ .

بن علي (١) .

وقد تعاقب افراد هذه الاسرة على حكم مكة منذ سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣ م حتى غلبت عليها احد الاسر المكية هي " بنو قتادة " في نهاية القرن السادس الهجري (٢) .

تميزت علاقة اسرة الهواشم الخارجية بالتذبذب السياسي ، ولعبت الاعطيات التي كانت تقدمها الخلافتان العباسية في بغداد والفاطمية في مصر اليهم دورا اساسيا ومهما في تحديد مسارات سياساتها مع كلتا الخلافتين ، فكانوا يخطبون تارة للفاطميين وتارة اخرى للعباسيين (٣) . ويقدمون في ذلك من تكون صلته اعظم (٤) .

وعلى الرغم من ان فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر امير مكة قد افتتح امارته بالخطبة لبني العباس سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م (٥) . واستمرار هذه الخطبة حتى في زمن عهد الخليفة المقتفي لامر الله (٦) . الا ان ذلك لم يمنع من وجود علاقات مودة بين امير مكة والخلفاء الفاطميين ، ويبدو ان تلك كانت محاولة منهم لكسب ود الخلافتين العباسية والفاطمية والحفاظ على علاقاتهم الطيبة معهم (٧) .

على ان الخليفة المقتفي وهو يحاول اعادة هئية الخلافة العباسية قد اولى هذا الشطر من الدولة العربية اهتمامه الكبير ، فقد عني باصلاح وتعمير الكعبة في مكة بالرغم من حراجه الظروف التي واجهته . ولعل هذا الاهتمام المتزايد بهذه البقعة ،

-
- (١) ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ص ١١٢ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤ : ٢٧١ .
 - (٢) انظر مقدمة الخريدة للاصبهاني ، قسم شعراء الشام ، ٣ : ٨ .
 - (٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤ : ٢٧٠ - ٢٧١ . ومآثر الانافة ، ٢ : ٦ .
 - (٤) الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢ : ١٩٧ .
 - (٥) القلقشندي ، مآثر الانافة ، ٢ : ٢٩ .
 - (٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة وايضا صبح الاعشى ، ٤ : ٢٧١ .
 - (٧) مالكي ، المصدر السابق ، ص ٣٧ - ٣٩ .

قد عكس رغبته الصادقة والاكيدة في فرض سلطانه الروحي والفعلية ان امكن ذلك ، او الاكتفاء بالسلطان الاسمي عليها ، لما لها من اهمية في نظر المسلمين عموماً ، حيث يظهر الخليفة بمظهر حامي الحرمين امام الحكام المسلمين وشعوبهم (١) . خاصة وهو في مرحلة صراع سياسي مع السلاجقة ، الى جانب حرصه الشديد لكسب واستمالة امير مكة الذي لم تزل علاقاته السياسية قائمة مع الخلافة الفاطمية التي تناصب العداء للخلافة العباسية في بغداد ، تؤكد ها تلك السفارات التي قام بها الشاعر عمارة اليمني (٢) بين امير مكة قاسم بن هاشم بن فليته سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م (٣) .

ومن بين اهتمامات الخليفة المقتفي ، انه واصل ارسال الكسوة السنوية الى الكعبة كما جرت عليه العادة ، كما انه انفذ الى مكة سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ميزاباً (٤) عوضاً عن الميزاب الذي ارسله احد التجار الفرس ، واصدر اوامره الى الديوان بضرورة تجديد سقف الكعبة والدرجة التي يباطنها والتي يصعد منها الى سطح الكعبة (٥) .

(١) بدرى محمد فهد ، العراق في العصر العباسي الاخير ، ص ١٦٦ و ١٩٠ .
(٢) عمارة اليمني : نجم الدين عمارة بن ابي الحسن على الحكمي اليمني ، شاعر ومؤرخ كبير ، عاش فترة طويلة قريباً من البلاط الفاطمي ومدح بعض وزرائهم ، قتله صلاح الدين الايوبي بعد ان اتهمه بانه كان يعمل لاعادة دولته الفاطمية وذلك سنة ٥٦٩هـ . له مؤلفات كثيرة منها تاريخ اليمن والنكت العصرية . انظر ترجمته ، الاضبهاني ، الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ١٠١٣ : ١١٥ . وانظر المقدمة التي كتبها ، هرتولخ في كتابه النكت العصرية .

(٣) عمارة اليمني ، النكت العصرية ، ص ٣٢ ، ص ٤٢ .

(٤) الميزاب : وهو ما يسيل منه الماء من مكان عال ، ومنه ميزاب الكعبة .
الجواليقي المعرب من الكلام الاعجمي ، ص ٣٧٤ . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة "وزب" ٥٠٣ : ١ .

(٥) الياحسين ، د . علي عبد الرحمن ، تاريخ مكة في العصر العباسي ، ص ١٧٣ ، نقلاً عن مخطوطات موجودة في مكتبة الحرم المكي الشريف .

وحلول سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م امر المقتفي والي مكة وامير الحرمين قاسم بن هاشم ان يركب على باب الكعبة الباب الذي ارسله من بغداد وهو من خشب الصاج المصفح بالنقرة المذهبة وأن يأخذ حلية الباب القديم ويرسل خشبه الى بغداد (١) .

وقد نقل الرحالة ابن جبير اثناء زيارته لمكة المكرمة وصفا دقيقا رائعاً لهذا الباب حيث قال " وفي باب الكعبة المقدسة ، نقش بالذهب رائق الخط ، طويل الحروف ، غليظها ، يرتقي البصر بروقه وحسنه ، مكتوب فيه " مما امر بعمله عبد الله وخليفته ابو عبد الله محمد المقتفي لامر الله امير المؤمنين صلى الله عليه وعلى الائمة آبابيه الطاهرين ، وخلص ميراثه وجعلها باقية في عقبه يوم الدين ، فسي سنة خمس وخمسين مئة ، وكان ذلك في صفحتي الباب " (٢) .

ويبدو ان اهتمام المقتفي بالحرمين ، جعل بعض حكام الامصار الاسلامية ووزرائهم يلتزمون الاذن من الخلافة في بغداد للسماح لهم باجراء الجرايات او بعض الاصلاحات والعمران في الأماكن المقدسة في مكة . فقد تقدم وزير صاحب الموصل قطب الدين مؤدود الى الخليفة المقتفي بالسماح له بعمل زخرفة بالذهب والفضة للكعبة ، وترميم الحجر الذي بجانبها (٣) . وكان الوزير قد ارسل هدايا كثيرة للمقتفي ووزيره عون الدين في سبيل ذلك (٤) .

(١) عمارة اليمنى ، المصدر السابق ، ص ٤١ . ابو شامة ، الروضتين ، ص ٢٥٣ : ١ . ويذكر ابن الاثير انها كانت سنة ٥٥٢هـ . الكامل ، ص ٢٢٨ : ١١ . ابن الوردي ، تاريخ ، ص ٨٢ : ٢ . الغساني ، المسجد المسبوك ، ص ٢ : ورقة ٧١ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ص ٢٧١ : ٤٤ .

(٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٦١ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ص ٣٠٨ : ١١ . الباهر ، ص ١٢٨ . ابو الفدا ، المختصر ، ص ٤٢ : ٣ . ابو شامة ، الروضتين ، ص ٣٥٠ : ١ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ص ٣٠٨ : ١١ . ابو الفدا ، المختصر ، ص ٤٢ : ٣ . ابو شامة ، الروضتين ، ص ٣٥٠ : ١ .

ويظهر ان العلاقات بين امراء مكة والخلافة العباسية قد استمرت بعمد
سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م وقد اتخذت طابع الودية ، فيفهم من ابن الجوزي ان وفدا
من مكة كانت ترد سنويا وهي محملة بالهدايا الى الخلافة ببغداد ، فقد ذكر فسي
احداث ٥٦٥هـ / ١١٦٩م عن وصول وفد مكة بقوله " . وجاء المكيون ، بالهدايا
كما جرت العادة " (١) .

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٣٠ . بدرى محمد فهد ، العراق فسي
العصر العباسي الاخير ، ص ١٦ .

- الفصل الرابع -
النظيمات في عصر المقتدي

الفصل الرابع

التنظيمات في عصر المقتفي

أعتاد الباحثون ان يبحثوا النظم على فترات طويلة متميزة بعضها عن البعض الآخر كالعصر العباسي الاول او الثاني او القرن الاول . . . السخ ، ويتحاشون بحث تنظيمات كل خليفة على حده ، والسبب في ذلك يرجع الى ان التنظيمات لا يظهر تطورها في فترة قصيرة ، كما ان هذه التنظيمات لاتعود لعهد خليفة واحد بل حصيلة تراكمية لعهد عدة خلفاء (١) . الا ان فترة حكم المقتفي التي ربت على ربع قرن وما شهدته هذه الفترة من احداث مثلثت تحولا كبيرا في مسار الدولة ، حيث استرجعت فيها سلطتها السياسية والادارية التي فقدتها بتسلط العناصر الاجنبية ، فكان لابد لمؤسساتها السياسية والادارية والعسكرية ان تشهد بعض التطورات .

النظام السياسي :

الخلافة :

شهدت مؤسسة الخلافة تدخلا من قبل المتسلطين الذين مارسوا تأثيرا كبيرا في اختيار الخلفاء وولاء عهدهم ، وقد جرت محاولة من قبل السلطان ملكشاه بتحويل الخلافة العباسية الى احد احفاده من اولاد احمد الخلفاء (٢) . وليس ادل على تدخلهم المباشر بهذه المؤسسة قتلهم لخليفتيه وتوليهم المقتفي ، الذي شهدت الخلافة في ظله استعادة لهيبتها وقطع عنهما اطماع الاجانب بفضل جهودهم المتميزة . وقد بينا ذلك تفصيلا في الفصل الثاني . واذا شهدت فترات من سبوقه تدخل السلاطين بتعيين ولاء عهدهم فـ

(١) تحسين حميد مجيد ، المعتضد بالله ، ص ١٢٦ .

(٢) انظر ص ٢١ .

المقتفي ما ان بدأ باسترجاع سلطته الزمنية حتى جعل من توليه ولسي
عهده مناسبة شعبية فرحت بها العامة والخاصة في بغداد (١) .

الوزارة :

فقد منصب الوزارة رونقه وأهميته بعد تسلط البويهيين على السلطة
العربية في بغداد ، فقد جعلوا الوزارة من جهتهم وعينوا للخليفة كاتباً يشرف
على ديوانه ويدير له اقطاعاته ، واصبح الوزير عرضة للاهانات من قبل الامير
البويهي (٢) . ومجي المتسلطين السلاجقة أعيد الى الخليفة حقه في اتخاذ
وزير له ، الا انهم لم يسمحوا له بالعمل بحرية (٣) . وقد ترتب على وجود
وزير للخليفة وآخر للسلطان حدوث احتكاك بينهما ، تعرض فيها وزراء الخلفاء
للعزل والمصادرة والطرده من بغداد احيانا (٤) . وكان من المفروض ان يشهد
منصب الوزارة بعض الانتعاش في عهد المسترشد ، الا ان استمرار تأثيرات
السلاجقة في شؤون الخليفة حال دون ذلك (٥) .

وعندما انتقلت السلطة الى المقتفي آقر ابو القاسم علي بن طراد
الزنبلي على الوزارة (٦) . واستمر على وزارته مدة اربع سنوات تمتع خلالها

-
- (١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٨ .
 - (٢) الخالدي ، النظم في العراق ، ص ٨٢ . وانظر اليوزيكي ، توفيق ،
الوزارة نشأتها وتطورها ، ص ٢٥٢ .
 - (٣) كاهن ، كلود ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .
 - (٤) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ : ٣١٧ ، ٩ : ٥٦ ، ٩٣ ، ٢٣٤ .
ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ : ١٨٦ ، ٤٥٤ . ابن تغرى بردي ،
النجوم الزاهرة ، ٥ : ١٣٢ .
 - (٥) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩ : ٢٣٣ ، ٢٥٤ ، ٢٢٥ ، ١٠ : ٤٤ ،
٥٥ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
 - (٦) ابن العمراني ، الابناء ، ص ٢٢٥ . ابن الطقطقي ، الفخرى ،
ص ٣١٠ . ابن الكازروني ، مختصر ، ص ٢٣١ .

بسلطة ونفوذ واسعين ، حتى هيمن على جميع مرافق الدولة ، وقد بلغ من تنفيذ الادارى ان تعيين موظفي دار الخلافة وعمال البلاد اصبح مناط بمشورته .^(١) على ان ازدياد نفوذ هذا الوزير وتدخله المستمر في شؤونه الخليفة الخاصة^(٢) . وتعمده عرقلة بعض اجراءاته وتلكته في تنفيذها^(٣) . جعلت العلاقة بينهما تسوء الى الحد الذي استشعر فيه الوزير من الخليفة فالتجأ الى دار السلطان في بغداد واقام هناك مدة راسل خلالها من قبل الخليفة بالعودة الى منصبه الا انه رفض^(٤) .

ان فترة وزارة ابن طراد يمكن عدّها استمرارا لتدخل السلاجقة وممارستهم التأثير السياسي والادارى على الخلافة ، فعندما اراد المقتفي عزله كتب الى السلطان بذلك^(٥) . ويبدو ان تدهور العلاقة بينهما التي ترتبت على التجاء الوزير الى دار السلطان لمدة طويلة لم تمنع الخليفة من محاولة مد جسور الصلة بينه وبين وزيره المخلوع ، فقد عفا عنه " واذن فسي عودته الى داره مكرما " سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م^(٦) . واستمرت علاقته به طيلة حياة الوزير ، حتى انه عندما مرض مرضه الاخير كتب اليه " يستميله ... ويعدّه بكل جميل^(٧) " وعندما توفي سنة ٥٣٨ / ١١٤٣ م ارسل الى ذويه

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٥ .

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٧٦ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٦٣ .

(٤) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨٥ . ابن العمري ، الابناء ، ص ٢٢٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٧٦ .

(٥) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٧٦ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٩٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٨٩ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١٠ .

(٧) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١٠ .

ما يحتاجونه لاداء مراسم الدفن (١) . كما أمر بتخصيص " راتب تقاعدي " .
يجرى على عائلة الوزير والقيام بتأمين ما يحتاج اليه اولاده وصغاره (٢) .

وكان الخليفة بعد ان عزل ابن طراد قد استوزر المظفر بن علي بن محمد بن جهير سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م (٣) . واطلق عليه لقب نظام الدين (٤) . وقد استمر على وزارته مدة سبع سنوات (٥) . ويظهر ان فترة وزارة المظفر كانت فترة ركود حقيقية لمنصب الوزارة ، وقد عبر عن ذلك مؤرخ عاصر فترة وزارته بقوله " وما تمشى له أمر الوزارة ، فأستاذان في الحجج ثم عاد ولزم بيته " (٦) . وعزله الخليفة سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ، واستوزر علي بن صدقه بدلا منه (٧) . ولقبه بقوام الدين (٨) . ولم تطل فترة وزارته فقد قبض عليه المقتفي سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م . ولكنه سرعان ما اطلق سراحه (٩) . والغريب ان حادث القبض على الوزير جاء متزامنا مع حصار بغداد من قبل الامراء السلاجقة في السنة ذاتها ، ومن المحتمل كان ذلك لاختفاه فسي مواجهة حركة الامراء السلاجقة (١٠) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٩ .
 - (٢) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١١ .
 - (٣) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٨ . ابن شاكر الكشي ، عيون ، ١٢ : ٣٦١ .
 - (٤) ابن العمrani ، الانباء ، ص ٢٢٥ .
 - (٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٨ / ١٠٤ (م) .
 - (٦) ابن العمrani ، الانباء ، ص ٢٢٥ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١١ .
 - (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ . ابن الديلمي ، ذيل ، ج ٣ ، ورقة ١٤٢ (م) . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٣ . ويذكرها في احداث سنة ٥٤١ هـ .
 - (٨) ابن العمrani ، الانباء ، ص ٢٢٥ .
 - (٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ .
 - (١٠) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ : ٢٧٦ . ويرى د . مصطفى جواد انه كانت له ارتباطات ببعض هؤلاء الامراء . هامش المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ١٢٦ .

شهد منصب الوزارة بدأ من استيراز يحيى بن محمد بن هبيرة سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ^(١) بعض التطورات ، رافقت سياسة المقتفي القاضية بإنهاء التسلط السلجوقي على العراق ، فأستعاد منصب الوزارة هيئته ورونقه ، وتمكن الوزير العباسي من تبوؤ المكانة اللائقة واستطاع ان يلعب دورا سياسيا عسكريا متميزا في هذه الفترة . فقد اصبح ابن هبيرة مشاورا ومعاونيا للخليفة ، واصبح المقتفي لا يقطع امرا دون مشورته واخذ برأيه في كافة اجراءاته ^(٢) . كما اصبح يشرف على شئون دواوين الدولة ومعظم موظفيها ، حتى اثار ذلك حفيظة طائفة من كبار رجالات الدولة وضجرهم ، كما حدث سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م عندما حدث تنافر بين الوزير ونقيب العباسيين ، ادى الى تدخل الخليفة ، فالزم النقيب ولم يعف عنه الا بعد ان اضطر لمع الوزير ^(٣) . وعندما أعيد تحرير بعض مدن العراق من التسلط اصبح الوزير هو الذى يرتب العمال والموظفين لادارة شؤنها احيانا ^(٤) .

ومن جهة اخرى انيطت بالوزير مهمات عسكرية كقيادة الجيش السدي

(١) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٩١ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٧ .

(٢) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٩١ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٧ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٥ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ١٤٨ . ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٧٦ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٠ وانظر اشرافه حتى على ماليك الخليفة ص ١٨٩ من المصدر السابق .

(٤) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٤ ص ٤ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٥٣٥ ، ص ٢٦٥ . القفطي المحدثون من الشعراء ، ص ٥٩ . ابن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات ، ٢ : ٣٤٣ .

شارك بنفسه في إعادة بنائه وتنظيمه (١) . ولعب دورا مهما في تحرير
بعض مدن العراق من تسلط السلجوقي (٢) . كما قام نيابة عن الخليفة
بإستعراض الجيش في مناسبات هدية (٣) . وقد كشفت الجهود المتميزة التي
بذلها الوزير آبان الحصار السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م قدرته
السياسية والعسكرية والادارية التي تمتع بها والتي ظهر أثرها في نجاح
صمود بغداد بوجه السلاجقة . فقد اهتم بأمر الحصار وجمع السفن في نهر
دجلة الى الجانب الشرقي بعد ان قطع الجسر لتحديد حركة الجيش
السلجوقي (٤) . كما انه قام باعداد وتنظيم عدة هجمات ناجحة ومؤثرة على
الجيش السلجوقي (٥) . وفي الوقت الذي كان فيه الوزير يمارس دوره العسكري
مع المدافعين عن بغداد ويحثهم على الصمود والمقاومة ، ويذل المكافآت ،
النقدية للجرحى من المقاتلين (٦) ، لعب دورا سياسيا خطيرا من خلال
مراسلاته مع بعض الامراء في جيش السلطان محمد وحثهم على ترك خدمة
السلطان والرجوع الى بلادهم (٧) .

-
- (١) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٨ .
 - (٢) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٩٢ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ،
١٠ : ١٤٨ ، ١٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٦١ ، ١٩٦ .
الذهبي ، الصبر ، ٤ : ١٣٥ ودول الاسلام ، ٢ : ٦٤ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ،
٨ : ١١٤ (م) .
 - (٤) الفسائي ، المعجد المنيك ، ٢ : ٧٠ (م) .
 - (٥) انظر الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٧ .
 - (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٤ .
 - (٧) انظر البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٣ . الحسيني ،
اخبار ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

وقد أشر منصب الوزارة في عصر المقتفي ، تطورا جديدا في علاقة الخليفة بالوزير حيث ساد الانسجام والتفاهم بينهما ، وارتفعت بموجبهما مكانة الوزير ، ولا غرو في ذلك اذا ما ادركنا ان الوزير ابن هبيرة كانت له على ما يبدو فلسفة خاصة في خدمة الدولة بشخص خليفتها ، وهي الاخلاص والتفاني في خدمته ، وقد بلغت نظرتة هذه أوجها عندما رفض طلب لولي العهد المستجده حتى خاف على نفسه من العزل والمصادرة عند توليه المستجد الخلافة بعدئذ (١) . وعندما ارسل اليه المستجد يوم توليته عبر عن فلسفته تلك بقوله " يكفي في اخلاصي اني ما حابيتك زمن ابيك (٢) " .

وقد اصبحت ملازمة الوزير للخليفة في زياراته ورحلاته في بغداد وخارجها مظهرا من المظاهر المألوفة لدى الناس . ففي سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م خرج المقتفي الى الانبار " ولم يخرج هذه النوبة معه الوزير لمرضه " وعندما قرب وصول الخليفة الى بغداد بعد عودته " بعث اليه الخليفة يستوحش له ، فخرج " الوزير " فانحدر الى المدائن لتلقي الخليفة وعاد معه (٣) .

ولغت العلاقة بينهما حدا ان اصبح الوزير يتدخل لدى الخليفة للتوسط في انجاز بعض اشغال كبار ارباب الدولة ، فقد استغل نفيسب الطالبين علاقة الوزير بالخليفة ورجاء ان يعرض قضية خاصة على الخليفة (٤) .

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٣ . ابن خلكان ، وفیات ، ٢٧٨ : .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢١٤ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨١ .

(٤) ابن ظافر الازدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٦ (م) .

ويبدو ان سبب تطور علاقتهما هذه يعود بالدرجة الاساسية الى
 رغبة كل منهما للتخلص من التسلط السلجوقي ، واعادة هبة الخلافة وتدعيم
 نظام الحكم . فقد كانت لابن هبيرة في انهاء الوجود السلجوقي " يد قوية
 وحيل مرضية " (١) . وكان يبالغ في تعظيم الدولة العباسية ، حاسماً
 مطامع الملوك السلاجقة عنها ، حتى استقرت الخلافة بالعراق كله ليس للملوك
 معهم حكم (٢) .

وقد اهتم المقتفي اهتماماً متزايداً في تدعيم هذه المؤسسة — من
 خلال رعايته للوزراء ، فمن اجل تعزيز مكانتهم بين ارباب دولته اصدر سنة
 ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م أمراً بعدم مخاطبة احد من كبار موظفي الدولة بلقب
 " مولانا " واقتصاره على الوزراء فقط (٣) . كما انه اسبغ على الوزراء جملة
 من الالقاب التكريمية تعريفاً لهيئتهم ورفع قدرهم بين الناس خاصة بعد الخلع
 عليهم (٤) . وكان حريصاً على منحهم الالقاب نظير جهودهم المتميزة وتقدير
 لكفاءتهم في خدمة الدولة في نزاعها مع السلاجقة ، فقد كافأ ابن هبيرة
 بلقب " سلطان العراق ، ملك الجيوش " وشرفه بعمامة وقميص نظير
 دوره الهام في دحر الجيوش السلجوقي في واسط سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م (٥) .

-
- (١) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١٢ .
 - (٢) السيوطي ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ٢ : ١١٥ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٣ . وقد منع هذا اللقب على
 الوزراء ايام القادر انظر الصابي ، تحفة الامراء ، ص ١٧٠ .
 - (٤) انظر ابن حمدون ، التذكرة ، ٢ : ١٩١ (م) . ابن العمارني ،
 الانباء ، ص ٢٢٥ . الفسائي ، المسجد ، م ٢ : ٦٤ (م) .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ،
 ١١ : ١٩٦ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١٣٥ . ويذكر البندار
 انه لقب بتاج الملوك فلك الجيوش ، تاريخ دولة آل سلجوق ،
 ص ٢١٧ .

ولم ييخل الخليفة في تحسين المستوى المعاشي للوزير ، ففسد
بلغت مشاهرة الوزير ابن هبيرة ما ثة الف دينار سنويا ^(١) . ولم يقتصر
دخله على راتبه هذا فقط ، بل اقطعه الخليفة بعض الاقطاعات فسي
نواحي الدور ^(٢) ، وعندما تمكن المقتفي من استعادة سلطته الادارية
والسياسية في العراق بموازرة وزيره ابن هبيرة اقطعه جميع ما كان لوزير
السلطان السلجوقي من اقطاعات في العراق ، واصبح للوزير املك واسعة في
واسط والسواد ^(٣) .

شروط اختيار الوزراء :

ان تاريخ الوزارة في العصر العباسي قد اشر ان معظم من اختيروا
لمنصب الوزارة كانوا من اصحاب الكفاءة في الكتابة والادارة ^(٤) . ويبدو
ان عصر المقتفي قد جاء استمرارا للنهج الذي اتبعه الخلفاء في اختيار
اصحاب الخبرة في الادارة والامور المالية ، فقد استوزر المقتفي عون الدين
يحيى بن هبيرة بعد ان تقلد عدة مناصب ذات صيغة ادارية ومالية ، ففي
بداية حياته الوظيفية عهد اليه بالاشراف على بعض الاعمال في المخزن ،

(١) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١٢ . وكان راتب الوزير ايام البويهيين
خمسين الف دينار ، انظر المصنف ، تحفة الامراء ، ص ٢٧ .

(٢) ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٦١ .

(٣) الدور : قرية من اعمال الدجيل وتسمى بدور بني اوقر نسبة الى
مشايخها وارباب ثروتها وتبعد عن بغداد بخمسة فراسخ . ياقوت
الحموي ، معجم البلدان ، ٢ : ٤٨١ .

(٣) البنداري ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٢١٧ . وانظر ابن الجوزي ،
المنتظم ، ١٥ : ١٥٧ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١٤ .

(٤) البيهقي ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

ثم تقلد الاشراف الكامل على مؤسسة المخزن (١) . ونقل سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م الى منصب كاتب ديوان الزمام (٢) . كما ان وزيره ابو نصر المظفر بن جهيسر وعلي بن صدقه قد تدرجا بالمناصب الادارية قبل استيزارها فالمظفر جاء نقلا من منصب استاذ الدار (٣) . وعلي بن صدقه كان وكلا في المخزن ثم تولى ديوان المخزن الى ان استوزر (٤) .

وما يلفت النظر ان هناك سمتين بارزتين قد وسمت الوزارة فسمي عصر المقتفي واصبحت على ما يبدو الطابع المميز للوزارة ، احدهما سمى العلم والثقافة العامة ، فالوزير علي بن طراد الزينبي كان فقيها بارعا فسي مذهب الامام ابي حنيفة ، وكان يتمتع بمنزلة رفيعة لدى الناس (٥) ، ومحدثا سمع منه العديد من المهتمين بالحديث ومنهم السمعاني (٦) . كما

-
- (١) ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٢٧٥ . ابن ظافر الازدي ، أخبار ، ورقة ١٤٦ . الذهبي ، المختصر المحتاج ، ٣ : ٢٤٨ .
 - (٢) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٩١ (م) . ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٢٧٦ . ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٥٣ .
 - (٣) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٧٩ .
 - (٤) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ . ابن الديبشي ، ذيل ، ج ٣ ورقة ١٤٢ .
 - (٥) ابن تغري بردي ، النجوم ، ٥ : ٢٧٤ .
 - (٦) السمعاني ، الانساب ، ٢٨٤ ب . ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٩٦ . ٩٧ ، ١٠٥ .

ان داره كانت ملتقى لرجال الادب والعلم والحديث^(١). والوزير مظفر بن جهير كان له انس بالعلوم ، بخاصة الحديث النبوي الشريف^(٢). وقد تجلت هذه السمعة في شخص الوزير ابن هبيرة ، الذي اشتغل بالعلم وجالس الفقهاء ، والادباء ، والمحدثين ، واطلع على ايام العرب ولازم الكتابة وحفظ الفاظ البلغاء^(٣). وألف كتابا عديدة في النحو والفقه وعلم الخط ومنها " كتاب الافصح " و " كتاب المقتصد " الذي شرحه ابن الخشاب النحوي وكتاب " العيادات " واختصار اصلاح المنطق لابن السكيت والفاارجوزة في الخط وارجوزة في المقصور والمدد^(٤) ، حتى لقب بالوزير العالم^(٥).

واذا شهدت بعض فترات التاريخ العباسي ظهور بعض الاسر الفارسية ممن توارثت منصب الوزارة كالبرامكة وآل يونس وبني سهل وغيرهم ، فان هذا العصر قد تميز باسناد منصب الوزارة الى وزراء ينتمون الى ارومة عربية ، فالوزير علي بن طراد الزينبي ، عربي هاشمي ، ينتهي نسبه الى ابراهيم الامام مؤسس الدعوة العباسية^(٦). وهو اول هاشمي يستوزر لبني العباس^(٧). والوزير ابو نصر المظفر

- (١) ابن خلكان ، وفيات ، ٩٦: ٥ .
- (٢) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١١ .
- (٣) ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢٢٥ . ابن ظافر الازدي ، اخبار السدول المنقطعة ، ورقة ١٤٥ (م) . ابن خلكان ، وفيات ، ٢٧٤: ٥ . ابن رجب ، ذيل ، ٢٥١: ١٥ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٢٤٨: ٣ .
- (٤) انظر ابن الجوزي ، المشيخة ، ص ٢٠٢ . ابن رجب ، ذيل ، ٢٥٢ - ٢٥٣ . ابن خلكان ، وفيات ، ٢٧٤: ٥ . السيوطي ، محسن المحاضرة ، ١١٥ : ٢ . الغزولي ، مظالم اليدور ، ١١٤: ٢ .
- (٥) ابن رجب ، ذيل ، ٢٥١: ١ .
- (٦) السمعاني ، الانساب ، ٢٨٤ ب .
- (٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٦٥٣: ١٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٩٩: ١٢ .

بن علي بن محمد بن جهير التغلبي عربي من الموصل ، قدم جده محمد السبي
بغداد أيام الخليفة القائم وتولى وزارته ^(١) . والوزير علي بن صدقة ، من البيوتات
العربية المشهورة في بغداد ^(٢) . أما الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة
فعربي عراقي ينتهي نسبه الى بني شيان ، ولد بالدير وسكن بغداد منذ صباه ^(٣) .

اسناد منصب الوزارة :

أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات عن مراسم تعيين وزيرين من وزراء
المقتفي لم تختلف كثيراً عما كان متبعاً من مراسيم . ففي سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م استقر
رأى الخليفة على استيزار علي بن صدقة صاحب المخزن ، فأمر باستدعائه السبي
دار الخلافة ، وحضر كبار رجال الدولة ، أبلغه مشافهة باختياره وزيراً له ^(٤) .
وخلع عليه خلع الوزارة ، بعدها مضى الوزير الجديد يرافقه كبار رجال الدولة
والخواص الى الديوان ، وهناك قرأ كاتب الانشاء عهداً ، باستيزاره علناً ^(٥) .
ويظهر ان الخليفة المقتفي اراد ان يظهر مكانة الوزير وازدياد هيئته في اعين
الناس ، وذلك من خلال الاهتمام بالمراسيم الخاصة بتقليد الوزير . فعندما اختار
ابن هبيرة للوزارة ارسل اليه أميرين من امراء دار الخلافة يحملان معهم مرسوم
التعيين واستدعاه الى مقابلة الخليفة ، فركب الى دار الخلافة في جمع من اصحابه

- (١) الفارقي ، تاريخ ، ص ١٤٧ (القسم المنشور) . ابن خلكان ، وفيات ،
١٣١:٥ . الصفدي ، الوافي ، ١: ١٢٤ .
- (٢) انظر مصطفى جواد ، هامش تلخيص مجمع الاداب ، ٤٤: ١ ق ٢٦٩ .
- (٣) ابن خلكان ، وفيات ، ٢٧٤: ٥٥ . ابن رجب ، ذيل ، ١٥١: ١ . ابن
الفوطي ، تلخيص ، ٤٤: ٢ ق ٩٨٨ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ،
٢٤٨: ٣ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٢٥: ١٠ .
- (٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، ابن الديبشي ، ذيل ، ٣: ٣ ورقة ١٤٢
(م) .

حتى تسامح الناس بوزارته ، ولما وصل استدعي من قبل الخليفة " فدخل .. فقبل الارض وسلم وتحدثا ساعة بما لم يحط به غيرهما علما " ثم خرج من عنده وقد جهزوا له الخلع ، وقد م له حصان من خيل الخليفة " اد هم سائل الغرة مجمل ، وعليه من الحلبي الكثيرة وخرج في ابهة عظيمة ومضى ارباب الدولة والمناصب واعيانها كلهم بين يديه والطبول تضرب امامه حتى وصل الديوان وجلس ، قام كاتب الانشاء ابن الانباري بقراءة عهد استيزاره ^(١) . الذي خوطب فيه بالوزير العالم ، عون الدين ، جلال الاسلام صفى الامام ، معز الدولة ، عماد الامة ، مصطفى الخلافة ، سيد الوزراء ، ظهير امير المؤمنين ^(٢) . ولما فرغ من قراءة العهد ، قرأ القراء ، ومد لها انشد الشعراء ما طاب لهم من الشعر ^(٣) .

ويتم عزل الوزراء عن طريق ابلاغه شخصيا بقرار عزله من الوزارة ، ففي سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م عزل الخليفة الوزير علي بن طراد الزينبي ، فارسل اليه ثلاثة من كبار رجال دولته " صاحب المخزن وكاتب الانشاء واحد امراء الحضرة " وقاموا بابلاغه بقرار عزله ^(٤) . ويبدو ان عزل بقية الوزراء قد تم بطريقة اقرب الى هذه الشاكلة ان لم نقل هي نفسها .

واذا كان الوزراء قد نالهم السجن والمصادرة والقتل احيانا عقب عزلهم في عهد سبقت هذا العصر ، فان جميع من عزلوا عن الوزارة في عصر المقتفي لم ينلهم الاعتقال ^(٥) او القتل ، وقد كان لهذا اثر كبير في استقرار هذا المنصب في نفوس الناس .

-
- (١) ابن خلكان ، وفيات ، ٢٧٦ : ٥ - ٢٧٧ .
 (٢) ابن رجب ، ذيل ، ٢٥٣ : ١ .
 (٣) ابن خلكان ، وفيات ، ٢٧٢ : ٥ .
 (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨٥ : ١٠ .
 (٥) القبي القبض على الوزير ابن صدقة سنة ٥٤٤هـ واطلق بعد مدة قصيرة .
 انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٣٢ : ١٠ .

نائب الوزير :

ظهر هذا المنصب بشكل واضح في عصر التسلط السلجوقي على العراق^(١) ،
 واصبح مظهرا من مظاهر تطور الوزارة في ذلك العصر حتى الف الناس وجوده^(٢) .
 وفي عصر المقتفي شهد منصب الوزارة كثرة من ناب فيه ، لجملة من الاسباب .
 فال فراغ الادارى الذى احده التجاء الوزير الزينبي الى دار السلطان السلجوقي
 سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م اضطرت المقتفي الى تعيين قاضي القضاة نائبا في الوزارة كسي
 لا تتعطل اعمال الديوان^(٣) . ولم تمض مدة طويلة حتى مرض قاضي القضاة مرضا لم
 يمكنه من اداء مهامه بصورة صحيحة فأنيب عنه كاتب الانشاء^(٤) . كما ان عزل الوزير
 وعدم استقرار الخليفة على اختيار البديل احد الاسباب التي اضطرت المقتفي
 لتعيين نائب للوزارة كما حدث سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٢م عندما القي القبض على الوزير
 ابن صدقة ، فعين نقيب النقباء نائبا بالوزارة ، لحين حسم قضية الوزير^(٥) .

وقد كانت كثرة المهام الملغاة على عاتق الوزير ، وانشغاله في مهام
 عسكرية ، خصوصا بعد وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، لجأ السوزراء
 انفسهم للاستعانة بنواب عنهم لمساعدتهم في اداء مهامهم ، سواء كان الوزير
 داخل حاضرة الخلافة او خارجها ، فقد ناب ابو البدر ظفر بن يحيى بن هبيرة

(١) استخدم هذا المنصب في فترات متعددة من قبل الخلفاء العباسيين ،
 فقد اناب القاسم بن عبيد الله عن ابيه بالوزارة في عهد المعتضد ، كما
 اناب ابو عبد الله احمد البزدي النفري نائبا عنه بالوزارة في عهد
 الراضي ، انظر الصابي ، تحفة الامراء ، ص ٢٠٧ . مسكوية ، تجارب
 الامم ، ١ : ٤٠٩ .

(٢) الزهراني ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ،
 ١٠ : ٨٥ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ : ١٠٦١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٧٦ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ .

عن ابيه في الوزارة ، حتى ان الخليفة لقبه بشرف الدين نظير خدماته للدولة (١) .
ولم تقتصر نيابته في الامور الادارية فحسب ، بل ناب عنه حتى في قيادة الجيش ،
ففي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ارسله أبوه مع قوة عسكرية لحصار قلعة تكرت نيابة عنه (٢) .
وقد ناب عز الدين محمد بن الوزير يحيى بن هبيرة عن ابيه طيلة مدة
وزارته (٣) . " وخلفه في الكثير من اعماله في حال حاضره وسفره " (٤) . حتى اناب عنه
في استقبال السلطان سليمان شاه عند التجاء الاخير لبغداد (٥) .

تمتع نائب الوزارة بصلاحيات لا تختلف بشيء عن صلاحيات الوزير الاصيلي
خاصة في الحالات التي كانت ترافقها عدم وجود وزير اصلاء ، ففي سنة ٥٤٣ هـ /
١١٤٨ م وعلى اثر وفاة قاضي القضاة ابو القاسم علي بن الحسين الزينبي ، قلند
قضاء القضاة لابي الحسن علي بن احمد الدامغاني وشافهه بالتعيين نائب الوزارة
طلحة بن علي نقيب النقباء (٦) .

ويظهر ان تعيين نائب الوزارة كان يتم اختياره عادة من كبار رجالات
الدولة كقاضي القضاة او نقيب النقباء ، او احد رؤساء الدواوين المهمة ، كما ان
تعيينه كان يتم بصورة مؤقتة ، ينتهي بانتهاء تعيين وزير جديد .

(١) الصفدي ، الوافي ١٤٥ : ٢٨ (م) . ابن رجب ، ذيل ١٥ : ٢٢٣ . ابن
شاکر الكتبي ، فوات الوفيات ١٥ : ٤٢٥ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠ : ١٥٢ . ابن الاثير ، الكامل ١١٥ : ١٨٩ .

(٣) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم المراقي ١٠٠ : ١٠٠٠ . ابن الدبيشي ،
ذيل ، ح ١ ، ق ١ . ورقة ١٢٥ (م) . ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ، ق ١ :
٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٤) ابن الدبيشي ، ذيل ، ح ١ ، ق ١ ، ورقة ١٢٥ (م) .

(٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ٨ : ورقة ١١٣ ب .

(٦) ابن الدبيشي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٢٢ . ابن النجار ، التاريخ المجدد ،
ح ١٠ ، ق ٤ ، ورقة ٣٣٢ (م) .

النظام الادارى :

الامارة على البلدان :

اتخذ السلاجقة من نظام الاقطاع العسكرى اسلوبا من اساليب التنظيم الادارى والمالى فى ادارة ممتلكاتهم ، واستخدموه استخداما واسعا النطاق ، حيث اقطعوا الاقاليم والولايات الى كبار امراء الجيش ، واوكلوا اليهم مسؤولية ادارتها وضبط الامن والنظام فيها ، مقابل التزامهم بدفع مبالغ معينة من الاموال تحمل سنويا الى خزانة السلطان السلجوقي ، وتقديما للمساعدات العسكرية كتهيئة الجنود وتزويدهم بالعدة الكاملة اذا طلب منه ذلك ^(١) . وضمن هذا التنظيم اضحت مدن العراق ومنذ سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م تابعة ادارية الى السيطرة المباشرة للسلاجقة فعينوا لها حاكما مدنيا يعرف بالعميد مهمته الاشراف على البلاد من الناحية الادارية والمالية وحاكما عسكريا يعرف بالشحنة مهمته الاشراف على الناحية الامنية والعسكرية ^(٢) .

وعند ما بدأت الخلافة العباسية بعد وفاة السلطان مسعود تنحصر
١١٥٢هـ / ١١٥٢م باستعادة مدن العراق ^(٣) . " الحلة ، الكوفة ، البصرة ، واسط ،

(١) البند ادى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٠-٦١ وانظر ايضا

E.I. (2) S.V. Ikta, Vol. III, p. 1088, by (Cl. Cahen) Lambton, Internal Structure of the Seljuq Empire, in the Cambridge history of Iran, Vol. 5. p. 230. Sayer, The Empire of the Saljuqs of Asia Minor, In J. of the near Eastern Studies, Vol. 10, p. 277.

(٢) الخالدي ، فاضل ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

(٣) اصبح العراق منذ اواخر القرن الرابع الهجرى يشمل على ست كـ
" فاولها من قبل ديار العرب الكوفة ثم البصرة ثم واسط ثم بغداد ثم
حلوان ثم سامراء " وقد اشتملت كل كورة على عدد من المدن الصغيرة
والقرى . انظر المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١١٤-١١٥ . وحسب
العراق في الطول من تكريت الى عبادان وعرضه الى حلوان وعرضه بنواحي
واسط من سواد الى قرب الطيب ونواحي البصرة الى حد ود جبي .

البند يجين* وتحريرها من السيطرة السلجوقية وفرض هيمنتها عليها ، ابقى المقتفي على ما بيد وكثيرا من مظاهر الحكم والادارة في هذه المدن ، وهذا شي* طبيعسي بفعل التسلط السلجوقي الطويل الذي قارب القرن تقريبا .

ان ابرز هذه المظاهر هي استمرار نظام الاقطاع العسكري سبيلا للتنظيم الاداري والمالي وتطبيق النظام اللامركزي في ادارة هذه المدن ، والاستمرار بتوليتهما الى الامراء العسكريين من المماليك الذين تربوا في قصور دار الخلافة ، ومن الذين نشأوا في خد متها^(١) . ويفهم من الحسيني ان امير البطائح كان يلتزم سنويا بتقديم جزء من واردات ولايته الى السلطة المركزية في بغداد ، كما كان ملتزما بتقديم مساعدات عسكرية عند ما يطلب منه ذلك^(٢) . ويؤكد ذلك استدعاء الخليفة المقتفي لامراء ولايات العراق اواخر سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م لمساعدته في صد العدوان السلجوقي على بغداد ، فاستجاب البعض ونهى البعض الاخر^(٣) .

وعلى الرغم من ابقاء هذه المظاهر الادارية الا ان الخليفة اصبح هو الذي يعين ولاه الولايات والاقاليم ونظارها وشحنها ، فقد اقطع المقتفي ولاية واسط السلي الامير مظفر الدين ختلبرس^(٤) . واقطع الامير فخر الدين قويدان ولاية الحلة^(٥) .

انظر ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٨ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٧٢: ٢ . البند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(١) الخالدي ، فاضل ، النظم في العراق في اواخر الدولة العباسية ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٧ .

(٣) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ١٦٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ٢١٢ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ١٤٨ . ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ٧٤ .

ويذكر ان انه رتب شحنة . البند اري ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٢١٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١: ٣٢٢ .

سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨: ٢١٢ .

الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣١ . ويسميه قتلج برس السطرشدي .

(٥) البند اري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٨ . ابن الاثير ، الكامل ،

١١: ٢٠٦ .

التي آلت فيما بعد وعلى الاكثر بعد سنة ١١٥٥/١١٥٠م الى الامير مهلهل الجاواني (١). بعد ان عين الامير قويد ان امير حاجب مع السلطان سليمان شاه (٢). واقطع الخليفة ولاية البصرة سنة ١١٥٤/١١٥٠م الى الامير منكورس المسترشدى (٣) ويبدو انها اصبحت فيما بعد الى الامير ارغش المسترشدى ، حيث ورد ذكره اواخر سنة ١١٥١/١١٥٦م انه كان على البصرة ، عندما استدعاه الخليفة الى بغداد للدفاع عنها (٤). على ان هذا التغير لا يعرف هل انه تم من قبل الخليفة او ان منكورس اتاه منه هناك ؟

ولما اصبحت الخليفة هو الذي يعين الولاة والامراء ، فقد كان بمقدوره ايضا ان ينقل هذا الامير او ذاك من مكان لآخر حسب ما تقتضيه مصلحة الدولة ، كما حصل في نقل الامير قويد ان من ولاية الحلة الى منصب امير حاجب في بلاط السلطان سليمان . وفي سنة ١١٥٣/١١٥٨م اقطع الخليفة قويد ان بلاد اللحف والبند يجين بعد رجوعه الى بغداد عقب فشل محاولة سليمان شاه باقصاء السلطان محمد عن السلطنة السلجوقية (٥).

وقد يتخذ الخليفة قرارا بعزل الوالي او المقطع ومعاقبته احيانا اذا ارتأى ذلك ، ففي سنة ١١٥٤/١١٥٩م عزل الامير ظفر احد ممالكه عن ولاية الغراف

-
- (١) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٩ . الحسيني ، اخبساره ، ص ١٣١ . وانظر ايضا مصطفى جواد ، قبيلة جاوان الكردية ، ص ١١٠ . محمد بهجة الاثرى ، هامش الخريدة ، القسم العراقي ، ٣٤٣:١ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٠٦:١١ ، الباهر ، ص ١٠٨ .
- (٣) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٩ . الحسيني ، اخبساره ، ص ١٣١ .
- (٤) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠٦: ١٦٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢١٢: ١١٠ .
- (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٨١: ١٠٦ .

وعين ابا جعفر البلدي (١) بدلا عنه ، وقبض على احد موظفي هذا المملوك وعاقبه لعدم نزاهته ولسوء تصرفه في اخذ الاموال (٢) . وفي سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م عـزل الامير نور الدولة ابن العميد عن ولاية هيت وحل اقطاعه عنها (٣) .

والى جانب هؤلاء الولاة والمقطعين ، كان هناك النظارة والصنادير والناظر وظيفه استحدثت منذ عهد التسلط البويهى على العراق ، ومتوليها هو المسؤول عن تنظيم واردات الولاية ونفقاتها وسبب التداخل الموجود في الادارة العباسية في عصورها المتأخرة فقد كان يعهد اليه احيانا الاشراف على الادارة في ولايته اضافة الى واجباته الاصلية (٤) .

ومن هؤلاء النظارة الذين وردت اسماءهم في هذا العصر ابو العباس احمد بن محمد العباسي الحوزي ، الذي كان يتولى النظر بواسطته نقل بعدد ها السـي النظر بنهر الملك وقي هناك الى ان قتل سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م (٥) . وقد وصف هذا الناظر بالجور والظلم والعسف باستخراج الاموال في ولايته لانه كان يريد ان يترقى الى مرتبة اعلى (٦) . ويظهر ان تاج الدين ابو الفرج بن رئيس الروم ساء قد تولـى

(١) هو احمد بن محمد بن سعيد البلدي ، الذي استوزره المستنجد سنة

٥٦٣هـ واشتهر بظلمه الرعية ومصادرتهم لاولاد الوزراء والعمال قتل سنة

٥٦٦هـ . انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ٢٣٣ . المستدرک على

المختصر المحتاج اليه للذهبي ، ١: ٣٩٠-٤٠٠ .

(٢) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

(٤) المعاضدي ، عبد القادر ، واسط في العصر العباسي ، ص ١٥٦-١٥٧ وانظر

عن عمل الناظر في مصر ، النويري ، نهاية الارب ، ٨: ٢٩٩ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ١٦١ . ابن الدبيشي ، ذيل ح ١ ، ص ٢ ورقعة

٢١٣-٢١٤ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢: ٣٢٧ . ابن شاكـر

الكتبي ، عيون ، ١٢: ٤٨٧-٤٨٨ .

النظر بنهر الملك بعد سنة ١١٥٥/هـ واستمر حتى خلافة المستنجد حيث امر بالقبض عليه ومحاسنته (١).

ومن تولى النظر بواسطة شرف الدولة علي بن الحسن بن علي بن صدقة (ت ١١٥٢/هـ ١١٥٢ م) وهو ابن وزير المسترشد الحسن بن صدقة (٢). وتولى النظر بواسطة ايضا احد مماليك الخليفة واحد اكابر خدمه الامير شمس الدين فاتن ابسو الفضائل ويظهر ان توليته جاءت بعد سنة ١١٥٥/هـ ١١٥٥ م حيث ورد ذكره في زيارات الخليفة بواسطة للفترة ما بعد سنة ١١٥٢/هـ ١١٥٢ م (٣).

وتولى الحسن بن محمد بن هبة الله (ت ١١٦٦/هـ ١١٦٦ م) النظر ببعقوة لمدة طويلة نقل بعدها للنظر في اعمال بعض مناطق السواد حين وفاته (٤). وقد اطلق على الناظر اسم اخر هو الصدر (٥). فقد تولى الصدر ابو زيد المطهر سلار الملقب بفخر الدين صدرية المشان (٦) وتوفي وهو على ولايتها سنة ١١٤٥/هـ ١١٤٥ م (٧).

-
- (١) ابن الاثير الكامل ، ١١ : ٣٣٢ . الغساني ، المسجد المسبوك ، م ٢ ورقة ٨٠ (م) .
 - (٢) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ، ق ٣ ، ورقة ٢١٠ . الصفدي ، الوافي ، ح ١٢ : ورقة ٢٦ (م) .
 - (٣) الهنداري ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٦٥ . الاصبهاني ، الخريدة ، ح ٤ ، م ١ : ١٨٩ . ابن شاکر الكتبي ، عيون ، ١٢٤ : ٤٩٢ .
 - (٤) ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ٢ ، ق ١ ، ورقة ١٧٢ (م) .
 - (٥) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، ص ١٢٧ .
 - (٦) المشان : بليدة قريبة من البصرة كثيرة التمر والفواكه . انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ١٣١ : ٥ .
 - (٧) الاصبهاني ، الخريدة ، ح ٤ ، م ٢ : ٦٧٩ .

الدواوين :

١ - ديوان الانشاء :

وكان يطلق عليه في اوائل الدولة العباسية ديوان الرسائل ، الا انه ومنذ عهد السلط البويهبي اصبح يعرف بديوان الانشاء^(١) . ومهمة هذا الديوان تحرير كافة كتب العهد والتولية وجميع مراسلات الدولة^(٢) ، ويشرف على مهام هذا الديوان كاتب يدعى كاتب الانشاء ، واحيانا بصاحب ديوان الانشاء ، خاصة بعد ان كثر عدد كتابه^(٣) . وقد وضعت شروط لتولي هذا الديوان منها " زيادة العلم ، غزارة الفصيلة ، ذكاء القريحة ، جودة الروية " ^(٤) والامانة والالمام بالقوانين^(٥) . وقد تولى رئاسة ديوان الانشاء الاجل سيد الدولة ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشيباني ، وكان قد تولى العمل منذ سنة ٥٠٧ هـ / ١١٣ م من قبل الخليفة المستظهر ولقبه بمؤيد الدين نظير خدماته للدولة ، حيث كان يترسل للخليفة وينفذ رسائله الى الجهات ، قبل ان يتولى كتابة الانشاء^(٦) . وكان سيد الدولة كاتباً فاضلاً له اطلاع واسع بالادب وله ترسل وشعر جميل ، رائق الخط واللفظ وعلى معرفة جيدة بنقد الشعر وقد مدحه شعراء كثيرون^(٧) . حتى انه ارتبط بعلاقات حميمة مع الحريري صاحب المقامات المشهور وكانت له مكاتبات ورسائل ذكر ابن الديبشي انها " مدونة

(١) E.I.(2) S.V. Diwan, Vol. II, p. 323, by (A.A. Duri)

(٢) القلقشندی ، صبح الاعشى ، ٥٤ : ١ ، ٥٦ .

(٣) الخزولي ، مطالع البدر ، ١١٨ : ٢ .

(٤) القلقشندی ، صبح الاعشى ، ٥٥ : ١ .

(٥) ابن ماضي ، قوانين الدواوين ، ص ٦٦ .

(٦) الفارقي ، تاريخ ، ص ٢٤٢ (القسم المنشور) . ابن الجوزي ، المنتظم ،

٢٠٦ : ١٠ .

(٧) انظر الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١٤٠ : ١ - ١٤٤ . ابسن

الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٩٧ . ابن الديبشي ، ذيل ، ٦٢ : ٢ - ٦٣ ، الصفدي

الوافي ، ٣ : ٢٧٩ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٤ : ١٨٤ - ١٨٥ .

حسنة الالفاظ والمعاني (١).

ويظهر ان الخبرة الادارية المتراكمة لدى ابن الانبارى نتيجة لطول فترة خدمته بالدولة وتقلبه في وظائفها الى جانب ثقافته الادبية العالية اهله لان يصبح رسولا دائما للمقتفي ينفذه الى امراء الاطراف لامور شتى منها للخلع عليهم او تثبيتهم ولاياتهم (٧). ولم يكن بذلك بل انابه بالوزارة سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م بدلا من نائب الوزارة ابو القاسم الزينبي بعد ان مرض (٣).

وقد كانت تناط بكتاب الانشاء مهمة قراءة عهود تعيين كبار رجال الدولة كالوزراء. ففي سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م قلد ابن صدقة الوزارة " فقرا ابن الانبارى كاتب الانشاء مهده (٤) وكذلك سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م (٥). كما كان يكلف احيانا بتبليغ الوزراء بقرار عزلهم كما حدث عند ما ارسله المقتفي ليلخ علي بن طراد بقرار عزله (٦).

ان كثرة الاعمال المكلف بها هذا الديوان وطبيعة عمله الادارى جعلته يحوى عددا كبيرا من الموظفين كمساعدين لكتاب الانشاء وعلى ما يبدو كان يتم اختيار من بين هؤلاء الموظفين الذين هم عادة كتاب من ينوب عن كاتب الانشاء اثناء سفره. ومن هؤلاء الكتاب غرس الدولة ابو نصر محمد بن الحسن بن حمسودون الذى كان يعمل كمنشى (٧). وهو من بيت مشهور بالكتابة والتقدم حيث كان والده

-
- (١) ابن الديبثي ، ذيل ، م ٢ : ٦٣ .
 - (٢) انظر العظمي ، تاريخ ، ورقة ٢١٢ ، ٢١٣ أ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٨ . ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢ : ٢٦٤ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ : ٨٣ .
 - (٣) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٥ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ .
 - (٥) ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٢٧٧ .
 - (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٥ .
 - (٧) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٦ : ٥٢٣ .

من شيخ الكتاب والعارفين بقواعد التصرف^(١) . وقد عمل غرس الدولة في ديوان الانشاء منذ سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م وحتى وفاته سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٠م^(٢) . وقد ناب عمن ابن الانباري بالديوان اثناء سفراته^(٣) . وقد وصف غرس الدولة بانه كان متفردا بالكتابة ، وكان يكتب رسائله ارتجالا ، وله مصنفات منها كتاب الرسائل ، وتاريخ الحوادث^(٤) .

ومن الكتاب ابو جعفر عبد الله بن المظفر بن هبة الله المعروف بالاثيسر ، الذي وصف بانه كان كاتباً حسن الخط والعبرة^(٥) . جليلاً حاذقاً بليداً نبيلاً ، اصطفاه ابن الانباري في النيابة عنه اثناء سفره^(٦) . ومن عمل ايضاً بهذا الديوان الكاتب علي بن ابراهيم بن محمد (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) الذي قيل عنه بانه كسان من اجل كتاب ديوان الانشاء^(٧) .

٢ - ديوان الزمام :

ومعرف بديوان زمام الازمة الذي تأسس سنة ١٦٨هـ / ٧٨٤م كديوان مركسزي للسيطرة على الدواوين الفرعية التي كانت تقوم بالاشراف ومراقبة الناحية المالية لدواوين

- (١) ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ، ق ١ ، ورقة ١٧١ (م) . ابن خلكان ، وفيات ١٦: ٤ وهو اخ صاحب التذكرة الحمدونية .
- (٢) ابن حمدون ، التذكرة ١٢: ١٩٢ (م) . ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ، ق ٢: ١١٦٢ . الصفدي ، الوافي ٣٥٨: ٢ .
- (٣) ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ، ق ٢: ١١٦٢ .
- (٤) الصفدي ، الوافي ٣٥٨: ٢ .
- (٥) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ١٥٠: ١ . ابن الديبشي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٥ (م) .
- (٦) الصفدي ، الوافي ، ح ١٥-١٧ ، ق ١ ، ورقة ١٠٦ (م) . وانظر ترجمته في الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ٢٦٩: ٢ . المنذري ، التكملة ١٤: ٢ . ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال ، ص ٨-٩ .
- (٧) ابن التجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ، ق ٢ ، ورقة ٢٩٣ (م) .

الدولة^(١) . ويطلق على هذا الديوان احيانا اسم الديوان للاطلاق ، وعلى متولييه صاحب الديوان^(٢) .

وعلى الرغم من غموض طبيعة عمل ديوان الزمام في عصر المقتفي ، الا انه على ما يظهر استمر في تأدية مهام لها علاقة بالنواحي المالية للدولة . ففي سنة ١١٥٦هـ / ١١٥٦م انيطت بصاحب ديوان الزمام ابو المظفر محمد بن جعفر مهمة الاشراف والاتفاق على حفر نهر دجيل^(٣) . كما كلف عون الدين بن هبيرة كاتب الزمام سنة ١١٤٨هـ / ١١٤٨م بمهمة الاتفاق على اعداد الجيش العباسي الذي ازمعت الخلافة على اعاده بنائه آنذاك^(٤) .

كما اوكلت الى هذا الديوان سنة ١١٥٥هـ / ١١٥٥م مهمة محاسبة احد موظفي الدولة لاستغلاله منصبه في اخذ الاموال من الناس^(٥) .

ومما يزيد في غموض عمل ديوان الزمام في هذا العصر ، انه في سنة ١١٤٢هـ / ١١٤٢م اصبح هذا الديوان وشخص كاتبة يهتم بالشؤون السياسية للدولة . فقد كلف المقتفي كاتب الزمام بناء على طلب الاخير ، مكاتبة السلطان مسعود وليرات عديدة لردع شحنة بغداد واصحابه على الافعال اللانسانية وعدم مراعاتهم حرمة الخلافة ، وذلك عقب فشل محاولات مكاتبات الوزير ابن صدقة^(٦) .

ومن تولى منصب ديوان الزمام ابو علي ابن مهدي الكاتب
(ب ١١٤٩هـ / ١١٤٩م) . وكان قد عمل لفترة طويلة الى ان عزل سنة ١١٤٢هـ / ١١٤٢م

-
- (١) الدوري ، عبد العزيز ، النظم الاسلامية ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
 - (٢) انظر بشار عواد معروف ، هامش ذيل تاريخ بغداد ، م ٢ : ٩٠ . كوركيس عواد ، هامش مقامة بغداد ، ص ٢٢ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٥ .
 - (٤) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٨ (م) .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦١ .
 - (٦) ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

لاسباب غير معروفة ، وعين بد لا عنه ابن هبيرة^(١) . الذي اثبت كفاءة ومقدرة فائقة في عمله بالرغم من قصر الفترة ، حيث نقل الى الوزارة سنة ٥٥٤٤هـ / ١١٤٩م^(٢) . وعين بد لا عنه ابو المظفر بن جعفر واستمر بعمله حتى خلافة المستنجد حيث قبض عليه سنة ٥٥٥٨هـ / ١١٦٢م^(٣) .

وكان يرتبط بد يوان الزمام موظف يدعى بصاحب الخبر ، ومهمته نقل الاخبار الخاصة بعمل هذا الديوان ومن عمل بهذا المنصب خطير الدولة الحسين ابن الخطاب (ت ٥٥٥٢هـ / ١١٥٧م) . وكان كاتبها ادنيا بليغا^(٤) .

٣ - المخزن :

وكان يعرف بد يوان بيت المال ، الذي اختص بخزن جميع مفردات دخل الدولة العربية الاسلامية في خزائن متعددة ومصنعة ، مثل خزانة النقود ، خزانة الاهراء ، الخلال ، وخزانة الملابس ، وخزانة السلاح ، وكان يشتمل ذلك في سجلات خاصة ، وكان على صاحب هذا الديوان ان يعني بامر جميع نفقات الدولة وتأثير جميع الصكوك واوامر الدفع المرسلة من الوزير^(٥) .

ويبدو ان استئثار المتسلطين الاجانب من بويهيين وسلاجقة على السلطة واستيلائهم على موارد الدولة الرئيسية ، قلل من شأن هذا الديوان وتضاءلت واجباته ، الامر الذي ادى الى ان تتطور تدريجيا احدى مؤسساته التابعة له اصلا واخسدت تحل محله شيئا فشيئا الى ان اصبح لها اسم خاص هو " المخزن " ورئيسه خاص

(١) ابن حمدون ، التذكرة ١٢٥ : ١١١ - ١٩٢ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ،

١٠ : ١٢٤ . ابن كثير ، البداية ١٢٥ : ٢١٢ .

(٢) المصادر نفسها والصفحات .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠٥ . ابن الديلمي ، ذيل ، ٢ : ٩ .

(٤) ابن الديلمي ، ذيل ، ٢ : ١٠٠ . ورقة ١٨٦ (م) . الصفي ، الوافسي ،

ح ١١ : ورقة ٥٤ (م) .

E.I. (2) S.V. Diwan, p. 325

(٥)

يطلق عليه اسم صاحب المخزن (١) .

والرغم من استبدال تسمية بيت المال بالمخزن ، إلا أن الأعمال والواجبات استمرت هي نفسها ، فقد استمر المخزن بخزن ما يرد للدولة من الدخول المختلفة . أخذ بنظر الاعتبار تناقص هذه الدخول . ففي سنة ١١٣٦هـ / ١١٣٦م أرسل متولي التركات الحشرية أموال وممتلكات رجل توفي بدون وارث إلى مؤسسة المخزن (٢) . وعند ما أراد السلاجقة استحصال المبالغ التي استقرت على الخلافة لقاء خروج المسترشد على السلطان مسعود ، التجأ هؤلاء إلى المخزن بوصفه المصدر الوحيد للأموال فسي الدولة فطالبوا صاحبه بها ولما بان عجزه عن تسديد ما قبضوا عليه ولم يخرج من نفسه إلا بعد أن ضمنه الوزير وكاتب الانشاء وكتبوا خطوطهم بذلك (٣) واستمر المخزن بدفع رواتب وارتزاق موظفي الدولة ، ففي سنة ١١٣٥هـ / ١١٣٥م وقف صاحب المخزن يفرق بين الناس الذهب عوضاً عن مشاهراتهم من الطعام (٤) .

ولما كان المخزن مسؤولاً عن ضبط واردات الدولة ، فقد انبسط بصاحبه مهمة الاشراف على دار الضرب " سك النقود " ، إلا أنه ومنذ أواخر سلطنة ١١٣٠هـ / ١١٣٠م نقل الاشراف إلى صاحب الديوان بعد أن ظهر تلاعب صاحب المخزن بإرباحه (٥) . ولا يعرف هل استمر الاشراف مناطاً بالديوان أو عاد إلى المخزن في هذا العصر ، حيث لم ترد أخبار عن ذلك طيلة عصر المقتفي .

ومن تولى منصب صاحب المخزن كمال الدين أبو الفتح حمزة بن علي بن طلحة المعروف بابن البقشلام وكان قد تولى النظر فيه زمن الخليفة المسترشد وأقصره

(١) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ٢٨٥ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٨: ١٠ .

(٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ٦٢ و ص ٦٨ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٨: ١٠ . ويبدو أن صاحب المخزن كان مسؤولاً عن نفقات أمراء الدولة العباسية ، انظر المنتظم ، ٦٠: ٢٠٣ .

(٥) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٥ .

المقتفي على ذلك سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م^(١) . وقد استمر في منصبه هذا حتى سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م حيث طلب من الخليفة اعفائه من الخدمة بالدولة ، فأعفي ولزم بيته الى وفاته سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م منقطعاً الى العبادة والاشتغال في فعل البر والاحسان^(٢) . وقد تمتع كمال الدين بسلطة واسعة اثناء خدمته بالمخزن حتى قربت من مرتبة الوزراء^(٣) . وقد بقيت سلطته هذه حتى بعد استعفائه فقد قسام في داره " مرعي الجانب محروس القادة " (٤) " محترماً . . . ينشأ ارباب الدولة وغيرهم " (٥) .

ويبدو ان صاحب المخزن كان يوكل احد موظفيه وكالة رسمية لادارة المخزن عند غيابه او سفره ، ففي سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م " عاد صاحب المخزن " من الحج منصرفاً تاركاً العمل فنظر ابو القاسم علي بن صدقة من شير وكالة^(٦) وسرعان ما رتبته الخليفة المقتفي في المخزن بدلاً عن كمال الدين وخلع عليه^(٧) . وقد تقلد هذا الديوان يحيى بن القاسم بن عبد الله بن جعفر سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م على اثر استيثار

(١) ابن العمري ، الانباء ، ص ٢١١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠٢ . ابن الديلمي ، ذيل ، ٢ : ٢٠٢ ق ١ ورقة ٢٠٢ (م) . ويذكر ابن حمدون انه كان يسمى اثير الدولة ، التذكرة الحمدونية ، ١٢ : ١٨١ . ويذكر ياقوت الحموي انه كان وكيلاً للمسترشد ولما استخلف المقتفي ولاية المخزن ، معجم الادباء ، ٥ : ٢٠٥ . ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ٥ : ١٧١ - ١٧٢ وهو خلاف ما ذكره المؤرخون .

(٢) ابن الديلمي ، ذيل ، ٢ : ٢٠٢ ق ١ ورقة ٢٠٢ . سبط ابن الجوزي ، مسرأة الزمان ، ٨ : ٢٣٦ . ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ٥ : ١٧١ .

(٣) ابن العمري ، الانباء ، ص ٢١١ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٩١ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠٢ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠٢ . النسناسي ، المسجد المبهوك ، مجلد ٢ ، ورقة ٦٠ (م) .

(٧) ابن الجوزي ، المعتمد لنفسه والصفحة ، ابن الديلمي ، ذيل ، ٢ : ٢٠٢ . ١٤٢ (م) .

ابن القاسم علي بن صدقة (١) . ولقبه الخليفة بزعيم الدين (٢) .

وكأي ديوان آخر كان هناك موظفون يعملون في المخزن ، ومن هؤلاء الموظفين ، الخازن (٣) . وقد يرتب هذا الموظف للإشراف على خزانة الخليفة عند خروجه من بغداد للنزهة أو الصيد أو الحروب (٤) . جاء في أحداث ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م وفي موقعة بجمزا بالذات أن من جملة من قتل خازن الخليفة يحيى بن يوسف ابن الخرزى (٥) . وهناك وظيفة النائب بالمخزن ، وقد كان ظهير الدين بن الفقيه نائباً بالمخزن في عصر المقتفي واستمر حتى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م حيث قبض عليه صاحب المخزن (٦) .

ويظهر أن طبيعة اختصاص المخزن بشؤون الدولة المالية ، يتطلب سبب موظفين من ذوي الخبرات المالية لضبط سجلاتها ، فقد احتوى المخزن على عدد من الموظفين من أهل الذمة من اليهود والنصارى الذين كانت لهم خبرات في هذا المجال ، جاء في أحداث سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م أن الخليفة أمر بطرد اليهود والنصارى من المخزن ، إلا أنه سرعان ما أعادهم إلى العمل ولم يمض على طردهم مدة شهر واحد (٧) .

- (١) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ج ١ ، ص ١٩٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٢٣ : ١١ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢٨٧ : ٥ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٢٥ : ١٠ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥٧ : ١٠ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٢٢ . ويسميه المرتب في المخزن .
- (٤) انظر النويري حيث يذكر أن من واجبات مشرف الخزانة " تجهيز ما جسرت بان يجهز في خزائن الصحبة عند استقلال ركاب السلطان من مقر ملكه للصيد أو النزهة " . او حرمه في ملاقاته العدو " . نهاية الارب ، ٢١٥ : ٨٤ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥٧ : ١٠ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٢ . ويسميه ابن الفقيه وهو خطأ لأن ابن الفقيه استمر في منصبه كنائب في المخزن حتى وفاة المقتفي ، انظر المنتظم ، ١٩٥ : ١٠ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٩٥ : ١٠ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٨ : ١٠ .

٤ — ديوان التركات الحشرية :

ويختص هذا الديوان بإدارة أموال وممتلكات " من يموت وليس له وارث خاص بقراءة أو نكاح " أو الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستفرك جميع المال ولا عاصب له " (١) . وتودع هذه الأموال والممتلكات بيوت المال أو المخزن (٢) . ويتولى إدارة هذا الديوان شخص يطلق عليه متولي التركات (٣) ، أو ناظر التركات (٤) .

ويعد هذا الديوان من الدواوين التي استحدثها بعض الخلفاء العباسيين بغية استحصال الأموال من الناس بطريقة " شرعية " وذلك لحاجتهم الماسة إليها ، وقد الغي هذا الديوان زمن الخليفة المعتضد وأعيد أيام الخليفة المقتدر (٥) . ويبدو أن الخلفاء العباسيين قد أقرروا هذا الديوان في عهد التسلط الأجنبي لحاجتهم إلى الأموال خاصة بعد أن استحوذ السلاجقة على الواردات .

تعرقل عمل ديوان التركات في أوائل عصر المقتفي بسبب تدخل السلاجقة في الواجبات المكلف بها . ففي سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م توفي رجل حشري (ليس له وارث) فأخذ موظفو ديوان التركات أمواله وممتلكاته وأودعوها في المخزن ، إلا أن أصحاب السلطان السلجوقي صادروا هذه الأموال بعد أن أخذوها من المخزن ، ولم يكتفوا بذلك ، بل أخذوا الحفارين والغسالين وكتبوا عليهم وأشهدوهم ألا يكتفواهم شيئاً عن الموتى ، فصاروا لا يقدرون على قبر ميت إلا برقعة من مشسل السلطان (٦) . وقد أعاد الخليفة المقتفي العمل إلى هذا الديوان بدون تدخل السلاجقة في عمله بعد أن بذل إلى السلطان مبلغاً قدره عشرة آلاف دينار (٧) .

- (١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ : ٤٦٢ .
- (٢) المصدر نفسه ، الجزء ، والصفحة . وانظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٨ : ١٠ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ١١ : ١٧٥ .
- (٤) القفطي ، المحمدون من الشعراء ، ص ٣٦٦ .
- (٥) انظر تحسين حميد ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ وما بعدها .
- (٦) (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٨ : ١٠ .

ويلقى متولي التركات عناء كبيراً في تنفيذ واجباته أحياناً ، بسبب رفض الناس لهذا الرسم . ففي سنة ١١٥٢هـ / ١٨٤٧م توفي أحد الفقهاء في المدرسة النظامية ولم يكن له وارث ، فحضر المتولي وختم على غرفته هناك تمهيداً لإجراء الجرد الأصولي لممتلكاته ، إلا أن طلبة النظامية ، ضربوا المتولي وأخذوا التركة (١) .

ومن تولى العمل في هذا الديوان أبو سعيد محمد بن سعيد السرزاز (ت ١١٧٢هـ / ١١٧٢م) ، وكان من الشهود المدول ، أدباً فاضلاً حسن الأخلاق ، رتب ناظراً في ديوان التركات الحشرية سنة ١١٤٥هـ / ١١٤٥م واستمر في عمله حتى سنة ١١٧٠هـ / ١١٧٠م حيث عزل (٢) . ولم تحدد طريقته حتى ذمت أفعاله وصار يضرب به المثل في الجور والظلم (٣) .

• - ديوان الجوالسي :

ويقوم هذا الديوان باستيفاء الجزية المقررة على رقاب أهل الذمة في كل سنة التي حددت بثلاث طبقات ، دينار واحد للذي الفقير ، وديناران لمتوسط الحال وأربعة دنانير للأغنياء منهم (٤) . ويستثنى من ذلك العبيد والمجانين والنساء ومن لم يبلغ الحلم (٥) . وقد أكد المفتي في الم عهد الذي كتبه إلى الجاثليق مبارا عبد يشوع سنة ١١٣٨هـ / ١١٣٨م بأن " يقتصر في استيفاء الجزية على تناولها من العقلاء الواجدين من رجالكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم من أطفالكم ، ويكون استيفاءها مرة في كل سنة من غير عدول عن قضية الشرع " (٦) .

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٦ - ١٤٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ١١ : ١٢٥٠ .
- (٢) القفطسي ، المحمدون من الشعراء ، ص ٣٦٦ . الصفي ، الوافي ، ١٠١ : ٣ . ابن الديبش ، ذيل ، م ٢ : ٢٨٠ - ٢٨١ .
- (٣) السبكي ، طبقات الشافعية ، ٤ : ٦٩ . الصفي ، الوافي ، ١٠١ : ٣ .
- (٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣ : ٤٥٨ . وانظر ص ٤٦٢ .
- (٥) النويري ، نهاية الأرب ، ٨ : ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- (٦) متز ، المصدر السابق ، ص ٥٩ . نقلاً عن التذكرة الممدونية التي نشرها أحمد روز .

وكان على صاحب ديوان الجوالي الزام رؤسائه اهل الذمة بتقديم كشوف باسماء طوائفهم وما استجد عليهم من تغيرات ، كالسفر او الموت ، ومن بلغ الحلم من الصبيان ، ويتم تقديمها سنوياً^(١) . فقد جاء في وصية المقتفي الى صاحب ديوان الجوالي يأمره فيها " بحفظ الرسوم على ابوابها ، واستقصاء الحقوق من وجوهها ، فاذا حصلت الزيادة ممن ادرك الحلم ، ومن ورد بعد سفره فهي في وجوهها ، واذا بانث اموال وضرت عليه ، ومن نسب الى تجدد ثروة وحقق ذلك زيد على مسننها ، وما ريته من يتجدد فقره فيعمد ما رسم ويعمل به والسلام " (٢) .

وكان يتم استيفاء الجزية من اهل الذمة من قبل صاحب ديوان الجوالي وفي مجلسه بالديوان ، حيث يقف الذمي بين يديه حتى توزن جزيته (٣) .

٦ - ديوان الابنية :

ويختص عمل هذا الديوان بعمارة ودر الخلافة ، وترميم مرافق الدولة الاخرى كأسوار بغداد (٤) . وكان يعهد الى استاذ الدار مهمة الاشراف على عمله (٥) . ومن تولى النظر في هذا الديوان جعفر بن عبد الله بن محمد بن علي الدامغاني (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) وهو من بيت القضاء والولاية والتقدم ، كان شيخاً فاضلاً خيراً (٦) . ولا يعرف هل تم تعيينه في منصبه بديوان الابنية من قبل الخليفة او من قبل استاذ الدار بوصفه مشرفاً عليه .

- (١) النويري ، نهاية الارب ، ٢٤٢ : ٨ . القلقشندي ، صبح الاعشى ٤٥٨ : ٣٥ .
- (٢) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة كرسي المشرق ، ص ٧٨ .
- (٣) انظر ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ١٣ وقارن بذلك مع ادم متسر الذي يذكر ان اليهود لا يدفعون جزيتهم الى الخلافة بل الى رأس الجالوت . نقلاً من الرحالة بتاحيا ، ص ٧٥ .
- (٤) مصطفى جواد ، نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها ، مجلة الاعتدال ، لسنة ١٩٣٤ هـ ، ص ٣٦١ .
- (٥) ابن الكازوري ، مقامه في قواعد بغداد ، ص ٢٢ .
- (٦) ابن الدبيثي ، ذيل ، ج ١ ، ق ٢ ، ورقة ٢٩٤ (م) .

ويبدو ان ديوان الابنية كان عبارة عن مخزن كبير يحتوى على المواد الخاصة بالبناء كالاخشاب والابواب والاثاث ، فقد ذكر في احداث سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م وعلى اثر انسحاب الجيش السلجوقي عن بغداد ، ان قامت العامة بالهجوم على دار السلطنة السلجوقية ومعرض دار اصحاب السلطان ونهبوا الابواب والاخشاب وبعض الاثاث والمواد الاخرى ، فأصدر الخليفة امرا الى العامة ببرد جميع ما اخذ ، فحمل السيسى ديوان الابنية (١) .

٧ - ديوان المعارض :

وهو من الدواوين المهمة المختصة بامر الجند يسمى متولية او رئيسية بالمعارض (٢) . وتتخلص واجبات المعارض بتنظيم سجلات الجند والقادة مرتبة حسب رتبهم العسكرية مع ضبط مقادير اعطياتهم او اقطاعهم ، وتهيئة ما تحتاجه دواوينهم وخيولهم من ميرة وعلوفة (٣) . وايصالها اليهم ، كما انه مكلف بعرض اسماء الجند على الخليفة او السلطان اذا احتاج الى ذلك (٤) .

وبالنظر لاهمية هذا الديوان من الناحية الادارية ، فقد تولي النظر فيه كتاب وصفوا بالكفاءة الادارية ، خاصة ان من تولي هذا الديوان ايام الخليفة المقتدر كانوا من الكتاب الادباء . فقد تولي ديوان العرض ابو عبد الله محمد بن ابي المهيمن بن فتح الثقفي القزويني الكاتب المعروف بالمويد ، كان رئيسا نبيل فاضلا له اطلاع

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٩ . الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ج ١ ، ص ١٨١ . ابن الديلمي ، ذيل ، مجلد ١ : ٢٠٥ .
- (٣) اقبال ، عباس ، وزارة در عهد سلاطين بزرگ سلجوق ، ص ٣٢-٣٣ . ويذكر الراوندي ، ان سعة الدولة كهراتين عرض الجيش ايام البارسلان فظهر احد الغلمان في العرض ولم يكن المعارض قد سجل اسمه ، راحصة الصدر ، ص ١٨٩ .
- (٤) السمعاني ، الانساب ، ٣٧٨ ب .

واسع بالادب والكتابة ، تولاها الى حين وفاته سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٢م^(١) . وتولى هذا
الديوان ايضا بها . الدين كافي الكفاء محمد بن الحسن بن حمد بن صاحب التذكرة
الحمد ونية^(٢) . وهو من عائلة عرفت باشتغالها بوظائف كتابية في دواوين الدولة
العباسية هو وابوه واخوه^(٣) .

الحجابه والحجاب :

اتخذ العباسيون موظفين للوقوف على ابواب الخلفاء وحجب الناس عن
مقابلتهم الا بعد استحصال الاذن بذلك ، وقد اطلق عليهم اسم الحجاب^(٤) . ونظرا
لاهمية هذه الوظيفة لكون صاحبها وثيق الصلة بالخليفة وموضع اسراره فقد اشترط
في اختيار من يتولى هذا المنصب ان يكون " نصفيا مكشها قد احكمته الامور وحنته " ،
او شيخا متماسكا عجمته الدهور وعركته ، وله عقل وحزم^(٥) . وقد توارث بعض
العوائل المشهورة في بغداد منصب الحجابه ومنها بنو المعوج وهم من البيوت
المشهورة بالحجابه ، تولى الحجابه منهم كثيرون^(٦) . ومنهم ابو غالب محمد بن محمد
بن المعوج الذي تولى الحجابه بعد سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م^(٧) . ومنو صاحب من
من العوائل التي كان لها تعلق بخدمة الدولة^(٨) . ومنهم ابو الفضل هبة الله بن

- (١) الصفي ، الوافي بالوفيات ٤٤ : ٣١٥ نقلا عن ابن النجار .
- (٢) الاصفهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ج ١ ، ص ١٨٤ . الصفي ، الوافي ،
٢ : ١٥٧ . ابن شاکر الكتبي ، فوات الوفيات ، ٢ : ٣٧٧ .
- (٣) ابن خلکان ، وفيات الاعيان ، ٤ : ١٥٠ وانظر فصل الحياة الفكرية .
- (٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٠ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ : ٢٧٧ .
وانظر الحيص بيص ، الديوان ، ٢ : ٣٤٣ ، ٣٥١ .
- (٥) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٧١٠ .
- (٦) ابن الديبشي ، ذيل ، م ٢ : ١٨ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٦ . ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ،
ص ٢٣٢ . الاربلي ، خلاصة ، ص ٢٧٦ .
- (٨) ابن الديبشي ، ذيل ، ج ٣ ، ورقة ١٧١ (م) .

الصاحب الذي تولى الحجابة وعزل عنها سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م^(١). وأبو القاسم علسي بن هبة الله الذي تولى الحجابة سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م^(٢).

ومن الحجاب من اختص بحجية الديوان العزيز، ومن الذين تولوا حجية الديوان، يحيى بن صعلوك الشاعر الملقب بالحمامة وهو من أولاد حجاب الديوان، استحجب أيام الخليفة المقتفي^(٣). ومنهم أحمد بن المحسن بن جعفر السلماسي (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م)^(٤). وأجبات حجاب الديوان كثيرة منها، ترتيب جلوس الناس في الديوان حسب المكانة الاجتماعية والعلمية، ومحض من هؤلاء الحجاب من يتولى تهيئة مستلزمات اقامات رسل الخلافة وما يحمل اليهم من الديوان^(٥).

ويبدو ان هؤلاء الحجاب رئيس يدعى حاجب الحجاب، ومن المحتمل انه كان يختار من بين الحجاب، فمن تولى هذا المنصب في عصر المقتفي أبو الفتح أحمد بن المحسن بن جعفر السلماسي الذي كان حاجبا بالديوان العزيز ثم رتب بعد ذلك حاجبا للحجاب واستمر في منصبه حتى خلافة المستنجد حيث عزل قبل وفاته سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م بعدة قليلة^(٦).

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٨٦. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٣٢. الأربلي، خلاصة، ص ٢٧٦. الذهبي، تاريخ الاسلام، ح ٨: ورقة ٣٨ (م).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ١٦١. ابن الكازروني، مختصر، ص ٢٣٢.

(٣) الاصبهاني، الخريدة، القسم العراقي، ح ٢، ص ٢٢٨.

(٤) ابن الدبيشي، ذيل، ح ١، ق ٢، ورقة ٢٣١. الصفدي، الوافي، ٧: ٣٠٤.

(٥) بدرى محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٦) ابن الدبيشي، ذيل، ح ١، ق ٢، ورقة ٢٣١.

والى جانب هؤلاء الحجاب كان هناك حجاب ابواب دار الخلافة كحجاب النوبي والذي يعرف بباب المعتبة ايضا نسبة الى المعتبة التي يقبلها الرسل والامراء والملوك (١) . ويبدو ان حاجب هذا الباب قد تميز عن نظرائه من حجاب دار الخلافة نظرا لخطورة واهمية الواجبات والمسئوليات التي اودت اليه ، كضبط الامن واخماد الفتن ومعاقبة مشيرى الشغب والاضطرابات ، واحلال السلام والهدوء ، ويغداد ، ومراقبة عقائد الناس من ذوى الاتجاهات المعادية للإسلام التي يوصى انتشارها الى بليلمة افكار العامة (٢) .

وقد اظهر حاجب الباب النوبي في عصر الخليفة المقتفي حزما شديدا تجاه مشيرى الفتن . ففي سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م حدثت مشاجرة بين اثنين من القسراء تعدتها الى اصحابهما في احدى المساجد ، فبلغ ذلك حاجب الباب ، فارسل اليهم من يأمرهم بضرورة المصالحة منعا لحدوث فتنة ، الا ان احدهما امتنع عن ذلك وعاد الى المسجد (٣) ، ازاء ذلك اضطر حاجب باب النوبي الى اتخاذ اجراء ردعسي يتناسب مع حجم المشكلة التي اثارها ، فارسل اليه بعضا من رجاله واخرجوه من المسجد وختموا دارة ومسجده (٤) .

ولم يتهاون حاجب باب النوبي في اتخاذ العقوبات بحق المسيئين عيسى اختلاف منازلهم ومكانتهم العلمية او الاجتماعية ، ففي سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م وعلى اثر اعتداء بعض فقهاء المدرسة النظامية على احد موظفي الدولة " متولي التركيبات الحشرية " قبض على اثنين منهم وعاقبهما بباب النوبي وامر بحملهما الى حبس اللصوص جزاء ما اقترفا من ذنب (٥) . كما اخذ احد الوعاظ سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م

- (١) لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة المباسية ، ص ٢٣٣ .
- (٢) سوادى عبد محمد ، حاجب باب النوبي ، مجلة المورخ العربي ، عدد ٢٧ لسنة ١٩٨٦ ، ص ١٢٨ .
- (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٣ .
- (٤) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٦ - ١٤٧ . ابن الاثير ، الكاميل ، ٤٧ : ١١ .

مكتشف الرأس الى باب النوبي وعقب بعد ان وجد في داره قوارير خمر والاث طسرب ولهم (١).

ولم تقتصر واجباته على النواحي الامنية في بغداد فحسب بل كسسان يكلف بواجبات اخرى ، ففي سنة ١١٣٦هـ / ١١٣٦م كلف بقراءة منشور صادر من ابن الديوان على الجمهور "يشتمل معناه على الخطبة للمقتفي ولسمعود" (٢). وفي سنة ١١٥٥هـ / ١١٥٥م ارسل الخليفة ابو المعالي مخلص الدين ابن الكيا الهراسي الذي كان يتولى حجابة باب النوبي مع نائب الوزير لاستقبال السلطان سليمان شاه (٣). كما انه قد يقلد النظر بالمظالم الى جانب واجباته الاصلية احيانا ، ففي سنة ١١٥٥هـ / ١١٥٥م قلد مخلص الدين ابن الكيا الهراسي حجابة باب النوبي والنظر بالمظالم (٤). وولي ابو القاسم علي بن الصاحب حجابة باب النوبي والنظر بالمظالم بعد سنة ١١٥٥هـ / ١١٥٥م ، واستمر طيلة خلافة المقتفي (٥).

وقد حظي حاجب باب النوبي بمكانة رفيعة لدى الخليفة ، حتى ان احد هم وهو مخلص الدين قد اصبح ملازما ومرافقا له في جولاته وزياراته (٦). وتأكيذا لتلك المكانة ولتعزيز هيئته أمر الخليفة سنة ١١٤٦هـ / ١١٤٦م باغلاق المساجد لمدة ثلاثة ايام احتجاجا على احتجاز السلطان مسعود لحاجب باب النوبي ابن الصاحب (٧). ورغم ذلك فان هذه المكانة لم تمنع المقتفي من محاسبته اذ اساء واستغل منصبه الخطير في ظلم الناس . ففي سنة ١١٥٥هـ / ١١٥٥م قبض المقتفي على حاجب البساب

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨٢: ١٠ .
- (٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ٦٩ .
- (٣) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٢ .
- (٤) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ج ١٠ ، ق ١ ، ورقة ٣٦ (م) . الصفدي ، الوافي ، ج ١٥ - ١٧ ، ق ٢ ، ورقة ٢٦٦ - ٢٦٧ (م) .
- (٥) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٦٧ (نسخة مكتبة الدراسات العليا) .
- (٦) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ٤٠: ١ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٤ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١٩: ١٠ .

النوبي ابو الفتح الهاشمي وحاسبه على ما اخذ من الناس من الاموال (١).

ويرتبط بحاجب باب النوبي موظف يسمى صاحب الخبر ، مهمته مراقبة الناس والتجسس عليهم والحضور الى مجالسهم والتجول في الاسواق والكشف عن احوال الناس وارجيفهم (٢) . وقد اولى الخليفة اهتماما كبيرا باصحاب الاخبار والخبز فسي العناية بهم ، واستخدم الكثيرين من الاشخاص ، فمنهم معلم الصبيان (٣) . والتجار (٤) وحتى الادباء (٥) . وكان يذل الاموال العظيمة لهم في بغداد وجميع البلاد حتى لا يفوته شي . منها (٦) . وقد وردتنا بعض اسماء هؤلاء المخبرين منهم ابو المعمر عبد الرزاق بن علي ابن الخطيب الذي كان معلما للصبيان ببغداد (٧) . ومنهم ابن المهدي الذي عاقبه المقتفي وأدبه بعد ان اثبت عليه تهمة تزوير كتاب نفسه لاجراج احد الاشخاص من محبسه (٨) .

وكان صاحب الشرطة الذي اتخذ من باب النوبي محلا له مرتبطا بهـنذا الحاجب (٩) . الا اننا لم نجد في هذا العصر ما يشير الى ذلك ، رغم ان باب النوبي

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦١ .
- (٢) الدوري ، عبد العزيز ، النظم الاسلامية ، ص ٦٧ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٥ .
- (٤) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٣١٤ .
- (٥) ابن الديلمي ، ذيل ، ح ٢ ، ق ١ ، ورقة ١٨٦ (م) . الصفدي ، الوافي ، ح ١١ ورقة ٥٤ (م) . ويذكر الاصبهاني ان اولاد الحريري بالبصرة كانوا اصحاب اخبار ايام المقتفي . الخريدة ، ح ٤ ، م ٢ : ٦٠١ . وانظر يا قوت الحموي ، معجم الادباء ، ٦ : ١٦٧ .
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٥٦ . ابن الكازروني ، مختصر ، ص ٢٣٠ . ابو الفداء ، المختصر ، ٣ : ٧٣ . الفسائي ، المسجد المسبوك ، م ٢ ، ورقة ٥٥ - ٥٦ (م) . القلقشندي ، مآثر الانافة ، ٢ : ٣٧ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٥ . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨ : ٢٣٤ .
- (٨) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ٩٨ . ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ، ق ٣ ، ورقة ٢٧٥ .
- (٩) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٧ .

قد أصبح فيما يبد ومكانا لتنفيذ العقوبات واقامة الحدود بحق المسيئين واصحاب العقائد المعادية للاسلام^(١) . ويبدو ان هناك تعاوناً قد يتم بين حاجب بساب النوبي وصاحب الشرطة ، كما حدث سنة ١١٣٥هـ / ١٨٥٣م عندما اظهرت النسياس خوفها نتيجة التخلخل الامني وكثرة فساد العيارين ، عند ها خرج حاجب باب النوبي وصاحب الشرطة فسكنت الناس^(٢) .

ومن تقلد صاحب الشرطة في عصر المفتي حسام الشرف ابو الكرم بن محمد الهاشمي الذي اثبت كفاءة ومقدرة وحزم في تتبع اللصوص والجناة خاصة سنسنة ١١٤٣هـ / ١٨٣٨م^(٣) .

نقابة الاشراف :

ويقصد بالاشراف المنتمون الى عائلة النبي محمد (ص) ، وقد انحصر هذا اللقب فيما بعد بالعباسيين والعلميين (الطالبين) الذين هم اهم فروع بنسبي هاشم^(٤) . والنقيب هو الناظر في مصلحة كل منهما " وكان عالي الدرجة والمكانة ، عظيم القدر ، جليل الشأن " ^(٥) . وقد ترأس هاتين الاسرتين نقيب واحد حتى اواخر

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٢ ، ١٤٨ .
- (٢) المصدر نفسه والجزء ٩٥ ، ١٠٣ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٦٩ ، ١٠٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٦٣ .
ويسميانه بالوالي . ومنصب والي البلد في مصر كانت مهمته تنفيذ الاحكام واقامة الحدود ، وتعقيب المفسدين ومثيري الفتن ، ومعاينة مدني الخمر ، انظر الفلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤ : ٦٠ . عماد الدين خليل ،
عماد الدين زنكي ، ص ٢٣٦ .
- (٤) ارندك ، د اثرة المعارف الاسلامية ، مادة " شريف " ، ١٣ : ٢٦٧ - ٢٦٨ .
- (٥) ابن الكازروني ، مقامه في قواعد بغداد ، ص ٢٣ .

القرن الرابع الهجري ، حيث اصبح لكل اسرة منهما نقيبها الخاص^(١) وديوان خاص به^(٢).

١ - نقيب العباسيين :

ويطلق عليه اسم نقيب النقباء^(٣). واحيانا نقيب الهاشميين^(٤). ويتسم تعيينه بعهد من الخليفة ثم يخلع عليه خلع النقابة ، ففي سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م ولي المقتفي نقابة العباسيين الى ابي احمد طلحة بن علي الزينبي وخلع عليه خلعة النقابة^(٥). التي هي غالبا ما تكون جبة وعمامة كحلية والطيسلان والسيف^(٦). ومن تولى نقابة العباسيين في عصر المقتفي محمد بن طراد الزينبي (ت ٥٤١هـ / ١١٤٦م) وهو اخ الوزير علي بن طراد^(٧). وقد عزل محمد من النقابة واعيد اليها سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م دون ان يعرف تاريخ عزله والاسباب الموجبة لعزله^(٨). وبعد ان لقرار عزله اثرا كبيرا بالعلاقة المتوترة التي نشأت بين الخليفة والوزير علي بن طراد سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م عقب التجاء الاخير الى دار السلطان مسعود ويؤكد ذلك اوامر الخليفة الى احد اقارب الوزير من الفقهاء بالزامه بيته وعدم استقبال احد لاى سبب كان^(٩). وعقب وفاة محمد بن طراد تولى النقابة احد اقاربه بن عاتلة

- (١) متر ، المصدر السابق ، ص ٢٥١ .
- (٢) الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٢٥ : ٣٠٤ ، ٣١١ .
- (٣) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٨٩ ، ١١٨ . ابن الديبني ، ذيل ، م ١ : ٢٢٨ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٣ . الصفدي ، الوافي ، ٣ : ١٦٩ .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٣ . الصفدي ، ح ١٤ : ورقة ١١٦ (م) .
- (٦) انظر الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٢ : ٣١١ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٣ . الصفدي ، الوافي ، ٣ : ١٦٩ . وانظر ترجمته القرشي ، الجواهر المضيئة ، ١ : ٣٦٤ .
- (٨) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٨٩ .
- (٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٩ .

الزينبيين هو طلحة بن علي (١) .

وقد تمتع نقيب العباسيين طلحة بمكانة خاصة لدى الخليفة ، فقرمه وانايبه الوزارة سنة ٥٥٤٣/ ١١٤٨ م . بعد القاء القبض على الوزير ابن صدقة (٢) . وقسم مارس هذا النقيب صلاحيات واسعة في فترة انابته بالوزارة بالرغم من قصر فترته حتى انه قلد منصب قاضي القضاة الى احد القضاة عقب وفاة ابو القاسم الزينبي (٣) . ولم تقتصر نقابة العباسيين على بغداد فحسب ، بل كانت هناك نقابة في معظم مدن العراق الاخرى ، فقد جاء في ترجمة سعيد بن هبة الله الهاشمي حاجب الباب النوبي المعزول سنة ٥٥٥٠/ ١١٥٥ م انه كان يتولى نقابة العباسيين في الكوفة (٤) .

٢ - نقيب الطالبيين :

ومتولي ديوان هذه النقابة ، نقيب الطالبيين ، وهو رجل من كبار البيوت العلوية في العراق ، ويوكل اليه امر هذه النقابة لادارة شؤون أسرته (٥) . وتتم توليته ايضا بعهد من الخليفة ويخلع عليه ، ففي سنة ٥٥٤٧/ ١١٥٢ م ، قلد ابيو الغنائم محمد بن احمد بن المعمر نقابة الطالبيين وخلع عليه جبة وعمامة سوداء وطيئسانا وحنكا وسيفا محلى بذهب (٦) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٠ . الصفدي ، الوافي ، ج ١٤ ، ورقة ١١٦ (م) .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ ، ١٣٦ .
 - (٣) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ج ١٠ ، ورقة ٣٣٧ (م) . ابن الديبشي ، ذيل ، ج ٣ ، ورقة ١٢٤ (م) .
 - (٤) ابن الديبشي ، ذيل ، ج ٢ ، ق ٢ ، ورقة ٩٥ .
 - (٥) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ٢٣٧ .
 - (٦) ابن الديبشي ، م ١ : ٩٥ .

ومن تولى هذه النقابة في بغداد في عصر المقتفي النقيب الطاهر ابي-
 عبد الله احمد بن علي بن المعمر (١) . الملقب بـ جـد الدين (٢) . تولاهما بعد وفاته
 ابيه النقيب الطاهر علي بن المعمر العلوي سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م (٣) . وقد حضني
 النقيب ابو عبد الله بمنزلة خاصة لدى المقتفي حتى " لم يراحد من النقباء مثلها
 مقدرة وسطة " (٤) . خاصة وانه كان على معرفة واطلاع واسع بالادب والشعر
 والحديث (٥) . وقد استمر بالنقابة الى سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، حيث تقدم بطلسب
 الى الخليفة يرجوه فيها اغفاه من النقابة وتولية ابنه ابو الغنائم بدلا عنه لشسدة
 مرضه (٦) . ويبدو ان فترة تولية ابنه ابي الغنائم كانت بمثابة نيابة مؤقتة مع وجسود
 النقيب الاصيل ، حيث ما لبث ابو عبد الله ان عاد الى النقابة سنسنة
 ٥٥٢هـ / ١١٥٧م بعد شفائه من مرضه ، واستمر بولايته حتى وفاته سنسنة
 ٥٦٩هـ / ١١٧٣م (٧) . ومن المحتمل انه طلب اعادته الى النقابة مثلما طلب اغفاه
 منها .

ويبدو ان لتقيب الطالبين في بغداد عدة نقباء ، يساعدونه فسي
 ادارة شؤون الطالبين ويوزعون هؤلاء على المشاهد ، فقد كان هناك نقيب للطالبين

- (١) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ، ورقة ١٨٦ (م) . ابن الجوزي ، المنتظم ،
 ١٠ : ٦٢٠ . ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ، ق ٢ ، ورقة ٢٠١ .
- (٢) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ .
- (٣) ولي النقابة سنة ٥٠٢هـ واستمر حتى خلافة المسترشد واشترك معه فسي
 حملته على همدان ، وحبس من قبل السلطان مسعود . انظر ابن حمدون ،
 التذكرة ، ١٢ : ورقة ١٨٤ . ابن الجوزي ، ١٠ : ٤٥ - ٤٦ . ابن الديبشي ،
 ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٦٧ - ١٦٨ (م) .
- (٤) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١ : ٤٢٢ .
- (٥) ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ، ق ٢ ، ورقة ٢٠١ . ابن النجار ، التاريخ
 المجدد ، ح ١٠ ، ورقة ١٩٧ . الصفي ، الوافي ، ٢ : ٢١١ .
- (٦) ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ٩٥ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١ : ٤٢٥ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٢ ، ٢٤٧ . ياقوت الحموي ، معجم
 الادباء ، ١ : ٤٢٥ . ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ٩٥ .

في باب التبيين ، وكان يتولاها ابو محمد الحسن بن محمد العلوي الحسين (المتوفي سنة ٥٣٧هـ) (١) . كما تقلد الشريف ابو السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجرى نقابة الطالبين بالكرخ سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م (٢) . وقد انتدبت الخلافة سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م احد نقباء الطالبين في بغداد بصفته رسولا الى سائر الولاة والاثابة في بلاد الشام والجزيرة لحثهم على ضرورة توحيد جهودهم ورص الصفوف تجاه الخطر المتمثل بالصليبيين (٣) .

ولم تقتصر نقابة الطالبين على بغداد فحسب ، بل كان هناك عسكرة نقابات في بعض المدن العراقية مثل البصرة وتولاها قطب الدين ابو طالب محمد بن محمد العلوي البصري (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) وكان من سادات البصرة ونقابات المشهورين (٤) . وفي الكوفة (٥) واسط (٦) والموصل (٧) .

استاذ الدار :

احتوت دار الخلافة على عدد كبير من الموظفين والخدم ، ومن اشهرهم هؤلاء الموظفين هو استاذ الدار ، الذي كان يوكل اليه مهمة ادارة شؤون امسراة وحریم الاسرة العباسية الحاكمة (٨) ، وجميع ما تضمه دار الخلافة من موظفين وخدم

- (١) الصفدي ، الوافي ، ح ١١ ، ورقة ٢٣ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٠ . الاصفهاني ، الخريدة ، ح ٣ ، م ١ ، ص ٢٥ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٩٨ : ٥ . وانظر الفصل الخامس بالحياة الفكرية .
- (٣) انظر ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠١ .
- (٤) ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ح ٤ ، ق ٣ ، ص ٢٠٦ . وقد استفاد منه ابن هبيرة الوزير ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٤ : ١٩٠ .
- (٥) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٤ : ١٥٥ .
- (٦) ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١١٢ .
- (٧) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠١ .
- (٨) ابن الكازروني ، مقامة في قواعد بغداد ، ح ٢٢ . وانظر ابن الجيسسوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٦ .

وهو المتكفل بحراسة هذه الدار والمتفقد لها ليلا ونهارا (١) .

ونظرا لاهمية هذا المنصب ، فقد جرى اختياره من بيوتات مشهورة توارثت المناصب الادارية في الدولة ، كال جهير وبني المسلمة ، فقد تولى المظفر بن علي بن محمد بن جهير استاذية الدار حتى سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م حيث نقل بعدها السى الوزارة (٢) . ولا يعرف سنة توليته ، الا انه ورد في احداث سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م ان الخليفة الراشد قبض على استاذ الدار ابي عبد الله الحسين بن جهير وذلك قبل بيعه المقتفي بمدة قليلة (٣) . ولم يذكر المؤرخون اية معلومات اخرى عن اقراره لمنصبه او خلاف ذلك . ومن تولى هذا المنصب ايضا عبد الله بن هبة الله بن المسلمة ، قلده الخليفة سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م ولقبه بعز الدين (٤) . وقد وصف عبد الله هذا بأنه كان محبا للعلم واهله ، وله ميل الى الصوفية (٥) . وقد تولى ابنه ابو الفرج محمد استاذية الدار بعد وفاة ابيه سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ولقب بعضه الدين ، واستمر بمنصبه حتى خلافة المستنجد (٦) .

- (١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨١ — ١٨٢ .
- (٢) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٨ (م) . ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨٨ : ١٠ .
- (٣) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٨٦ (م) . ابن الجوزى ، المنتظم ، ٥٩ : ١٠ . ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ، ق ١ : ٢٥٧ .
- (٤) ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ، ق ١ ، ص ١٨٥ — ١٨٦ . ابن شاکر الكتبي ، فوات ، ٣٦١ : ٢ .
- (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٠٠ . ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٨ (م) . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ح ٨ ، ورقة ١١٠١ .
- (٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٤ . ابن الدبيثي ، ذيل ، م ٢ : ١٣ . الخسائي ، المعجد المسبوك ، م ٢ : ورقة ٦٩ (م) .

ان طبيعة الظرف السياسي والعسكري الذي كانت تعيشه الخلافة العباسية في هذا العصر قد احدثت اخلافا في اعمال بعض المؤسسات الادارية ، فلم تقتصر واجبات استاذ الدار على ادارة شؤن الخلافة فحسب ، بل كان يكلف بمهام اخرى ، ففي سنة ١١٤٣هـ / ١١٤٨م كلف استاذ الدار بالقبض على الوزير المعزول ابن جهير ، فارسل اليه " فاحضر الى دار استاذ الدار ماشيا " (١) . وفي سنة ١١٥٢هـ / ١١٥٧م امره الخليفة بنقض دار احد اصحاب السلطان (٢) . كما انه منزع مجموعة من المحدثين من قراءة الحديث في جامع القصر سنة ١١٦٠هـ / ١١٦٥م بعد ان رأى اشتغالهم بما يورث يومى مستقبلا الى حدوث فتنة (٣) .

ولم يأل الخليفة جهدا في تأكيد هبة استاذ داره وتعزيز مكانته فسي امين ارباب دولته بصورة خاصة والناس بصورة عامة ، ففي سنة ١١٤٦هـ / ١١٤٦م أمر الخليفة باخراج ابي نصر بن نظام الملك المدرس بالنظامية من دار الخلافة بعد ان اساء الادب في حق استاذ الدار " فاخرج من بيته ماشيا الى باب النوبي " (٤) . وفي سنة ١١٥٦هـ / ١١٥١م اعز المقتني بالقبض على مملوكه ترشك لتطاوله على استاذ الدار ، فكبس بيته واهين (٥) .

الجيش :

شهدت الفترة ما بين سنة ٥١٢ - ١١١٨هـ / ١١٣٥م مساعي حثيثة من لدن بعض الخلفاء من اجل اعادة بناء الجيش ، وقد تكلفت مساعي المسترشد بولادة جيش خاص بالخلافة ، الا ان هذا الجيش سرعان ما تمزق وتفرق شملسه بعد فشل محاولته بضرب السلاجقة سنة ١١٢٩هـ / ١١٣٤م ، وقد حاول ابنه الراشد

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ .
- (٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٤٧ .
- (٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٩٢ .
- (٤) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٢٠ .
- (٥) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٥٢ .

السير على خطاه ، الا ان قصر الفترة وضغط السلاجقة المتواصل حال دون ذلك ، وشهدت سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م خطوات جادة لاعادة بنائه من قبل المقتفي .

عناصر الجيش وتنظيماته :

ان معلوماتنا عن عناصر جيش المقتفي وتنظيماته قليلة ومقتضية ، اذا ما قورنت بتنظيمات وعناصر الجيش العباسي في عصر المعتضد على سبيل المثال (١) . ويد و ان السبب في ذلك يرجع الى قصر الفترة التي اعيد فيها انشاؤه .

ان من اهم العناصر التي كونت الجيش العباسي في هذا العصر هم العرب ، ويقصد بهم سكان اهل بغداد والسواد (٢) . والقبائل العربية من سكة البوادي (٣) . وقد لعب هؤلاء دورا مهما وحاسما في الدفاع عن بغداد للسنيين ٥٤٣هـ / ١١٤٨م و ٥٤٤هـ / ١١٤٩م و ٥٥٢هـ / ١١٥٧م ، وكان لهم الاثر البارز في افشال المحاولات السلجوقية المتكررة لاحتلال بغداد (٤) . ومما تجدر الاشارة به ، ان القسم الاكبر من هؤلاء لم يشكلوا قوة عسكرية نظامية ثابتة ، ولم يكونوا مدونين في سجلات ديوان العرض اصلا ، بل كان يتم استدعاؤهم واستنفارهم للجهاد عن مد ينتهم باوقات تعرضها للعدوان الاجنبي (٥) . وتنتهي مهمتهم بانتقاء السبب الذي استدعوا من اجله ، فينصرفوا الى اعمالهم ومشاكلهم ، فكان

-
- (١) انظر الصابي ، تحفة الوزراء ، ص ١٥ وما بعدها . ايضا تحسين حميد ، المعتضد بالله ، ص ٢٤٧ - ٢٥٢ .
 - (٢) ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢١٩ .
 - (٣) ابن العمراني ، الانباء ، ص ٢١٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٦ (حول اشتراك بنوعوف) .
 - (٤) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٣٣ ، ١٩٦ ، ٢١٣ . البنداري ، تاريخ آل سلجوق ، ٢٣١ ، ٢٣٣ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١٤٥ .
 - (٥) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٣ .

منهم العوام والتجار والروساء (١) . وحتى العياريين (٢) . ومثل ذلك ينطبق على القبائل العربية التي اشتركت مع الجيش العباسي والآخر في موقعة بجمزا سنة ١١٥٤هـ / ١١٥٤م ، مثل بني عوف (٣) . وآل أبي الجبر الليثي من البطائح (٤) . أما القسم الآخر فهم من المقاتلة المدونين كجند ثابت (٥) .

وهناك اشارات الى عنصر آخر دخل الجيش العباسي في هذا العصر وهم " الخيلية " الذين كانوا اصلا مجموعة من الممالك الروم والارمن الذين اختصوا بخدمة المقتفي ، واستخدمهم منذ اوائل خلافته ، بدلا من الاتسراك (٦) . ويبدو ان هؤلاء كانوا عبارة عن حرس خاص يلزمون الخليفة في حله وترحاله ، فقد جاء في ترجمة علم الدين ابو المظفر بزغش المقتفي ، انه كان من ركابية المقتفي (٧) . وقد اشترك هؤلاء الخيلية في حروب الخليفة ومعاركه في الدفاع عن بغداد وكان لهم دور بارز ومهم .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٠ . البنداري ، تاريخ دولته آل سلجوق ، ٢٣٠ و ٢٣٢ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٤ .
 - (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٦ .
 - (٤) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٢ .
 - (٥) اشار عون الدين بن هبيرة على الخليفة بضرورة فتح باب التطوع لاهتل بغداد والاكراذ والأتراك . انظر ابن ظافر الازدي ، اخبار السدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ .
 - (٦) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ . الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٢٩ .
 - (٧) ابن الفوطي ، تلخيص ، ٤ ، ق ١ ، ص ٥٧٢ .

وعلى الرغم من اشارة بعض المصادر التاريخية الى تراجع بعض منهم ،
والذين قد تبوأوا مراكز حساسة ومهمة في الدولة العباسية ، الا انها لم تقسدهم
لنا معلومات تفيدنا في مجال تنظيم الجيش ورتبهم ، ومن ورد ذكره من هؤلاء ،
ابو سعيد سنقر بن عبد الله الرومي ، الذي كان يطلق عليه الكبير ، وكان اخمد
المماليك المقدمين لدى المقتفي ^(١) ، ومنهم قطب الدين قيعاز الارمني الذي اصبحت
ايام الخليفة المستنجد مقدم الجيوش العباسية ^(٢) . ومن هؤلاء بزغش المقدم ذكره
آنفا .

ومن العناصر الاخرى التي تم ادخالها الى الجيش "الاحباش" الذين
كانوا في الاصل من خدم الخليفة المقتفي ومن المقربين لديه ، فيذكر عن الامير
ابو الفضل صندل بهاء الدين بن عبد الله الحبشي الخادم انه كان مولى للخليفة
المقتفي ومن خواصه وقد تمتع بمنزلة رفيعة لدى الخليفة ^(٣) . جعلته يتدرج بالمناصب
حتى اصبحت عميد الجيوش ببغداد ^(٤) . وولي النظر بواسطه ايام المستنجد وتولّى
استاذية الدار سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ^(٥) . وقد اشترك هذا الامير مع الخليفة فسيحي
موقعة بجمزا سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ^(٦) . ومن هؤلاء الاحباش عون الدين ظفر ابراهيم
العزبن عبد الله الحبشي الذي اختص بالمستنجد فيما بعد واصبح يتربس له مسج
ارباب دولته ^(٧) .

- (١) ابن الديلمي ، ذيل ، ح ٢ ، ق ٢ ، ورقة ٧٥ (م) .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٥٥ - ٢٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٦٠ .
- (٣) ابن الديلمي ، ذيل ، ح ٢ ، ق ٢ ، ورقة ٨٥ . ابو شامة ، ذيل الروضتين ،
ص ١١ . الصفدي ، الوافي ، ح ١٤ ، ورقة ٧٧ .
- (٤) ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ح ٤ ، ق ٢ ، ص ٧٣٨ - ٧٣٩ .
- (٥) ابن الديلمي ، ذيل ، ح ٢ ، ق ٢ ، ورقة ٨٥ . ابن الاثير ، الكامل ،
١١ : ٣٧١ . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨ : ٢٨٥ . وانظر
المندري ، التكملة لوفيات النقلة ، مجلد ٢ : ٧٤ .
- (٦) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٩ .
- (٧) ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ح ٤ ، ق ٢ ، ص ٩٢٨ .

وترد اشارات متعددة عن الاكراد (١) كقوة عسكرية في جيش الخليفة المقتضي ، ففي سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م فتح الخليفة باب التطوع للاكراد الموجودين في بغداد لتسجيلهم في الديوان كجند ثابت للخلافة (٢) . وتكررت الاشارة الى الاكراد في سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م حيث اشتركوا الى جانب الخلافة في موقعة بجزا سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م وكان متقدمهم الامير مهلهل ابن ابي العسكر الجاواني (٣) .

وقد شكل الاتراك غالبية الجيش العباسي في هذه الفترة ، فكان منهم الجند والامراء ، ففي سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م واثناء محاصرة الامراء السلاجقة لبغداد ومطالبتهم الخلافة بمبالغ كبيرة من الاموال اشير على الخليفة المقتضي بضرورة انفاق الاموال المطالب بها على جيش يرد هم من " الاتراك المطلقة في بغداد " (٤) . ومن الجدير بالذكر ان بغداد قد اصبحت في نظر الكثيرين من هؤلاء عاصمتهم الروحية وان الخليفة هو زعيمهم الروحي لذلك كانوا يلجأون اليها جنودا وامراء طمعا في العطاء والخلق او هربا من منافسيهم او رؤوسائهم خاصة ان الخلافة في هذه الفترة كانت لا تعارض استخدام مثل هؤلاء في وظائف الدولة (٥) . وبخاصة في الجيش المزمع انشاؤه الذي كان بحاجة الى امثالهم بوصفهم جندا مدربين اولاً واصحاب خبرة في القتال ثانياً . وقد جاء في احداث سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ان كثيراً من امراء السلطان محمد السلجوقي قد هربوا والتجأوا الى الخليفة المقتضي (٦) . ومن هؤلاء الامير فخر الدين قويدان الذي اتفق مع مجموعة من الامراء وغادروا همدان

- (١) يرجع استخدامهم الى عهد المسترشد حيث امر وزيره بتدوينهم في الديوان ، انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٥٤: ٩٠ - ٢٥٥ . وانظر ابن العبراني ، الانباء ، ص ٢١٩ .
- (٢) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ .
- (٣) البنداري ، تاريخ آل سلجوق ، ٢١٩ - ٢٢٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٩٦ .
- (٤) ابن ظافر الازدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ١٤٧ (م) وانظر الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٥٤ .
- (٥) بدر محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، ص ٢٤٨ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥٨: ١٠ . الذهبي ، العبر ، ١٣٥: ٤ .

باتجاه بغداد (١) .

ولم تقتصر الخلافة على تجنيد الأتراك في بغداد فحسب ، بل قامست باستدعاء بعض من هؤلاء ممن اصفوا بالشجاعة والخبرة في ادارة المعارك ، فقد استدعى الخليفة المقتفي الأمير ناصر الدين منكويرس من دمشق ، واستفيد منه في تنظيم وتعبئة الجيش العباسي في معاركه (٢) . كما انها استعانت بالجند والامراء الذين كانوا قد تم تدوينهم في عهد الخليفة المسترشد واوكلت الى الامراء منهم مهمات عسكرية ، ومن هؤلاء الامراء ، الأمير فخر الدين ابو منصور ايلجك التركي المسترشد ، الذي اوكل اليه المقتفي مهمة حراسة طريق خراسان والجل الى شهرزور سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م ، وغلب انتهبها موقعة بجزرا ارسل مع قوة عسكرية لملاحقة بقايا الجيش السلجوقي المهزوم حتى اوصلهم الى مراغة ، وفي اواخر سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م فوضت اليه حماية منطقة سورا واعمالها الى بواي الكوفة (٣) . ومنهم الأمير عز الدين ابو الخير مختار المسترشد ، الذي كان من اكابر امراء المسترشد واشترك معه في معركته مع السلطان مسعود سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م وعاد الى بغداد (٤) . واستخدمه الخليفة المقتفي حتى انه ارسله سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م الى الأمير علي بن دبيس أمير الحلة يأمره بالكف عن تهديد بالاستيلاء على بغداد (٥) .

والرغم من ان الخليفة قد اعتمد على هذا العنصر بشكل رئيس فسي الدولة والجيش ، الا انه كان يرى ان بعضا من هؤلاء الأتراك غير موهبلين بالثقة ومصدر خطر حقيقي على الدولة ، خاصة وهي تناضل من اجل اعادة هيبتهم (٦) .

(١) ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ج ٤ ، ق ٣ ، ص ٤٨٤ — ٢٨٥ .

(٢) انظر ص ٢٩ .

(٣) ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ج ٤ ، ق ٣ ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٣٥٣ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٠٥ . ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ج ٤ ، ق ١ .

ص ٣٥٣ . وانظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٦٨ .

Bosworth, The Iranian World, p. 127

(٦)

وقد صدق حدسه هذا عندما اظهر بعضهم عصيانه الصريح على تلبية نداء الخليفة بالدفاع عن بغداد اواخر سنة ١١٥١هـ / ١١٥٦م^(١). لذلك فان اول قرار تم اتخاذه عقب فشل الحصار السلجوقي على بغداد هو جمع كل الامراء الذين يشك باخلاصهم لغرض انهاء خدمتهم وقد تم ذلك بطريقة دبلوماسية حيث خلع عليهم واعطاهم الاموال وامرهم بالذهاب الى همدان وموازرة السلطان ملكشاه ضد اخيه السلطان محمد^(٢).

وقد اتبع الجيش العباسي النظام الخماسي في التعبئة اثناء القتال ويتضمن هذا النظام تقسيم الجيش الى خمسة اقسام ، الميمنة والميسرة والقلب والمقدمة والساقة ، وعلى كل قسم منها امير ، ويضمن هذا النظام حرية اشراف الخليفة او القائد على سير المعركة وتقدير المواقف التعبوية^(٣). وقد تجلى نظام التعبئة هذا في موقعة بجمزا سنة ١١٥٩هـ / ١١٥٤م حيث ارسل المقتفي مقدمة جيشه مع الوزير^(٤). واتبعها باقسامه المتبقية وجعل لكل منها اميرا من مماليكه ، وثبتت هو في القلب مع الامير منكويرس مقدم جيوشه^(٥).

واستعان المقتفي في حربه مع السلاجقة بالعيون والجواسيس واصحاب الاخبار لموافاته باخبارهم^(٦). وقد لعبت هذه العيون دورا مهما وكبيراً في احوال

(١) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٦٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٢ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٥ .

(٣) ثابت ، نعمان ، الجندية في الدولة العباسية ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤)(٥) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٨ . الحسيني ، اخباره ، ص ١٣٢ . وانظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٦ .

(٦) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ . القلقشندي ، مآثر الانافة ، ٢ : ٣٧ .

الاخبار عن تحركات الجيش السلجوقي المحاصر لبغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م (١) .

وقد جرت عادة الخليفة ان يتخذ من بعض الاماكن مضربا بجيشه حينئذ يخرج الى حرب ويكون هذا المضرب بمثابة منطقة تحشد للجيش حتى يكتمل تجهيزه وتجهيزه استعدادا للذهاب ، وكانت الرقة (٢) احدى هذه المناطق (٣) . ومما يلاحظ ان هذه الاماكن كانت تختلف حسب الجهات التي كان يقصدها الجيش العباسي .

وقد حرص المقتدي على اصطحاب الاطباء عند خروج الجيش للقضاء ، فيذكر ان ابا القاسم هبة الله بن الفضل كان الطبيب الذي رافق الجيش لحصار تكريت (٤) .

اما عن التدريب ، فباستثناء الاستعراضات العسكرية التي كانت تقيمها الخلافة لاسباب عديدة لم يكن هناك اي تدريب عسكري منظم للجيش (٥) . كما كان جاريا في اوائل الدولة العباسية (٦) . بيد ان اشتراك الجند وامراء الجيش فسي

(١) الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٧ .

(٢) الرقة : هي الارض التي يغطيها الماء الغائض ، وتطلق على البساتين المقابلة لدار الخلافة من الجانب الغربي ، وكانت مكانا لاستراحة وتجهيز الخلفاء ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٦٠ : ٣ . احمد سوسه ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٥٧ .

(٣) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٨ ، ١٥ ، ١٦٨ .

(٤) الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٢ .

(٥) Sayer, op. cit, p. 277

وانظر عن هذه الاستعراضات ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ . الذهبي ، دول الاسلام ، ٢ : ٦٤ ، ٦٥ .

(٦) انظر الصابي ، تحفة الوزراء ، ص ١٧ ، ١٩ .

الالعاب الرياضية (الكرة والصولجان) وغيرها قد اصبحت على ما يبدو جزءاً من التدريب العسكري للفرسان لتنمية مهاراتهم القتالية الفردية ^(١) . ويظهر ان المفتنسي قد شجع المحاربين على ممارسة هذه الرياضة خاصة وانه كان من هواة ممارستها ^(٢) . كما ان احد مماليكه كان مولعاً بهذه الرياضة حتى انه توفي بسببها ^(٣) .

وقد تألف الجيش العباسي في عصر المقتفي من الفرسان او الخيالة كما كان يطلق عليهم احياناً ^(٤) . ومن الرجالة ^(٥) وهم المشاة . وقد اهتم الخليفة باعداد وتجهيز الفرسان بالخيول " فما كان من ينفق لاحد فرس الا اخلفه عليه " ^(٦) . كما اهتم باعطياتهم حتى اصبحت فيما يظهر تقاس بمقدار مهاراتهم الفنية والقتالية ^(٧) . حتى غلب هذا العنصر على الجيش وسبب ذلك يعود بالدرجة الاساسية الى رغبة الخلافة في رفع مستواهم الفني والتدريسي ولتلافي النقص في عدد الجيش ^(٨) .

اما عن الاسلحة التي استخدمها الجيش في هذا العصر فالى جانب الاسلحة التقليدية كالسيف والروح والاقواس التي كانت تستخدم بشكل اساسي من قبل الفرسان والرجالة على حد سواء ، استخدموا المنجنيق ^(٩) بشكل واسع منذ سنة

-
- (١) تاملارا ، المصدر السابق ، ص ٩٨ وايضا Sayer, op. cit, p. 277
 (٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٥ .
 (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٦ .
 (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧١ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٩ ، ٢٦٤ .
 (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧١ ، ١٧٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢١٣ .
 (٦) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٤ .
 (٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .
 (٨) القزاز ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
 (٩) المنجنيق : آلة حربية تصنع من الخشب وتغطس بالجلود القوية ، تستخدم لرمي الحجارة والمواد المشتعلة لذلك القلاع والحصون ، انظر نعيمان ثابت ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

١١٥٤/هـ ١١٥٤ م في حصار قلعة تكريت حيث نصب عليها ثلاثة عشر منجنيقاً (١). واستعمل ايضاً في الدفاع عن بغداد سنة ١١٥٢/هـ ١١٥٢ م حيث نصبت مجموعة كبيرة منها على سور بغداد واستخدمت استخدمت استعمالاً مؤثراً في ضرب الجيش السلجوقي وتد ميرالاته الثقيلة (٢). كما استخدموا سلاحاً آخر هو العرادة (٣) ، خاصة سنة ١١٥٢/هـ ١٠٥٢ م ، وقد تم حمل هذه العرادات على السفن لضرب الجيوش السلجوقي المحاصر لبغداد (٤).

ومن الاسلحة التي استخدمها الجيش في هذا العصر " الجروح " وهي عبارة عن اقواس كبيرة بوتر لرمي السهام والنبال والمواد المشتعلة لمسافة بعيدة (٥). وقد استخدمت بشكل مؤثر من قبل الرجال آبان حصار بغداد سنة ١١٥٢/هـ ١١٥٢ م (٦).

واستخدم الجيش العباسي ايضاً قوارير النفط (٧) في اشعال الحرائق بالابراج والقلاع ، وقد استخدمت في حصار تكريت سنة ١١٥٤/هـ ١١٥٤ م (٨) كما يـ

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٥٦ . ابن الوردي ، تاريخ ، ٢٩ : ٢٠٢ . القزويني ، المختصر ، ٣ : ٢٩ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ ، ١٧١ . البنداري ، تاريخ دولته آل سلجوق ، ص ٢٨ .
- (٣) العرادة : آلة حربية اصغر من المنجنيق ترمى بالحجارة البعيدة المرمى وترمي ايضاً النفط المشتعل وتحمل على سفن خاصة . انظر نعمان ثابته المصدر السابق ، والمعلومات تفصيلية اكثره انظر حبيب الزيات ، معجم المراكب والسفن في الاسلام ، مجلة المشرق ، م ٤٣ ، ص ٣٣٠ .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ . البنداري ، تاريخ دولته آل سلجوق ، ص ٢٢٩ . الحسيني ، اخبار ، ص ١٣٧ .
- (٥) القزاز ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
- (٦) البنداري ، تاريخ دولته آل سلجوق ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
- (٧) قوارير النفط : هي عبارة عن اواني زجاجية ذات عنق تحشى بالنفط والصبر وذر القرطم ويجعل لها سلسلة ، فيشعلها الضارب ثم يرمي بها ، فتتكسر وتشعل . ومنها ما يخصص للرمي بالمنجنيق . انظر " الاسلحة النارية في الجيوش الاسلامية " لامين الخولي ، مجلة المقتطف ، م ٦٣ ، سنة ١٩٣٢ .
- (٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧١ .

مائتين وسبعين منجنيقا ومرادة (١) . وانتج خلال هذه الفترة ما يقارب من ثمانية عشر ألف قارورة نبط ما كان في خزائن السلاح (٢) . التي احتوت على الكثير من الأسلحة التي يحتاجها الجند كالجواشن (٣) والتروس والاقواس والنشاب ، ففي أحد اثن سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م اخرج المقتفي يوما سبعة آلاف جوشن ، كما اخرج في يوم آخر خمسة وعشرين ألف نشابة (٤) . وقد تم صنع مناء المراكب والسفن المقاتلة التي كانت تحمل فيها المجانيق والمرادات (٥) .

القضاء :

القضاء مؤسسة نشأت وتطورت بفعل الحاجات التي بانت بظهور الدولة العربية الاسلامية وتوسيعها ، فاستقرت اصولها وعرفت رسومها ، وبقيت هذه المؤسسة تعمل طوال عهود الدولة العباسية بمعزل عن التقلبات الادارية والسياسية العنيفة التي طالما اجتاحت الدولة ، بفضل قصور اختصاصها على النظر في الحكم بين الناس في القضايا المتعلقة بالاموال الشخصية كالزواج والطلاق وشؤون اليتامى والارامل وبعض الخلافات التي تدخل ضمن القانون المدني والتجاري على ما يعرف حاليا ، دون النظر في الخلافات السياسية والادارية الناجمة من تصرفات الخليفة او موظفي الادارة (٦) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٨ ، ورقة ١١٤ أ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ .
 - (٣) الجوشن : درع يلبس على الصدر للوقاية من الضربات الخارجية ، الزيدى ، تاج العروس ، ٩ : ١٦١ (مادة جشن) .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٩ ، ١٧٠ .
 - (٥) الهندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
 - (٦) العلي ، د . صالح احمد ، قضاة بغداد في العصر العباسي ، مجلة المجمع العلمي ، م ١٨ ، ص ١٥٧ .

ويتأثر هذه المؤسسة قاضي القضاة ، وهو منصب استحدثه العباسيون لتتم لهم السيطرة والاشراف على النظام القضائي في الدولة^(١). ويتم ترتيبه بمعهـد مكتوب ، ويخلع عليه ، ثم يقرأ عهد تقليد ، في الجامع . ففي سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨ م ولي ابو الحسن علي بن احمد الدامغاني قضاء القضاة وخلع عليه بالد يوان وقسـرى عهد ، في جامع القصر بحضور عدد من الفقهاء والعدول والاعيان^(٢) .

ومن الجد ير بالذكر ان الخليفة قد اختص بتقليد واختيار من يلي هذا المنصب حتى في اشد الفترات التي كانت فيه سلطاته الادارية والسياسية هزيلة بفعل التسلط الاجنبي^(٣) . الا ان ابو الحسن الدامغاني هذا قد تم ترتيبه من قبل نائب الوزارة حينئذ طلحة بن علي الزينبي ، حيث شافهه بولايته بالد يوان وخلع عليه^(٤) .

وقد تمتع قاضي القضاة بمركز ادا ري ونفوذ كبيرين في الدولة العباسية واحيط منصبه بالاهتمام^(٥) . فقد اصدر المقتفي امرا سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢ م اقصر فيه حمل الغاشمية^(٦) في المواكب على قاضي القضاة دون سائر كبار رجال الدولة^(٧) . كما انهب قاضي القضاة ابو القاسم علي بن الحسين الزينبي بالوزارة سنـسنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩ م^(٨) .

- (١) الانباري ز عبد الرزاق على ، النظام القضائي في بغداد في العصور العباسي ، ص ١٠٤ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٤٠ . ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٢٦ (م) .
- (٣) العلي ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، الانباري ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
- (٤) ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٢٦ - ١٢٧ (م) . ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ، ورقة ٣٣٧ .
- (٥) الكازروني ، مقامة في قواعد بغداد ، ص ٢٢ .
- (٦) الغاشمية ، قطعة من اديم مخروزة بالذهب ، يظن الناظر اليها كأنها مصنوعة من الذهب تحمل بين يدي الامراء وكبار الموظفين بالاحتفالات . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤ : ٧ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٣ .
- (٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ : ١٠٨ .

انيطت مهمة تعيين القضاة الى رئيس هذه المؤسسة منذ اوائل القرن الخامس الهجرى بعد ان كانت محصورة بيد الخليفة ، واصبح قاضي القضاة هو الذى يقوم بتعيين قضاته ومنحهم سلطاتهم القضائية (١) . ويتم ترتيب القاضي بعد ان يستدعي الى دار قاضي القضاة ، ففي سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م استدعي ابو يعلى محمد بن الفراء الى دار قاضي القضاة وفوض اليه قضاء واسط (٢) . كما حدث سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م عند ما عين ابو جعفر بن الثقفي قاضيا على طريق خراسان وساب الازج (٣) . ولما كانت سلطة تعيينهم بيد قاضي القضاة فان عزلهم كان بيد ايضاً ، وغالباً ما يتم ، استدعائهم الى دار قاضي القضاة وابلاغهم بقرار عزلهم ، ففي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م استدعي قاضي واسط محمد بن طاهر الخوارزمي وابليخ بقرار عزله من القضاء (٤) .

وعلى الرغم من ان سلطة تعيين القضاة اصبحت بيد قاضي القضاة ، الا ان الخليفة او الوزير قد يتدخل احيانا بتعيين او عزل القضاة ، ففي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م وعلى اثر اختلاف بين قاضيين على قضاء دجيل استوجب تدخل الخليفة في فض النزاع على ان يكون لاحد هم الحكم بحري وما عداها للاخير (٥) . وتؤخذ موافقة الخليفة ايضاً على تعيين قضاة الاطراف ، ففي سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م ولي ابو الفضل هبة الله محمد القضاء بحلب بعد وفاة ابيه ابو غانم وكتب اليه العهد قاضي القضاة الزينبي وتوقيع المفتي (٦) .

-
- (١) المصلي ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٣ : ١٠٠ . ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ، ق ١ ورقة ١١٦ (م) .
 - (٣) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ، ق ١ ، ورقة ٧٤ (م) . ابن رجب ، ذيل ، ٣٣٢ : ١ .
 - (٤) ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ٢٩٦ .
 - (٥) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٥١ : ٢ ، ٥٥ .
 - (٦) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣٠ : ٦ ، ٣١ .

والى جانب قاضي القضاة هناك اقضى القضاة ، وهو منصب دون منزلة قاضي القضاة (١) . ويرتب من قبل الخليفة ، ويبدو انه قاض من نوع خاص يقلب قضاة بغداد ، ويعطى صلاحيات قضائية واسعة . ففي سنة ١١٤٦/٥٥٤١ م خلع المقتفي على ابي الوفاء يحيى ابن المرخم وقلده القضاة في " اى صقع يشاء " وليس على يد وطيف يالاسواق (٢) . فجلس بداره وسمع البينة وحضر مجلسه الشهود والمديرون والوكلاء (٣) . وقد تمتع ابن المرخم هذا بسلطة واسعة في عصر المقتفي حتى اصبح " مرهوب الشباب ، شديد البطش ، لم يبال احد كائنا من يكون ، حتى انه لم يحاب المستنجد وهو ولي العهد " (٤) . ويبدو ان تقريب المقتفي له قصد جعله يهيمن على المؤسسة القضائية بالرغم من وجود قاضي القضاة ، فاصبح " مناظرا له وناقضا لما يبينه ، والتوقيعات تصدر بمرامضي ابن المرخم ومسخرات الزينبي ولم يبق له الا الاسم " (٥) . واصبحت سلطة تعيين بعض قضاة الاطراف في بغداد مناطة به . فيذكر ان قاضي دجيل طلب من الديوان الخروج من يد (٦) . وقد بقيت هيمنته على القضاة طيلة خلافة المقتفي ، حتى انتهت قضاة القضاة ابو الحسن الدامغانى انه كان يقف لابن المرخم اجلالا له . ولما انكر ذلك ، شهد عليه الشهود وهزل سنة ٥٥٥٥/١١٦٠ م وذلك بعد وفاة المقتفي بمدة قصيرة (٧) .

- (١) ياقوت الحموى ، معجم الادباء ، ٥ : ٤٠٧ . المهكي ، طبقات الشافعية ، ٤ : ٢٧٩ .
- (٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٣ . سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ٨ : ١٨٧ . وانظر عن ابن المرخم الفصل الخاص بالحياة الثقافية والعلمية .
- (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ .
- (٤) الاصبهاني ، الخريدة ، ٣ : ١ ، ٣٤٠ .
- (٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٦ . وانظر ابن القوطي ، تلخيص ، ٤ : ٣ ، ٢٤٦ .
- (٦) انظر ياقوت الحموى ، معجم الادباء ، ٢ : ٥٤ - ٥٥ .
- (٧) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٥ .

المراكز القضائية في بغداد :

منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ادخلت على القضاء تغييرات ادارية قسمت فيها بغداد الى اربعة مراكز قضائية اثنان منها بالجانب الشرقي واثنان بالجانب الغربي وسميت بالارباع^(١) . ولكن الادارة القضائية تعرضت الى تغييرات مستمرة وكانت بعض هذه التغييرات انعكاسا لمتغيرات عمرانية او ادارية . لذلك لم تكن هناك سياسة ادارية ثابتة في تقسيم بغداد الى مناطق قضائية^(٢) . حتى اصبح قاضي القضاة منذ اواخر القرن الخامس يتولى اكثر الاحيان قضاء بغداد او ينوب عنه نوابا يحدد صلاحياتهم القضائية ، كما كان يولي بنفسه عددا من القضاة على بعض المراكز القضائية في بغداد التي تمتد سلطتهم القضائية احيانا الى خارجها^(٣) . وعلى وفق ما توفر لدينا من معلومات عن القضاء والمراكز التي يولي القضاء فيها في هذا العصر فقد قسمت على النحو الاتي :

١ - الكرخ والجانب الغربي :

ومن تولى القضاء في ريع الكرخ محمد بن محمد بن عبد الله البيضاوي (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م) الذي تولى القضاء من سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م الى ان عزل سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م وهو من بيوتات القضاء في العراق^(٤) . وابو الحسين احمد بن علي الدامغاني الذي تولى القضاء بالجانب الغربي بأكمله سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م وبقي

- (١) العلي ، المصدر السابق ، ١٨٢-١٨٣ . خصباك ، جعفر ، القضاء في العراق في العصر السلجوقي ، ص ٨٩ .
- (٢) الانباري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٢١٢-٢١٧ .
- (٣) الانباري ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ . وانظر جعفر خصباك ، المصدر السابق ، ص ٩٠ .
- (٤) ابن الدبيثي ، ذيل ، ج ١ ، ق ٢ ، ورقة ١٠٩ (م) . القرشي ، الجواهر المضيئة ، ٦٩: ٢ .

في القضاء الى حين وفاته سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م^(١) . وقد انا ب هذا القاضي طيلة فترة قضائه اخيه ابو نصر الحسن بن علي بن محمد في الحكم والقضاء بالجانب الغربي^(٢) . وتولى قضاء ربع الكرخ ابو الحسن علي بن احمد بن علي بعد وفاة ابيه على ما يبد و حيث تولى قضاء هذا الربع سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م واستمر لحيته توليته في قضاء القضاة بوفاة الزينبي سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م^(٣) . وتولى ربع الكرخ اثر ذلك ابو منصور محمد بن احمد الدامغاني^(٤) . وقد ولي قاضي القضاة ابن الدامغاني سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م اخيه ابو محمد الحسن بن الدامغاني وجلس للحكم فيها^(٥) .

٢ - باب الازج :

كان يتولى قضاء باب الازج ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد وتوفي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م^(٦) . ومن تولى القضاء في هذا الربع محمد بن محمد بن محمد بن الفراء القاضي ، تولى قضائه سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م وبقي فيها الى سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م حيث فوض اليه قضاء واسط^(٧) . وتولى قضاء باب الازج عبد الواحد

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٦ ، ١١٧ . الصفي ، الوافي ، ٢٠٨ : ٧ . القرشي ، الجواهر ، ١ : ٨٢ - ٨٣ .
 - (٢) الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ١ : ٢٨٢ - ٢٨٣ . القرشي ، الجواهر المضيئة ، ١ : ١٩٩ - ٢٠٠ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٣٤ . ابن النجار المجدد ، ح ١٠ ، ورقة ٣٣٧ . ابن الديلمي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٢٦ - ١٢٧ . القرشي ، الجواهر المضيئة ، ١ : ٢٥٠ .
 - (٤) القرشي ، الجواهر المضيئة ، ٢ : ١٩ .
 - (٥) ابن الديلمي ، ذيل ، ح ٢ ، ق ١ ، ورقة ١٥٤ . القرشي ، الجواهر المضيئة ، ١ : ١٨٨ .
 - (٦) ابن الديلمي ، ذيل ، ٢ : ١١٢ .
 - (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٣ ، ٢١٣ . ابن الديلمي ، ح ١ ، ق ٢ ، ورقة ١١٦ . ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، ١ : ١٤٥ .

بن أحمد التقي، ولاء أبو القاسم علي بن الحسين الزينبي سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م^(١).
وقد ضم قضاء باب الأزج إلى جانب الحسبة ببغداد إلى ابن المظفر أحمد بن
عبد الباقي بن أحمد النرسي وتوفي سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م وهو يليهما^(٢).

٣ - حريم دار الخلافة :

ورد ذكر القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد الكرخي أنه تولى القضاء في
حريم دار الخلافة وباب النوبي وباب الأزج لخسة خلفاء المستظهر والمسترشد
والراشد والمقتفي والمستجد وتوفي سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م^(٣). وقد استتاب أبو
الحسن بن الأمانني قاضي القضاة في ولايته الأولى حتى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م
الشيخ العدل عبد الله بن محمد بن عبد الجليل بالحكم بدار الخلافة^(٤).

٤ - باب النوبي :

ومن تولى القضاء فيه محمد بن عبد الواحد بن الصباغ (ت ٥٨٥هـ / ١١٨٩م)
الذي قبلت شهادته سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م وتولى قضاء باب النوبي وعزل بعد مدة
قصيرة^(٥).

٥ - باب الطاق :

تولى القضاء بباب الطاق محمد بن طاهر الخوارزمي سنة

- (١) ابن النجار، التاريخ المجدد، ج ١٠، ورقة ٧٤، القرشي، الجواهر، ٣٣٢: ١ - ٣٣٣.
- (٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣: ٧.
- (٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ٢٠٢، الصفدي، الوافي، ١٠٩: ٢٥.
- (٤) ابن الدبيثي، ذيل، ج ٣، ورقة ٢٥ (م)، ابن السامي، الجامع المختصر، ص ٢٣.
- (٥) ابن الدبيثي، ذيل، ٢: ٥٧-٥٨، المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، م ١: ٢٢٠، السبكي، طبقات، ٨٦: ٤، الصفدي، الوافي، ٦٤: ٤.
- (٦) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد، تقع بالجانب الشرقي، وتعرف بطباق أسماء، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٨: ١.

٥٤٥هـ/١١٥٠م^(١) . والى جانب ذلك فقد وردتنا أسماء عدد من القضاة ممن كانوا قد تولوا القضاء في بعض مدن العراق وقراء في هذا العصر . ممن تولوا قضاء واسط سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م أبو يعلى محمد بن محمد بن الغراء ، السدي توجه اليها وأقام الحكم بها الى ان عزل سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م^(٢) . وتولى قضاءها بعد ذلك محمد بن طاهر بن محمد الخوارزمي من قبل قاضي القضاة سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م وسار اليها ولم يزل حاكماً الى ان استدعي الى بغداد وعزل سنة ٥٥٢هـ/١١٥٢م^(٣) . وفي السنة ذاتها ولي قاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني أخاه الحسن بن أحمد قضاء واسط وأعمالها وبقي فيها الى ان عزل سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م^(٤) .

ومن تولى قضاء الحويزة^(٥) عمر بن أحمد بن علي الانصاري الذي قتل سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م^(٦) . وتولى محمد بن نصر الله بن سالم الهيتي قضاء هيت بعد ان شهد عند قاضي القضاة سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م^(٧) . وتولى أحمد بن علسي بن الحسن المعروف بأبي البقاء قضاء بعقوبا سنة ٥٥٢هـ/١١٥٢م بعد ان قبلت شهادته ، وقد وصف بانه من بيت القضاء بالسواد^(٨) . ومن تولى القضاء بد جيسل

- (١) القرشي ، الجواهر ، ٢: ٦٢ . الصفدي ، الوافي ، ٣: ١٦٨ .
- (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠: ١٠٣ . ابن الدبيثي ، ذيل ، ١: ١٠١ ورقة ١١٦ (م) . ابن رجب ، ذيل ، ١: ٢٤٥ .
- (٣) ابن الدبيثي ، ذيل ، ١: ٢٩٥-٢٩٦ . القرشي ، الجواهر ، ٢: ٦٢ .
- (٤) ابن الدبيثي ، ذيل ، ٢: ١٠١ ورقة ١٥٤ (م) . القرشي ، الجواهر ، ١: ١٨٨ .
- (٥) الحويزة : موضع بين واسط والبصرة والاحواز في وسط البطائح ، وهو موضع حازه ديبس بن عفيف الاسدي أيام الطائفة ونزله مع اهله وبني فيه وعمره . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢: ٢٣٦ .
- (٦) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ١٠: ١٠١ ورقة ٨٩ (م) .
- (٧) القرشي ، الجواهر ، ٢: ١٣٧ .
- (٨) ابن الدبيثي ، ذيل ، ١: ٢٠٩ ورقة ٢٠٩ (م) .

احمد بن غالب بن احمد (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) تولا سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م وعزل عنه بعد مدة قصيرة (١) . وتولى قضاء دجيل ايضا سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م احمد بن علي بن الزوال واستمر على قضاة حتى ولي ابن المرخم قضاء مدينة السلام فطالبه احمد بضم " باقي الدجيل مع ما والا وقاره من لدن تكريت الى الانبار والى الجبل وما والا من بلد الى خانقين وروشن قباد الى الحربية من الجانب الغربي ببغداد " وبقي يحكم الى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م حيث عزله المستنجد (٢) .

مجلس القاضي :

لقد ضم مجلس القاضي هيئة من المساعد ين يساعدونه في اداء واجباتهم القضائية واهم هؤلاء المساعد ين الشهود والوكلاء والمد يرون . جاء في احسداث سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ان القاضي ابو الوفاء بن المرخم جلس للقضاء في داره " وسمع البينة وحضر مجلسه شهود ببغداد والمد يرون والوكلاء " واستمر جلوسه كل يوم اربعة (٣) . فالشهود فئة من الناس يختارهم القضاة لحسن سلوكهم الاجتماعسي وورعهم ، ويتم انتقايتهم بعد مطالعة سيرة كل منهم عند ذلك يتم قبولهم من قبل القضاة بمجلس علني ويتم تثبيتهم ويؤرخ ذلك بد يوان العد ول مع تسجيل اسمسي المركيين لمن قبلت شهادته من العد ول (٤) . وقد لعب هؤلاء الشهود دورا مهما في ترسيخ قواعد النظام القضائي وتسهيل مهمة القضاة ، كالشهادة امام القضاة بما يقع امامهم من احداث ، واسناد ادارة اموال الايتام ، والشهادة على المعاملات التجارية ، كالصكوك وكتب البيع والشراء ، وتوثيق العهد السياسية التي منحتها

- (١) ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ١ ، ق ٢ ، ورقة ٢١٠ (م) .
- (٢) انظر يا قوت الحموي ، معجم الادباء ، ٢ : ٥١٠-٥٥٠ . القفطي ، انباء الرواة ، ٨٩ : ١ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٥ .
- (٤) بدري محمد فهد ، تاريخ الشهود ، مجلة كلية الشريعة ، م ٣ لسنة ١٩٦٨ ، ص ٢٨ وما بعدها .

الدولة للامراء او الجند^(١). وتنعج مصادرنا التاريخية باسماء هؤلاء الشهود العدول وسني تعد يلهم والمناصب التي تولوها ، وذكر من زكاهم .

اما الوكلاء فهم من يقوم بمهمة المحاماة بحسب المصطلح المعاصر ، وهم الذين يتولون المرافعة امام القاضي وكالة عن موكله لقاء مبلغ معين من المال^(٢). ومن هؤلاء الوكلاء محمد بن المبارك بن احمد بن العصار (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) الذي كان وكيلًا على ابواب القضاة^(٣) . وابو القاسم بن هبة اللعين محمد الذي كان مختصا وعارفا بصنعة الوكالة وكتابة الشروط والكتب الحكيمة وكان وكيلًا للخلفاء ، وقسمه ورث مهنته هذه ابن اخيه من بعد ، عبد الوهاب بن ازهر (ت ٦١٩هـ / ١٢٢٣م)^(٤) . كما كان كثير بن سعيد من الوكلاء الذين اختصوا بالوكالة عن الخليفة المقتضي^(٥) . وذكر عن ابي غالب محمد بن المبارك المعروف بابن المأصراني انه كان وكيلًا بباب القضاة ، وقد شهد عند قاضي القضاة سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م الا انه عزل بعد مدة قصيرة^(٦) .

اما المدبر فهو الذي كان يدبر السجلات التي حكم بها القاضي على الشهود حتى يكتبوا فيها شهاداتهم^(٧) . والى جانب هؤلاء كان هناك الامناء الذين كانت مهمتهم حفظ اموال اليتامى والغائبين والعناية بها^(٨) . ومن هؤلاء الامناء في هذا العصر ابو منصور علي بن علي بن سكينه (ت ٥٣٢هـ / ١١٣٧م) فقد كان امين الحاكم وتحت يده اموال اليتام وقد لقب لامنته بأمين الامناء^(٩) . واحمد

- (١) الانباري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٤٤٧ - ٤٥٨ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢ .
- (٣) ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ، ق ٢ ، ورقة ١٣٩ (م) . الصفدي ، الوافي ، ص ٣٨٣ : ٤ .
- (٤) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ، ق ٢ ، ورقة ١١٦ (م) .
- (٥) ابن الديبشي ، ذيل ، ح ٢ ، ق ٢ ، ورقة ٦٥ (م) .
- (٦) ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ، ق ٢ ، ورقة ١٤٠ (م) .
- (٧) الانباري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .
- (٨) انظر القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١٤٦ : ٣ .
- (٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٧٥ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٤ : ١٠٠ .

بن عبد الباقي بن محمد النجار المعروف بأبي البركات المقرئ (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) الذي كان امام مسجد ابن الفاعوس وامين القاضي على اموال الايتام (١) . ويسندو ان لكل محلة امين للقاضي خاص بها ، وقد توارثت بعض العوائل هذه المهنة ، فمحمد بن علي بن صدقة الصائغ (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) كان امين الحكم بباب الازنج (٢) . وابو عبد الله سعيد بن الحسين بن شنيف (ت ٥٥٤هـ / ١١٥٩م) من اهل دار القز (٣) كان امين للقضاة في محله (٤) . وقد جاء في ترجمة ابنه الحسين (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) انه كان امينا للقضاة هو وابوه وجدّه (٥) .

النظر في المظالم :

النظر في المظالم هو "تقديم المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين على التجاحد بالمهية" (٦) . ولما كان قد اختصر بالنظر في قضايا تملس اشخاصا من رجال الحكم وموظفي الادارة ومن ذوى القوة والنفوذ في الدولة ممن لا يستطيع القاضي حملهم على احترام احكامه ، فقد اصبح الخليفة هو الذي ينظر في هذه القضايا ، وكثيرا ما كان الخلفاء العباسيون الاوائل يجلسون بانفسهم للنظر في ظلمات الناس ، او يعين واليا للمظالم نيابة عنه (٧) . الذي اشتراط

- (١) الصغدي ، الوافي ، ١٤: ٢ .
- (٢) ابن رجب ، ذيل ، ٢٠٤: ١ .
- (٣) دار القز : محلة كبيرة ببغداد ، تشتهر بصناعة ورق الكتابة والمنسوجات ، ويتصل بها عدة محال منها العتابين والنصرية . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٢٢: ٢ .
- (٤) الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٨٥: ٢ .
- (٥) الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣٤: ٢ . المنذرى ، التكملة ، ٥٣: ٤ .
- (٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٧٧ .
- (٧) عن النظر بالمظالم انظر الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٧٧ . ص ٨٤-٨٥ . عبد الرزاق الانباري ، المحكمة العليا في الاسلام ، مجلة المورخ العربي ، العدد ٢٤ ، لسنة ١٩٨٤ . ص ٦٣ وما بعدها . حامد مصطفى ، الرقابة القضائية الادارية في الشريعة الاسلامية ، مجلة الرسالة الاسلامية ، العدد ١٦٠ ، ص ٨٢ .

فيه نظرا لخصوصية قضاياها ان يكون " جليل القدر ، نافذ الامر ، عظيم الهيبة ،
ظاهر الصفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، لانه يحتاج الى سطوة الحماية وتثبيت
القضاة " (١) .

اوكل النظر بالمظالم في هذا العصر الى حاجب باب النوبي في اكناس
الاجيان ، لما تمتع به على ما يبد ومن سطوة وسلطة كبيرتين ، فقد رتب المقتضي
ابو المعالي عبد الملك بن الكيا الهراسي سنة ١١٥٥/٥٥٠م حاجبا بباب
النوبي وناظرا للمظالم (٢) . كما رتب ابو القاسم علي بن هبة الله بن الحسن بن
الصاحب حاجبا بباب النوبي وناظرا للمظالم بعد سنة ١١٥٥/٥٥٠م واستمر
طيلة خلافة المقتفي ، وقد وصف بانه كان حسن السيرة جميلها (٣) .

ويظهر ان الوزير عون الدين بن هبيرة قد جلس للنظر بالمظالم مدة من
الوقت اثناء وزارته فقد ذكر عن علي بن محمد بن احمد بن الاحمد ب (ت ٥٧٨هـ /
١١٨٢م) انه قد تولى النظر بالمظالم نيابة عن الوزير (٤) . ولربما كان الخليفة
نفسه ينظر في الكثير من المظالم ، ولكن دون ان يعين مكانا او يوما معينين .

الحسبة :

وهي وظيفة من الوظائف التي يتألف منها النظام القضائي فهي " واسطة
بين احكام القضاء ، واحكام المظالم " (٥) . صاحبها يتمتع بسلطة قاضي متجول اقرب
ما يكون الى قاضي المظالم ، ولكن ولايته خاصة لا عامة اي انه يصدر احكامه فسي
اصناف معينة من القضايا لا غيرها ولا يحتاج الى الاجراءات التي يحتاج اليها

- (١) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٧٧ .
- (٢) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ، ق ١ ، ورقة ٣٦ (م) . الصفدى ،
الوافي ، ح ١٥ - ١٧ ، ق ١ ، ورقة ٢٦٦ - ٢٦٧ (م) .
- (٣) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٦٧ (نسخة مكتبة الدراسات العليا) .
- (٤) الصفدى ، الوافي ، ح ١٢ ، ورقة ١٤٢ (م) .
- (٥) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص

القاضي كد عوى الخصوم واستماع البينات والشهود ، بل يصدر احكامه وينفذها —
بمساعدة اعوانه في نفس المكان (١) .

وعلى الرغم من ان بعض المصادر قد امدتنا ببعض من تولوا الحسبة
في عصر المقتفي ، الا انهم لم يشيروا الى اية معلومات عن واجباتهم والمهام
التي كانت تتناط بهم . ويمكن القول ان واجباتهم لم تكن لتختلف بأى حال من
الاحوال عما ذكرته بعض الكتب (٢) التي تناولت بصورة مفصلة هذا المنصب
وواجباته وشروطه ، منطلقا من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن اهم
واجباته هي تفقد الاسواق وملاحظة سمعتها ونظافتها (٣) . ومراقبة الموازين
والمقاييس والمكاييل والتأكد من صحتها (٤) . وملاحظة اسعار البضائع في
الاسواق (٥) . كما انه كان يقوم بملاحظة نظامه المساجد ، ويقوم ايضا بمراقبة
معلمي الصبيان ومنعهم من ضرب الاطفال (٦) . وقد اتخذ باب بدر (٧) على ما يبدو

- (١) خصباك ، جعفر ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .
- (٢) من هذه الكتب التي تناولت الحسبة ، الماوردى ، الاحكام السلطانية .
ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة . ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب
الحسبة . ابن الاخوة ، معالم القرية في احكام الحسبة . ابن تيمية ،
الحسبة في الاسلام ، وغيرها .
- (٣) الشيرزى ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ٣٧ ، ص ٤٢ . ابن بسام ،
نهاية الرتبة ، ص ١٧ .
- (٤) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٥٤ . الشيرزى ، نهاية الرتبة ،
ص ١٥ - ١٧ .
- (٥) الشيرزى ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٨٥ .
- (٦) الشيرزى ، نهاية الرتبة ، ص ١١٣ - ١١٤ . ابن بسام ، نهاية
الرتبة ، ص ٢١٣ .
- (٧) باب بدر : او باب البدرية وهو احد ابواب دار الخلافة ، ينسب الى
بدر ملوك الخليفة المعتضد ، وكان يطلق عليه باب الخاصة وذلك
لدخول خاصة الناس منه الى دار الخلافة ، انظر لسترنج ، بغداد ،
ص ٢٢٩ . احمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٥٨ .

مكانا لتواجد المحتسب ، ففيه يقضي وينفذ احكامه ، جاء في ترجمة ابي منصور محمد بن احمد بن عبد الباقي النرسي انه في سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م قبلت شهادته من قبل قاضي القضاة وولي الحسبة ببغداد ، فحضر باب بدر واحتسب (١) . ومن الجدير بالذكر ان هذا المحتسب كان من بيت مشهور بالعدالة هو واباؤه وجد ، وكلهم تولوا الحسبة ببغداد (٢) .

وقد ارتبطت اعمال الحسبة مع القضاة ، واصبح بعض القضاة يولون القضاء مع الحسبة احيانا سواء كان ذلك في بغداد كلها او في احد مراكزها او ارباعها القضائية . فقد تولى ابو عبد الله بن علي بن محمد قضاء باب الازج التي جانب الحسبة وتوفي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٧م وهو يليهما (٣) . وتولى ابو المظفر احمد بن عبد الباقي بن النرسي القضاء بباب الازج الى جانب الحسبة ببغداد وتوفي سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م وهو يليهما (٤) . وتولى ابو الفتوح عبد القاهر بن محمد الوكيل (ت ٥٦٣هـ / ١١٦٧م) القضاء بريح الكرخ الى جانب الحسبة بالجانب الحسبة بالجانب الغربي بعد ان قبلت شهادته من قبل قاضي القضاة سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م (٥) . كما ان القاضي قد ينصب عنه من يشغل منصب الحسبة فسي مركزه القضائي . ففي سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م رتب علي بن محمد بن محمد بن شهرستاني نائبا بالحسبة ببغداد نيابة عن القاضي ابي العباس الكرخي وقصد وصف بانه كان متشدد على الناس بالحسبة (٦) .

(١) ابن الديلمي ، ذيل ، م ١ : ١٣٥ . وانظر ابن الجوزي عن جليوس المحتسب ايضا ، المنتظم ، م ١٠ : ٢٢٣ .

(٢) ابن الديلمي ، ذيل ، م ١ : ١٣٥ . وح ٣ ، ورقة ٧ (م) . المنذرى ، التكملة ، م ٢ : ١١٣ .

(٣) ابن الديلمي ، ذيل ، م ٢ : ١١٢ .

(٤) الصفدي ، الوافي ، م ٧ : ١٣ .

(٥) ابن الديلمي ، ذيل ، م ٣ ، ورقة ١٠٣-١٠٤ (م) .

(٦) ابن النجار ، القارنخ المجدد ، ورقة ٦٧ (نسخة مكتبة الدراسات)

وقد مارس المحتسب د وره كأحد المدافعين عن بغداد ابان الحصار السلجوقي لها سنة ٥٥٥٢هـ / ١١٥٢م ، فقد انيطت به مهمة توزيع الاسلحة على المقاتلة من المدافعين عن بغداد يوميا ^(١) . كما انه تولى معاينة احد الفقهاء ممن اساءوا الادب بحق الخلافة ^(٢) .

العليا) . الصفدى ، الوافي ، ١٢ : ورقة ١٨٨ (م) . السيوطي ، بغية الوفاء ، ص ١٦٥ .

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٢٠ .

(٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٤٧ .

الفصل الخامس .
الحياة الثقافية والعلمية

الفصل الخامس

الحياة الثقافية والعلمية

ظلت بغداد تحتل الصدارة حتى في العصور العباسية المتأخرة كأهم المراكز الثقافية في العالم الاسلامي لكونها عاصمة الدولة العربية الاسلامية ، واستمرت بعطائها الفكري والعلمي على الرغم من عدم استقرار الحياة السياسية نتيجة الصراع بين الدولة العربية الاسلامية والمتسلطين الاجانب^(١) . فقد مساج العراق بحركة ثقافية لا حدود لها شغلت الجميع على اختلاف مذاهبهم وديانتهم واجناسهم ، ففتت المؤسسات التعليمية من مدارس وربط وجوامع بطبـلاب المعرفة وعشاق العلم من البلدان المجاورة والبعيدة على السواء ، حتى لينـدر ان نجد عالما اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي يومذاك دون ان تكون بغداد صاحبة فضل عليه ، ويكفي ان تكون المدرسة النظامية ببغداد المعهد الذي كان يطمح كل عالم لان يدرس فيه او طالب ينهل العلم منه^(٢) .

وقد ساهم في تنشيط هذه الحركة الثقافية ، استمرار النهج الذي سنته الدولة ممثلة بخليفاتها وكبار رجالاتها واعيانها في رعاية العلماء والادباء والشعراء والاهتمام بهم^(٣) . فقد حظي العالم اللغوي والاديب ابن الجواليقي

(١) زار الشاعر الفارسي الخاقاني بغداد سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م ومـسـدح الخليفة واثق على بغداد وكثرة علمائها الذي رآهم . انظر لسـتـرنج ، بغداد ، ٢٨٣ . كما ان الرحالة بنـيامين التـطـيلي الذي زار بغداد بعد سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م قد ذكر انه وجد ((عدد كبير من العلماء والفلاسفة والمتفنيين في جميع العلوم والمعارف والسحريات)) . الرحـلـسة ، ١٣٩ .

(٢) انظر مزهر عبد السوداني ، الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، ٢٩ .

(٣) انظر الفصل الثاني ، ص ١٠٩ - ١١١ .

مثلا بحظوة متميزة لدى الخليفة المقتفي واختص بأمامته وثقافته حتى ان الخليفة كان يقرأ عليه بعض الكتب وقد انتفع به انتفاعا جما . وطلب منه ان يؤلف له كتابا في علم العروض (١) .

بلغ الطبيب العالم ابو الحسن هبة الله بن صاعد المعسر عرف بأبن التلميذ مكانة عالية ومنزلة رفيعة لدى الخليفة ، فاتخذ منه طبيبه الخاص ووهبه المطايا وجعل دار القوارير مجرأة في اقطاعه (٢) وكانت له على الخليفة ((ادلال الصحة والخدمة)) (٣) .

ومما يؤكد الدور البارز الذي اضطلعت به الدولة في توسيع الحركة العلمية والادبية وتطويرها ما ابداه الوزير عون الدين بن هبيرة من جهود في رعاية العلماء والادباء والاهتمام بهم (٤) . وقد بالغ في ذلك حتى انـه قال ((والله لقد كنت اسأل الله الدنيا لاأخدم بما يرزقنيه منها العلم واهله)) واصبحت الدولة في ايامه ((للعلماء شمس .. وارتاحت فيها للطلبة نفوس)) (٥) . كما كانت اهتمامات الوزير علي بن طراد الزمني واعطياته دأره على العلماء والوافدين من طلاب العلم وغيرهم (٦) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المشيخة ، ١٣٣ . ابن خلكان ، وفيات ، ٤ : ٤٢٤ .
ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ١٩٧ .
 - (٢) ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٢٢٥ . القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٣٤١ .
ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ٢٤٤ ، ابن العبري ، تاريخ ، ٢٠٩ .
 - (٣) ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٢٢٤ .
 - (٤) ابن العمراني ، الانباء ، ٢٢٥ . الذهبي ، المختصر المحتاج ، ٣ : ٢٤٨ .
الغزولي ، مطالع البدور ، ٢ : ٢٤ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٢٧٧ .
الدمياطي ، المستفاد ، ورقة ٨٠ .
 - (٥) ابن رجب ، ذيل ، ١٥ : ٢٥٤ .
 - (٦) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ٣١١ .

١ - المؤسسات التعليمية :

٦ - المساجد :

ادى المسجد دوره كمؤسسة تعليمية منذ الايام التي انبثقت فيها الدولة العربية الاسلامية الى جانب مهمته في اداء الفرائض الدينية ، وقد تنامي نشاطه العلمي بنمو المجتمع واستمر كذلك في هذا العصر على الرغم من ظهور توسعات تعليمية اخرى كالمدارس^(١) . وقد اشارت المصادر الى النشاط الفكري الذي كانت تؤديه هذه المؤسسة من خلال جلوس كبار رجال الحديث والعلماء بهذه المساجد للدرس والتدريس . فقد كان اسماعيل بن احمد السمرقندي المحدث المشهور (ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) يملئ الحديث على طلابه بجامع المنصور وله مجالس فيه زادت على الثلاثمائة مجلس^(٢) . وقد حضر ابن الجوزي (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) بعض من هذه المجالس وكتب عنه^(٣) .

اما ابو محمد عبد الله بن علي سبط ابن الخياط المقيصر^٤ (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) فقد ام الناس بمسجد ابن جرير واقرأهم سنين طويلة حتى وفاته^(٤) . وتلمذ على يده عدد كبير من المهتمين بعلم القراءات^(٥) . ومن المحتمل انه قد درس النحو واللغة والادب لانه كان ممن

-
- (١) عن دور المساجد التعليمي انظر احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، سعيد الديوجي ، التربية والتعليم في الاسلام .
 - (٢) السبكي ، طبقات ، ٤ : ٢٠٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة ، ٨ : ١٨٨ .
ابن الغوطي ، تلخيص ، ٤ : ١ ، ٥٤٣ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المفتظم ، ١٠ : ٩٨ .
 - (٤) السمعاني ، الانساب ، ٧٢١٤ . العماد الاصفهاني ، الخريدة ، ٣ : ١٣٠ .
ص ٢٥ . الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، ٢ : ٤٠٤ .
 - (٥) انظر عن تلامذته ، الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٠٤ . ابن الجوزي ، غاية النهاية من طبقات القراء ، ١ : ٤٣٤ .

المهتمين بالعلوم والآداب العربية (١) .

وقد لازم الشيخ الفقيه ابو الحسن محمد بن المبارك بن الخـلـل
(ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٢ م) بمسجده في الرحبة لا يخرج منه الا بقدر الحاجة
يفتي ويدرس (٢) .

وقد انتشرت حلقات التدريس في المساجد ، وحوى المسجد اكثر من
حلقة واحدة ، فقد كان لشافع بن عبد الرشيد الجبيلي (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م)
حلقة لتدريس الفقه بجامع المنصور في الرواق ، وقد اكد ابن الجوزي ذلك بقوله
((كنت احضر حلقة وانا صبي فالقي المسائل)) (٣) .

وكان لابي الحسن علي بن عساكر المقرئ النحوي (ت ٥٧٢ هـ) حلقة
بجامع القصر للاقراء يسمع بها كل جمعه (٤) . حتى تتلمذ على يديه كثير من
طلاب العلم والعلماء منهم ابن هبيرة وزير المقتدي (٥) .

-
- (١) ابن الانباري ، نزهة الالباء ، في طبقات الادباء ، ٢٨٢ . القفطر ، اثباء
الرواة ، ٢ : ١٢٢ .
(٢) ابن خلكان ، وفيات ، ٣ : ٣٦٢ .
(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١ : ١٢٢ . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٢٢٥ .
(٤) ابن الديبشي ، ذيل ، ٣ : ١٥٠ (م) . وللاستزادة عن هذه الحلقات
انظر السمعاني ، الانساب ، ٦٣٨ ، ابن الديبشي ، ذيل ، ٢ : ٤٩ ، ٥٥٠ .
ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣ : ٣ . ابن خلكان ، وفيات ، ٤ : ٤٢٥ ،
ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٣١٦ .
(٥) الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٤ . ابن الجوزي ، غاية النهاية
١ : ٥٥٦ ، ٢ : ٢٩٥ .

ب - المدارس :

بينما كانت المساجد تؤدي دورها التعليمي ، كانت هناك مؤسسة تعليمية أخرى قد نمت وتطورت منذ أواخر القرن الخامس الهجري ، وتزايد الاهتمام بإنشائها طوال القرن السادس الهجري ، حتى أصبحت ظاهرة تميزت بها الحضارة العربية الإسلامية في هذه الفترة (١) .

فمن المدارس التي أنشأت في هذا العصر المدرسة الثقتية ، وهي من المدارس الشافعية التي أنشأها ثقة الدولة أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى الدين المعروف بأبن الأبري (٢) (ت ٥٤٩ هـ) وقد أنشأ إلى جانبها رباطاً للصوفية وكان كلاهما على دجلة في محلة باب الأزج وقد أوقف عليهما الوقفوف الكثيرة (٣) . وكان ثقة الدولة من محاسن بغداد (٤) . ومن أعيان الدولة وكبار رجالاتها ، وكان فيه فضل وأدب ، اختص بخدمة الخليفة المقتفي وقربه إليه وأصبح يشاوره ويدينه ويكتب عنه حتى أصبح وكيله (٥) . وقد تم افتتاح هذه المدرسة سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م حيث ذكر ابن الجوزي في أحداث هذه السنة

- (١) ظهرت المدارس في المشرق الإسلامي منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، انظر عن هذه المدارس ما كتبه المرحوم د . ناجي معروف ، مدارس قبل النظامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٢٢ ص ١٠٧ .
- (٢) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ١٩٣ (م) . ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٣٠ ونسخة مكتبة الدراسات) . الذهبي ، المشتهر ، ص ٣٠ . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ح ٤ : ٢٢٤ (مادة درن) .
- (٣) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٣٠ (نسخة مكتبة الدراسات العليا) .
- (٤) ابن حمدون ، التذكرة ، ١٢ : ورقة ١٩٣ (م) .
- (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٠ . العماد الاصفهاني ، الحزينة ، القسم العراقي ح ١ ص ١٤٤ . ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٣٠ (نسخة مكتبة الدراسات) . الصفدي ، الوافي ، ح ١٢ ورقة ١٩٣ ، ح ١٤ ورقة ٤٤ (مخطوط) .

جلوس ((يوسف الدمشقي للتدريس بالمدرسة التي بناها ابن الابري بباب الانج ، وحضر قاضي القضاة وصاحب المخزن وارباب الدولة)) (١) ومن تفقه فيها العباد الاصفهانى الذى درس الفقه فيها مدة ثلاث سنوات (٢) . والفقيه بيسان بن احمد بن محمد الواسطي المعروف بابي المفاخر عند قدومه ببغداد سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م (٣) .

وانشئت في هذا العصر ايضا المدرسة الكمالية وهي من المدارس الشافعية ايضا وتنسب الى مؤسسها كمال الدين حمزه بن علي بن طلحة صاحب المخزن (٤) . واقف عليها وعلى المتفقيين فيها ثلث املاكه (٥) . وقد جرى افتتاح هذه المدرسة سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م حيث جلس الفقيه ابو الحسن محمد بن المبارك بن الخلل (ت ٥٥٢ هـ) للتدريس فيها وحضر حفل افتتاحها قاضي القضاة ابو القاسم الزيني وارباب الدولة وجمع غفير من الفقهاء والاعيان (٦) . وتقع هذه المدرسة في باب العامة وتحديدا بالقرب من منزل مؤسسها كمال الدين (٧) المتصل برحبة جامع القصر حيث مجتمع العامة من اهل بغداد (٨) .

-
- (١) ابن الجوزي، المنتظم ، ١٠ : ١١٦ .
 - (٢) الاصفهانى ، الخريدة ، القسم العراقي ، ج ١ ص ١٤٤ .
 - (٣) انظر ترجمته في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيشي ، ج ١ ق ٢ ورقة ٢٨٦ .
 - (٤) انظر ص ١٨١ .
 - (٥) ابن الدبيشي ، ذيل ، ج ٢ ق ١ ورقة ٢٠٢ (م) . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٥ : ٢٠٥ .
 - (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٨٩ - ٩٠ .
 - (٧) ابن الدبيشي ، ذيل ، ج ٢ ق ١ ورقة ٢٠٢ (م) . ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ج ٥ ص ١٢٢ .
 - (٨) وهذه المنطقة هي اليوم ضمن حي النصارى غرب جامع سوق الغزل ، انظر د . عماد عبد السلام ، مدارس بغداد ، ص ٩٦ .

والى جانب هاتين المدرستين استمرت المدارس التي انشئت قبل هذا العصر بتأدية مهمتها العلمية، كالمدرسة النظامية التي انشأها الوزير السلجوقي نظام الدين سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م^(١) . ومدرسة الامام ابي حنيفة التي تأسست قبل اشهر قليلة من تأسيس المدرسة النظامية^(٢) . وهناك المدرسة التاجية الشافعية التي انشأها تاج الدين ابو الغنائم ابن خسرو مستوفى الدولة السجوقية سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م^(٣) . وقد جددت عمارتها من قبل ابن اخته مسعود ابن دارست سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ورتب فيها الفقيه يوسف الدمشقي مدرسا فيها ((فأحيا دريسها بدروسها))^(٤) .

وهناك ايضا مدرسة ابي النحيب السهروردي المتصوف الذي تولى التدريس بالنظامية سنة ٥٤٥ هـ / ١١٤٥ م واستمر الى سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م حيث عزل، فعاد الى مدرسته وتوفر على التدريس بها والوعظ واملاء الحديث^(٥) .

وايضا مدرسة الفقيه الحنبلي ابو الحكيم ابراهيم بن دينار احمد النهرواني . البغدادى (ت ٥٥٦ هـ) في محلة باب الانج وكان يدرس فيها الحديث والفرائض ، وقد سلمت هذه المدرسة الى ابن الجوزى من قبل صاحبها ابو الحكيم قبل وفاته بقليل^(٦) .

-
- (١) عن النظامية انظر مصطفى جواد ، مجلة سومر ، ٩ ، ١٩٥٣ ، سمسعيد نفيس ، المدرسة النظامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ٥ ، لسنة ١٩٥٤ .
 (٢) انظر مصطفى جواد ، اول مدرسة في العراق ، مجلة المعلم الجديد ، عدد ١ سنة ١٩٤٠ ص ٣٣ . د . عماد عبد السلام ، مدارس بغداد ، ٣٢ - ٤٣ .
 (٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٩ : ٤٦ . البغدادى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٧٨ .
 (٤) البغدادى ، تاريخ دولة آل سيجوق ، ١٩٧ .
 (٥) ابن الديبشي ، ذيل ، ١ : ١١٨ ، وح ٣ ورقة ١٠٣ (م) .
 (٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠١ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ١ : ٢٠٣ . ياقوب الحموى ، معجم البلدان ، ٥ : ٣٢٧ .

ج - الكتاتيب:

وردت في هذا العصر بعض الاشارات عن وجود كتاتيب التعليم الصبيان من خلال تراجم بعض المعلمين والمؤدبين، فقد كان هناك مكتسب لتعليم الصبيان في المأمونية^(١) يعود الى المعلم ابو الموهب عبد السرزاق بن علي الخطيب^(٢) . وكان لابي الحسن علي بن محمد المقرئ المؤدب المعروف بالاحدب المعلم (ت ٥٤٢ هـ) مكتب لتعليم الصبيان في محلة المقنطرة^(٣) ، وقد رآه العماد الاصبهاني في مكتبته اثنا وجوده فسي بغداد^(٤) . ورأى العماد الاصبهاني معلما آخر للكتاتيب في بغداد هو سعيد ابن احمد بن مكي التبلي المؤدب ، وكان آخر عهدى به ببغداد سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م^(٥) وغيرهم كثيرون ممن اسهموا في تهيئة الاولاد وتنشئتهم نشأة علمية في هذا العصر^(٦) .

-
- (١) المأمونية : محلة من محال بغداد تقع بالقرب من القصر المأموني واليه تنسب وهي اليوم محلة درب عقد القشل والدهانة والهييتاويين ، احمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ١٢٣ - ١٢٤ .
 - (٢) ابن الديبشي ، ذيل ، ج ٣ ورقة ٧٥ (م) وقد شغل منصب صاحب خبر لدى الخليفة المقتفي انظر ص ١٩٢ .
 - (٣) المقنطرة : محلة ببغداد انشأت في عهد الخليفة المقتدى واليه نسبت وهي الان محلة التوراة الحديثة ، انظر دليل خارطة بغداد ص ١٦٤ .
 - (٤) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٣ م ١ ص ٣٢٩ .
 - (٥) الصفدي ، نكت الهميان ، ص ١٥٧ .
 - (٦) انظر ابن الديبشي ، ذيل ، ج ١ ق ٢ ورقة ١٦٠ (م) ومجلد ١ : ٢٧٠ ، ٢٧٧ . ابن النجار ، التاريخ المحدد ج ١ ورقة ٧٩ - ٨٠ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ج ١ : ٤٩ .

وسيدو ان بعض هؤلاء المعلمين من اشارت اليهم المصادر في هذا العصر لم يقتصروا في تعليم الاولاد القراءة والكتابة فحسب بل كانوا يعلمونهم الحساب فقد ورد عن ابو الرضا محمد بن احمد المودب المعروف بالمفيد الحاسب (ت ٥٨٢) انه كان يسكن بالقرية من دار الخلافة وله مكتب هناك لتعليم الصبيان الخط والحساب (١). ومن المحتمل انهم كانوا يعلمونهم الى جانب القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة لان اكثر هؤلاء من كانت لهم معرفة بالنحو واللغة (٢).

د - الدور :

استمرت دور العلماء الخاصة من اتخذ منها مكانا للدرس في نشر الثقافة والفكر ، قد اتخذ المحدث الفقيه ابو بكر محمد بن عبد الحسين الارموي (ت ٥٤٧ هـ) بيته مكانا لسماع الحديث (٣) . كما اتخذ المقرئ المعروف بالجليني احمد بن ابي غالب بن سمجون (ت ٥٥٤ هـ) من داره مجلسا للاقرار يوسيا (٤) . وقد جعل النحوي ابو البركات عبد الرحمن بن عبد الله الانباري (ت ٥٧٧ هـ) من بيته الذي انقطع فيه مكانا لتدريس النحو والادب

(١) ابن الدبيثي ، ذيل ، مجلد ١ : ١٢٢ . الصفدي ، الوافي ، ١ : ١١٤ .

(٢) انظر ابن الدبيثي ، ذيل ، مجلد ١ : ١٢٢ ، ١٧١ ، ج ١ ق ٢ ورقة ١٦٠ .

الاصفهاني ، الخريدة ، ج ٣ م ١ ، ص ٣٢٩ ، ج ٤ م ١ : ١٢ . ابن الانباري ، نزهة الالياء ، ص ٢٦٨ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٤ : ٢٧٢ .

(٣) سمع من السمعاني سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م عند مجيئه الى بغداد ، انظر الانساب ، ٢٦ : ٤٩٦ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ : ٩٨ .

((واقرأ الناس العلم على طريقة شديدة وسيرة جميلة)) (١) . ويذكر السمعاني أثناء زيارته لبغداد سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م انه سمع من المحدث شـهـدـه الكاتبة (ت ٥٧٤ هـ) وكتب عنها في دارها برحبة الجامع ببغداد (٢) .

وسبدو ان دور الوزراء وكبار رجال الدولة قد اسهمت اسهاما كبيرا في اغناء الحركة الثقافية والعلمية في هذا العصر ، فقد جعلوا من دورهم مجالس يلتقي فيها العلماء والفقهاء والمحدثون والشعراء والادباء (٣) .

هـ - الربط :

لم يقتصر دور الربط على التعمد والتزهد بل اصبحت المعاهد الثقافية التي كان لها الاثر الكبير في تنمية ونشر الثقافة ولاسيما الدينية منها (٤) . وقد حفلت هذه الربط في هذا العصر بنشاطات علمية من خلال اتخاذ العلماء وكبار المتفقيين من هذه الربط مكانا للموعظ وتعليم القرآن واسماع الحديث (٥) . كما اصبحت منازل لطلاب العلم والوافدين الى بغداد لسماع الحديث والتفقه ،

- (١) ابن الديلمي ، ذيل ، ج ٣ ورقة ٤٢ (م) . ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ٣٢٠ . القفطي ، ابناء الرواة ، ٢ : ١٧٠ .
- (٢) السمعاني ، الانساب ، ١٦ آ .
- (٣) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢١٥ . الدمياطي ، المستفاد ، ورقة ٨٠ . ابن الديلمي ، ذيل ، م ١ / ٢٢٧ . ابن خلكان ، وفيات ، ٣ : ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٦ : ٩٧ ، ١٠٥ ، ٢٧٧ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٤ ، ٢٣ ، ٦ : ٣٦١ - ٣٦٢ . الذهبي ، المختصر المحتاج ، ٣ : ٢١٩ ، ٢٤٨ .
- (٤) انظر عن دور الربط في الثقافة الاسلامية ، مصطفى جواد ، الربط الاسلامية ، مجلة سومر ، مجلد ١٠ سنة ١٩٥٤ ، ص ٢١٨ .
- (٥) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ج ١٠ ورقة ١٢٣ . ابن الديلمي ، ذيل ج ٢ ق ٢ ورقة ٨١ . ج ٣ ورقة ٨٩ ، ج ٣ ورقة ١٢٠ ، ومجلد ١ ، ص ٢٧٧ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٥ : ٣٥ . وج ١٤ : ٦٦ ، ٨٥ (مخطوط) .

فأبو سعد السمعاني سمع الحديث قرأ على الشيخ في هذه الربط ومنهم
أبو النجيب السهروردي وأبو الحسن محمد بن المظفر بن المسلمة^(١). كما
ذكر ابن الديلمي أن أبا الفضل محمد بن أحمد المعروف بسبط ابن الأغلاقي
(ت ٥٧٨ هـ) رحل من واسط مع أبيه سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م ونزل بربط
شيخ الشيخ وسمع الحديث به^(٢). كما أن عبد الباقي بن عبد الجبار
الحرفي الصوفي (ت ٦٠٠ هـ) ورد إلى بغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م وسكن
الرباط الأرجواني وسمع به سنين^(٣). وقد أكد أن ابن الجوزي سماعاً
للحديث في رباط بهروز الخادم على أحمد بن منصور الهمداني (ت ٥٣٦ هـ)
شيخ الرباط^(٤).

وقد حفلت هذه الربط بخزانات كتب ضخمة^(٥)، فقد جاء في ترجمة
أبي الحسن علي بن جعفر الخازن الصوفي النسابوري (ت ٥٧٢ هـ) أنه كان
يتولى خزن الكتب في رباط أبي سعد المخري ولما توفي أبو سعد رشح
ليكون مكانه فما تم له وبقي على خزانة الرباط إلى أن توفي^(٦).

-
- (١) السمعاني، الانساب، ورقة ٣١٨ ب، ٥٣٠. البنداري، تاريخ بغداد، ورقة ٧١.
(٢) ابن الديلمي، ذيل، م ١ : ١١٥.
(٣) ابن الديلمي، ذيل، ج ٣، ورقة ٨٩ وانظر ترجمته، المنذري، التكملة، ٣ : ٤.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ٩٩ - ١٠٠.
(٥) انظر ابن الديلمي، ذيل، ج ٣، ورقة ٨٠، ١٤٦. ابن النجار، التاريخ المجدد، ج ١٠ ق ٢، ورقة ١٥٣. ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٥ : ٢٧٣.
(٦) ابن النجار، التاريخ المجدد، ج ١٠ ق ٤، ورقة : ٣٩٤ (م).

وشهد هذا العصر بناء بعض الربط منها الرباط الذي بناه ثقة الدولة الى جانب المدرسة الثقتية ، كما ان ابا الحسن محمد بن المظفر بن المسلمة (ت ٥٤٢ هـ) جعل من داره التي في دار الخلافة رباطا للصوفية ، وكان قد ترك الدنيا وزهد وانقطع الى العيادة (١) . وانشأ شرف الدولة علي بن الحسن بن علي بن صدقة (ت ٥٥٤ هـ) رباطا عرف برباط الدرجة على دجلة بالجانب الغربي واعتزل فيه مع جماعة من الفقراء والصوفية وترك الولايات (٢) .

ويظهر من خلال هذه النصوص ان الدولة في هذا العصر لم تساهم في بناء هذه الربط بل ان معظم منشئها من كبار رجالات الدولة او من عوائل مشهورة بالخدمة بوظائف الدولة زهدوا بالحياة فصاحبوا الصوفية كبني المسلمة هني صدقة .

وقد تنوعت الدراسات في بغداد فشملت الحديث والفقه والقراءات واللغة والنحو والادب والتاريخ والطب وغيرها من العلوم الاخرى .

٢ - العلوم الدينية :

١ - القراءات :

اصبحت بغداد مركزا مهما لتدريس القرآن وعلومه المختلفة ، وقد برز عدد كبير من القراء من اسهموا في تطهير هذا الجانب العلمي من خلال

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٩ . البنداري ، تاريخ بغداد ، ورقة ٧١ . الصفدي ، العراق ، ٥ : ٣٥ .
- (٢) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ج ١٠ ق ٢ ورقة ٢١٠ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٥ : ١٢٨ ، الصفدي ، الوافي ، ج ١٢ ، ورقة ٢٦ (م) .

تصدرهم للافراء ووضعهم التصانيف والمؤلفات الكثيرة .

ومن هؤلاء القراء الشيخ ابو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون البغدادي (ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م) ، الذي كان اماما بارعا في علم القراءات^(١) . قرأ القرآن بالقراءات على عبد السيد بن عتاب وعلى جده عبد الملك بن احمد واجازه ابو محمد بن الجوهري^(٢) . وسمع الحديث من ابي المهدي وابن المسلمة وابن النور^(٣) . واجهد نفسه حتى اصبح رأسا يشار اليه في علم القراءات ، فصنف في ذلك عدة تصانيف منها ، ((المفتاح في القراءات العشر)) وكتاب ((الموضح في القراءات))^(٤) . سمع منه خلق كثير منهم ابن الجوزي والسمعاني وابن عساكر وغيرهم^(٥) .

وابو محمد عبد الله بن علي سبط ابي منصور الخطاط البغدادي (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) ، الذي انتهت اليه رئاسة القراءات علما وعلا فاصبح شيخ القراء^(٦) . وعلامة العصر والعالم المتفرد بعلم القرآن واقرائه^(٧) . قرأ

-
- (١) الذهبي ، معرفة القراء الكبار ١٦ : ٣٩٩ . ابن الجوزي ، غاية النهاية ، ٢ : ١٩٢ .
 - (٢) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٨ ورقة ٤٣٦ . ابن الجوزي ، غاية النهاية ، ٢ : ١٩٢ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٥ .
 - (٤) الذهبي ، معرفة القراء ، ١٥ : ٣٩٩ . وتاريخ الاسلام ، ج ٨ ورقة ٤٣٦ . ابن الجوزي ، غاية النهاية ، ٢ : ١٩٢ .
 - (٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١١٥ . الذهبي ، معرفة القراء ، ١٥ : ٣٩٩ . ابن الصابوني ، تكملة ، ص ٩ . ابن الغوطي ، تلخيص ، ج ٤ ق ٤ : ٧٩٢ . ابن الجوزي ، غاية النهاية ، ٢ : ١٩٢ .
 - (٦) الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٠٣ . ابن الجوزي ، غاية ، ١ : ٤٣٤ .
 - (٧) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٣ م ١ : ٢٥ .

القرآن على الشريف عبد القاهر العباسي وابن سوار وثابت بن بNDAR وسمع الحديث من الحسين بن منصور وابي منصور العكبري وطراد الزينبي^(١) . وقرأ كتاب سيبويه على ابي الكرم ابن فاخر وتغرد بروايته وباسانيده التي لم تكن لغيره^(٢) . وتصدر للاقراء في مسجد ابن جرادة وام الناس فيه ، وقصده اكابر العلماء وطلاب العلم وقرأ عليه عدد كبير ما لا يحصى منهم ابن سكينه ومحمد بن يوسف الغزنوي والسمعاني وابو اليمى الكندى وغيرهم^(٣) . وتردد عليه العماد الاصفهاني وسمع الحديث فجاز باجازه منه بجميع مسموعاته ومصنفاته^(٤) . وقصد صنف ابو محمد كتباً عديدة في علم القراءات منها كتاب ((المبهج في القراءات)) و ((الايجاز في القراءات السبع)) و ((تبصره المبتدى وتذكره المنتهى)) و ((قصيدة في القراءات)) و ((الكفاية في القراءات)) و كتاب ((الروضة)) و كتاب ((المؤيددة للسبعة))^(٥) .

-
- (١) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٢٢ . الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٠٣ . ابن الجوزى ، غايه ، ١٤ : ٤٣٤ .
- (٢) ابن الانبارى ، نزهة الالبا ، ٢٢٨ . القفطي ، انباء الرواء ، ٢ : ١٢٢ . الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٠٣ .
- (٣) السمعاني ، الانساب ، ٢١٤ ب . ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠٦ : ١٢٢ . الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٠٢ ، ٤٣٢ . ابن الجوزى ، غايه ، ١ : ٤٣٤ . ويذكر تلميذه ابن الانبارى انه قال له ذات يوم ((لو قلت : انه ليس مقرئ بالعراق الا وقد قرأ علي او علي جدى ... لكنت اظننسي صادق)) نزهة الالبا ، ص ٢٨٣ .
- (٤) الاصفهاني ، الخريدة ، ج ٣ ، ص ٢٥ .
- (٥) الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٠٤ . ابن الجوزى ، غايه ، ١ : ٤٣٤ . وانظر حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١ : ٢٠٦ ، ٢٣٨ . ٢ : ١٣٤٤ ، ١٤٩٩ ، ١٥٨٢ .

ومن كبار القراء في هذا العصر أبو الكرم المبارك بن الحسن بن أحمد الشهرزوري (ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) الذي انتهت إليه مشيخة الاقراء بالعراق بعد سبط ابن الخياط^(١). كان أحد الشيخ المشهورين بحفظ القراء وطرقها ومعرفة وجوهها^(٢). عارفا باختلاف الروايات^(٣). قرأ القرآن الكريم بالقراءات ببغداد على رزق الله التميمي وثابت بن بندار وغيرهم وسمع الحديث من طراد الزينبي ونصر بن البطر واسماعيل بن مسعدة^(٤). وتغرد بأسانيد العالية^(٥). ثم رحل الى دمشق وقرأ على الحسين بن الرهاوي وابسي الفرج الدينوري^(٦). وعاد الى بغداد وتصدر للاقراء فتتلمذ على يديه عدد كبير من شيخ القراء والوافدين الى بغداد منهم السمعاني وعمر بن بكرون ومحمد بن هارون الحلبي وابن سكينه وهبة الله الشيرازي^(٧). وكثير غيرهم^(٨).

- (١) الذهبي، معرفة القراء، ٢٥ : ٤١٣. وتذكره الحفاظ، ٤ : ١٢٩٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٤ : ١٥٧.
- (٢) الدماطي، المستفاد، ورقة ٦٧. ابن الجري، غاية، ٢ : ٣٩.
- (٣) السمعاني، الانساب، ٢٤١ ب. الذهبي، معرفة القراء، ٢ : ٤١٤.
- (٤) الدماطي، المستفاد، ورقة ٦٧. الذهبي، معرفة القراء، ٢ : ٤١٣. ابن الجري، غاية، ٢ : ٣٨.
- (٥) ابن حمدون، التذكرة، ج ١٢ ورقة ١٩٣.
- (٦) الذهبي، معرفة القراء، ٢ : ٤١٣.
- (٧) السمعاني، الانساب، ٢١٤ ب. الدماطي، المستفاد، ورقة ٦٧. الذهبي، معرفة القراء، ١٢ : ٤١٤. ابن الجري، غاية، ٢ : ٣٩.
- (٨) انظر على سبيل المثال، ابن الديلمي، ذيل، ج ١ ق ١ ورقة ١٦٩ وح ٢ ق ٢ ورقة ٤٢. وج ٣ ورقة ٧٦ (مخطوط) وم ٢ : ٢٥. ابسن المستوفي، تاريخ اربل، ١ : ٣٨. ٤١. ١٠٢. ١٨٢. ١٨٦. ١٨٧. وابن الصابوني، ٣٤٧.

وصف بأنه كان جيد الاخذ بيد الطلاب^(١)، وما يدل على سعة اطلاعه وتبحره بعلم القراءات وضعه كتاباً سماه ((المصباح الزاهر في العشرة البواهر))^(٢) اشار اليه ابن الجزري بقوله ((وهو من احسن ما ألفني هذا العلم وقد قرأته على الشيخ عمر بن الحسن))^(٣) وله كتاب آخر اسمه ((الذخائر))^(٤).

ومن كبار القراء في هذا العصر علي بن عساكر بن المرحب البطائحي (ت ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م) الذي وصف بأنه شيخ القراء، واحد ائمه فقي العراق^(٥). كان اماماً في علم القراءات ووجوهها وعللها وطرقها، حسن الاتقان والاداء^(٦). قدم الى بغداد من البطائح وحفظ القرآن وقرأه بالقراءات على ابي العز القلانسي وابن البارح وابو محمد عبد الله سبط ابن الخياط^(٧). وقرأ الادب على عمر بن ابراهيم بالكوفة^(٨). ثم تصدر للاقراء بجامعة المنصور حيث كانت له حلقة هناك لاسماع القرآن في كل جمعة^(٩). وظل يقرأ الناس القرآن

-
- (١) الدمياطي، المستفاد، ورقة ٦٧.
 - (٢) الذهبي، معرفة القراء، ٤١٣: ٢، وسماء السمعاني بالمصباح، الانساب، ٢٤١ ب. ابن الجزري، غاية النهاية، ٢: ٣٩، وسماء الدمياطي، المصباح في القراءات الصحاح، المستفاد، ورقة ٦٧.
 - (٣) ابن الجزري، غاية، ٢: ٣٩.
 - (٤) انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢: ١٧٠٦، وعمر رضا كحاله، معجم المؤلفين، ٨: ١٧١.
 - (٥) الذهبي، معرفة القراء، ٤٣٤: ٢، ابن الجزري، غاية، ١: ٥٥٦.
 - (٦) ابن رجب، ذيل، ٣٣٦: ١، نقلاً عن ابن النجار، الصفدي، نكت الهميان، ٢١٤، السيوطي، بغية الوعاة، ٣٤٣.
 - (٧) ابن الدبيثي، ذيل، ح ٣، ورقة ١٥٠، القفطي، انباء الرواة، ٢: ٢٩٨، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٥: ٢٧٣، الذهبي، معرفة القراء، ٤٣٤: ٢، ابن الجزري، غاية، ١: ٥٥٦.
 - (٨) ابن الدبيثي، ذيل، ح ٣، ورقة ١٥٠، الذهبي، معرفة القراء، ٤٣٤: ٢.
 - (٩) ابن الدبيثي، ذيل، ح ٣، ورقة ١٥٠.

الكريم وعلومه سنين طويلة حتى تتلمذ على يديه عدد كبير من علماء القراءان وطلابه منهم عبد العزيز بن دلف ومحمد بن القاسم وعلي بن ابي القاسم وعلي بن هبة الله الجميري وعون الدين بن هبيرة وزير المقتفي^(١).

ومما يؤكده سعة اطلاع بن المرحب ومعرفة له علوم القراءات انه انكر على احد شيخ القراء - وهو مسعود بن الحسين بن المظفر الشيباني (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م)^(٢) الذي كان الوزير ابن هبيرة قد سمع عنه - سماعه عن ابي طاهر ابن سوار^(٣) ، وذلك في احدى مجالس الوزير الذي جمع فيها كبار شيخ القراء لسماع مصنفه ((الافصاح)) والذي يذكر فيه سماعه عن ابن سوار عن مسعود الشيباني ، فكثرت اللفظ والمناقشات فارسل اليهما الوزير وتحاججا بحضوره ، فاثبت ابن هبيرة صحة افكاره على مسعود الشيباني وضح ما وجد في كتابه وخلع عليه واصبح يقرأ على البطائحي واسند عنه القراءات^(٤).

ولم يقتصر معرفة ابن البطائحي على علم القراءات فحسب بل كانت له معرفة جيدة بالنحو وافاد الناس به اضافة الى علوم القرآن^(٥) . وقد صنّف

- (١) ابن الديبشي ، ذيل حد ٣ ورقة ١٥٠ . الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٣٤ .
الصفدي ، نكت ، ٢١٨ . ابن الجوزي ، غاية ، ١ : ٥٥٦ .
- (٢) احد كبار القراء قدم بغداد من الحلة سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م وقرأ القرآن على ابي العز القلانسي وسمع الحديث حتى اصبح احد حذاق القراء ، قرأ عليه جماعة كثيرة ، انظر ترجمته الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ١٨٧ .
ومعرفة القراء ، ٢ : ٤٣٠ . ابن الجوزي ، غاية ، ٢ : ٢٩٥ .
- (٣) هو احمد بن علي ابن سوار (ت ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م) احد شيخ القراء وحذاقها ، قرأ القرآن بالقراءات وسمع الحديث ورواه ، الف كتابا بالقراءات منها كتابا المستتير ، انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩ : ١٣٥ . ياقوت الحموي معجم الادباء ، ١٥ : ٤١٣ . الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٣٦٢ .
- (٤) انظر تفاصيل ذلك ، الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٣٠ - ٤٣٢ . ابن الجوزي ، غاية ، ٢ : ٢٩٥ . وابن رجب ، ذيل ، ١ : ٣٣٦ - ٣٣٧ .
- (٥) ابن الديبشي ، ذيل حد ٣ ورقة ١٥٠ . القفطي ، انباء الرواة ، ٢ : ٢٩٨ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٥ : ٢٧٣ .

كتاباً في علم القراءات لم يذكر المؤرخون اسمه (١) .
 وإضافة إلى هؤلاء ، فقد أشارت المصادر إلى عدد آخر من القراء في
 فترة دراستنا (٢) .

بـ الحديث :

اهتم العلماء المحدثون بعلم الحديث في هذه الفترة شأنها شأن
 الفترات التي سبقتها ، فازدهر هذا العلم ووضعت التصانيف والمؤلفات ، فهذا
 يحيى بن هبيرة الوزير يصنف كتاباً يشرح فيه صحيح مسلم والنجاشي سماه
 ((الافصاح)) ووضعه في عدة مجلدات ويقال انه انفق عليه مائة الف دينار (٢) .
 ويبدو انه اراد ان يجعل من كتابه هذا منهجاً لتحفيظ الحديث . فقصده
 ((رتب لحفظه الفا وثمانمائة طالب وجعل لهم مائة واربعين معيداً لتحفيظهم
 حتى لم يبق مسجد ولا مدرسة الا ويلقى فيها درس منه ، وبعد حفظ الطلبة
 لدروسهم يحضرون مع معيديهم في حضرة الوزير فيقرأون من حفظهم فيوصل

-
- (١) الذهبي ، معرفة القراء ، ٢ : ٤٣٤ . ابن الجزري ، غاية ، ١ : ٥٥٦ .
 (٢) انظر ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١ ق ٢ ورقة ١٣٨ . ابن
 الدبيثي ، ذيل ، م ١ : ١٠٢ ، ح ١ ق ١ ورقة ١٢٠ ، ح ١ ق ٢ ورقة ١٩٨ ،
 وح ٣ ورقة ٦١ . الذهبي ، معرفة القراء ، ح ١ : ٣٩٦ ، ح ٢ : ٤٠٧ ،
 ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ . الصفدي ، نكت ، ١٠٥ : ٣٠٦ . والوافي
 بالوفيات ، ح ٥ : ٣٢ ، ٥٢ . وح ٧ : ٦٨ و ٨ ورقة ٥٤ (م) وح ١١
 ورقة ٦٥ ، ٦٦ ، ١١٤ (م) . ابن الجزري ، غاية ، ح ١ : ١١٧ ، ٢٨٠ .
 ٣٣١ ، ٤٨١ ، ٥٩٣ . وح ٢ : ٨٤ ، ١٣٧ ، ٢٩٦ ، ٤٠٢ . ابن
 رجب ، ذيل ، ١ : ٢٣٦ .
 (٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ : ٢٧٧ . ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٥٢ .
 ابن الفوطي ، تلخيص ح ٤ ق ٢ ، ٩٨٨ . الدمياطي ، المستفاد ،
 ورقة ٨٠ .

اليهم من البار والانعام ما يدهش سائر الانام (((١) .

وقد ظهرت نخبة من علماء الحديث في هذا العصر منهم ابراهيم
البركات عبد الوهاب بن المبارك بن احمد الانماطي (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م)
محدث بغداد ، وحافظ عصره (٢) . سمع من كبار شيخ الحديث كأيي محمد
الصرفيني وابن البصري وابن النفور وطراد الزينبي ، وابو القاسم الانماطي
وابن بNDAR وغيرهم (٣) . حتى ((جمع الفوائد وخرج التخریج وما بقي جزء
مروى الا وقد قرأه وحصل نسخته (٤) . واصبح من اكثر الشيخ سماعا وكتابة
للحديث والمعرفة به (٥) . وتفرغ للتحدث لمن يطلبه ، فكان يجلس طوال
النهار ، فاسمع الكثير منهم محمد بن ناصر السلاوي وابن عساكر وابن سـكينة
وابن الجوزي والسمعاني الذي قرأ عليه الجعديات ومسند يعقوب السدوسي (٦) .
كان يأنفان يأخذ اجرا على التعليم ويعيب على من يفعل ذلك ويقول ((علم
مجانا كما علمت مجانا)) (٧) .

-
- (١) الديماطي ، ورقة ٨١ .
 - (٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ / ١٢٨٢ . ابن رجب ، ١ : ٢٠١ .
 - (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٠٨ . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٢٨٢ .
ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٠١ .
 - (٤) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ٢ ورقة ١٣٦ . الذهبي ، تذكرة
الحفاظ ، ٤ : ١٢٨٢ .
 - (٥) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ٢ ورقة ١٣٦ . ابن الجوزي
، مناقب احمد بن حنبل ، ٥٢٩ .
 - (٦) ابن الجوزي ، ١٠ : ١٠٨ . سبط ابن الجوزي ، مرآة ، ٨ : ٢٢٩ .
الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٢٨٣ . ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٠٣ . ابن
النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ٢ ورقة ١٣٦ .
 - (٧) ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٠٣ .

وابو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي (ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) الذي وصف بأنه اسند من بقي ببغداد (١). كان اماما متدينا ثقة صالحا حسن الكلام صحيح الحديث (٢). سمع الحديث من ابن المسلمة وابي الغنائم بن المأمون وتغرد بالسماع عنهم (٣). وابي بكر الخياط ونصر الزينبي وابن النور وغيرهم (٤). سمع منه ابن الجوزي والسمعاني وابو طاهر السلفي وابن عساكر (٥).

وابو الفضل محمد بن ناصر بن محمد السلامي (ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) حافظ عصره (٦) ومحدث العراق (٧) كان مقدم اصحاب الحديث في وقته ببغداد (٨). له معرفة تامة بالمتون والاسانيد (٩). خبير برجال الحديث في زمانه، يتكلم فيهم بالجرح والتعديل (١٠). سمع الحديث من ابن البسري

- (١) السبكي، طبقات، ٤ : ٩٢.
- (٢) الدمياطي، المستفاد، ورقة ١٢ (م). الصفدي، الوافي، ٤ : ٢٤٥.
- الاسنوي، طبقات، ١ : ٤١٢. السبكي، ٤ : ٩٢.
- (٣) السمعي، الانساب، ٢٧ : ٢.
- (٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١ : ١٥٩. السبكي، طبقات، ٤ : ٩٢.
- (٥) السمعي، الانساب، ٢٧ : ٢. ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ١٤٩. الصفدي الوافي، ٤ : ٢٤٥. الاسنوي، طبقات، ١ : ١١٢. ابن الفوطي، تلخيص، ٤ : ١٤٥. ٢٢ : ٧٢، ١٩٦، ٥٧٣، ٥٥١.
- (٦) السمعي، الانساب، ٢٣٢٠ : ٢. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣ : ٤٢٠.
- (٧) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤ : ١٢٨٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤ : ١٥٥.
- (٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤ : ١٢٩١. ابن رجب، ذيل، ١ : ٢٢٦.
- (٩) السمعي، الانساب، ٢٣٢٠ : ٢. البنداري، تاريخ بغداد، ورقة ٨٤ (م). الدمياطي، المستفاد، ورقة ١٤. ابن حمدون، التذكرة، ١٢ : ١٢٣ (م).
- (١٠) القفطي، انباء الرواء، ٣ : ٢٢٢.

ورزق الله التميمي والبانياسي وبالغ في طلب الحديث حتى برع بهذا الفن (١) .
 وقرأ الادب على ابي زكريا القنبري (٢) . حدث بمسوغاته واحلى الحديث واستحلى
 الاشياخ وخرج لهم التواريخ الكثيرة وتكلم بالاسانيد ومعاني الاحاديث
 وفقهها (٣) . سمع منه ابو طاهر السلفي وابن عساكر وابن موسى المدايني
 وابن الاخضر وابن سكينه والوزير عون الدين بن هبيرة (٤) . والسمعاني (٥) .
 وابن الجوزي (٦) . والعماد الاصبهاني الذي حصل منه على اجازة اثنى
 وجوده ببغداد (٧) . ومن تصانيفه ((الامالي)) في الحديث ومناقب الامام
 احمد بن حنبل ، وما أخذ على الغربيين للهرودي في اللغة (٨) .

وابو الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد بن البطي البغدادي
 (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) مسند بغداد (٩) ومحدثها (١٠) كان من اســند
 اقرانه في زمانه (١١) وبه ختم الاسناد (١٢) سمع الحديث من رزق الله التميمي

-
- (١) السمعاني، الانساب، ٢٣٢٠ . البنداري، تاريخ بغداد ، ورقة ٨٤ (م) .
 الدماطي، المستفاد ، ورقة ١٤ . ابن الجوزي، المنتظم ، ١٠ : ١٦٢ .
 الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٢٨٩ .
 (٢) القفطي ، انباء الرواة ، ٣٥ : ٢٢٢ . ابن خلكان ، وفیات ، ٣ : ٤٢٠ .
 (٣) و (٤) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٢٨٩ ، ١٢٩٢ .
 (٥) السمعاني ، الانساب ، ٢٣٢٠ . البنداري ، تاريخ بغداد ، ورقة ٨٤ .
 (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٦٢ .
 (٧) الاصبهاني ، الخريدة ، ح ٣ م ١ : ٢٨٤ ، ح ٤ م ١ : ٣٤٤ ، ح ٤ م ٢ : ٤٢٨ .
 (٨) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١ : ١٦٣ ، البغدادي ، هداية العارفين ،
 ٢ : ٩٢ (استانبول ، ١٩٥٥) ط ٣ .
 (٩) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٣٢١ . الصفدي ، الوافي ، ٣ : ٢٠٩ ،
 نقلا عن ابن النجار .
 (١٠) الدماطي ، المستفاد ، ورقة ٨ .
 (١١) ابن الدبيثي ، ذيل ، م ٢ : ٢٢ .
 (١٢) الدماطي ، المستفاد ، ورقة ٨ . الصفدي ، الوافي ، ٣ : ٢٠٩ .

وعبد الواحد بن مهند وابن الباناسي وابن خيرون وغيرها (١) . واجازه
ابو نصر الزينبي (٢) . وجلس للناس متخذاً من بيته مجلساً لاسماع الحديث
فقصده الناس (٣) من واسط والموصل وغيرها من البلاد (٤) . روى عنه
جملة من الحفاظ الاكابر (٥) كالسمعاني وابن الجوزي وغيرهم (٦) .

ومن كبار المحدثين فخر النساء شهده بنت احمد بن الفرج الابري
(ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) مسند العراق (٧) . سمعت الحديث الكثير منذ الصغر
وغني بها ابوها واحضرها مجالس السماع لكبار شيوخ الحديث ومنهم الزينبي
واحمد بن عبد القادر والنعماني وابن البطر وثابت بن بندار (٨) . وسمعت
فخر الاسلام ابو بكر الشاشي (٩) . وعاشت مخالطة لأهل العلم واشتهر
ذكرها بعد صيتها حتى صارت اسند اهل زمانها (١٠) . وقرئ عليها الحديث

-
- (١) الديماطي ، المستفاد ، ورقة ٨ - ٩ . ابن الديبشي ، ذيل ٢٥ : ٧١ ،
السمعاني ، الانساب ٦٨٥ .
 - (٢) ابن الديبشي ، ذيل ٢٥ : ٧٢ .
 - (٣) الصفدي ، الوافي ، ٣ : ٢٠٩ .
 - (٤) ابن الديبشي ، ذيل ٢٥ : ٧٢ .
 - (٥) الديماطي ، المستفاد ، ورقة ٩ .
 - (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٢٩ . ابن الديبشي ، ذيل ٢٥ : ٧٢ .
الصفدي ، ٣ : ٢٠٩ . ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ص ١ : ٤٨١ ، ٤٧١ ،
ق ٣ : ٢٢٣ ، ق ٤ : ٧٨٢ ، ٨٤١ .
 - (٧) الصفدي ، الوافي ، ح ١٤ ورقة ٤٤ (م) . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ٢٢٠ .
 - (٨) ابن الجوزي ، المشيخة ، ٢٠٨ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ٢٦٤ .
 - ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ١٧٢ . السمعاني ، الانساب ٦١٧ .
 - (٩) ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ١٧٢ .
 - (١٠) الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ٢٦٤ . الصفدي ، الوافي ،
ح ١٤ ورقة ٤٤ (م) .

وسمع منها عدد كبير من كبار شيوخ الحديث وطلاب العلم كالسمعاني^(١) وابن عساكر الحافظ والموفق بن قدامة والرهاوي وابن سكينه وغيرهم^(٢). وقد اقتصت بالخليفة المقتفي الذي كانت لها قربة به^(٣) ويبدو ان مكانتها العلمية بين العلماء والناس قد بان يوم وفاتها حيث ((صلى عليها بجامع القصر وازيل شبك المقصورة لأجلها وحضرها خلق كثير وطامة العلماء))^(٤).

ج - الفقه :

كان تأسيس المدارس النظامية في العراق والمشرق وما تبعها من مدارس اخرى ايدانا بازدهار علم الفقه ، وقد اشارت المصادر الى اعداد كبيرة من علماء الفقه سواء منهم من تولى التدريس بهذه المدارس او ممن تلقى العلم وتلمذ فيها . وفي هذا العصر برز عدد من الفقهاء أثروا الفقه الاسلامي بكثرة تصانيفهم ، منهم ابو الحسن محمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله المعروف بأبن الخل (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) الشافعي ، شيخ فقهاء بغداد^(٥) . واحد الائمة الفقهاء المشار اليهم في العراق^(٦) . سمع الحديث من كبار

- (١) السمعاني ، الانساب ، ١٧٠ آ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ١٥ : ٢٦٤ .
- (٢) الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ٢٦٤ ، وانظر على سبيل المثال ابن المستوفي ، تاريخ آريل ، ١ / ٩٨ ، ١٣٢ ، ١٧٤ ، ٢٢٥ ، ٣٩٨ . ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢١٩ . المنذرى ، التكملة ، م ٢ : ٥٤ ، ١١١ ، م ٣ : ١٠ ، ٧٠ ، ٢١٨ ، م ٤ : ٩٠ ، ٢٧٠ . ابن الصابوني ، تكملة ، ٨٤ ، ٩٧٤ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥ .
- (٣) السمعاني ، الانساب ، ١٧٠ آ . الصفدي ، الوافي ، ح ١٤ ، ورقة ٤٤ (م) .
- (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٨٠ .
- (٥) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ ، ورقة ١٩٣ (م) .
- (٦) الدماطي ، المستفاد ، ورقة ١٣ . ابن الصلاح الشهرزوري ، طبقات الشافعية ، ورقة ٢١ .

محدثي عصره كآبي عبد الله النعالي وابن البطر وثابت بن بNDAR وابن البصري
وابو الحسين الطيوري وغيرهم^(١) . وتفقه بالمذهب الشافعي على فخر الاسلام
ابو بكر الشاشي وتلمذ عليه حتى برع في هذا العلم ، واصبح ذا يد باسطة
في النظر بالمسائل الخلافية ، وتفرّد بالفتوى في المسائل السرجية التي تلقاها
من شيخه^(٢) . وجلس للناس في مسجده الذي برجة القصر متخذاً منه مكاناً
للدروس والفتوى^(٣) . فتتلمذ على يديه كثير من الفقهاء وطلاب العلم والوافدين
الى بغداد للدروس والتفقه^(٤) . وقد عين مدرسا للمدرسة الكمالية عند
افتتاحها كما مر سابقا .

ويبدو ان براعته في الفقه وحسن سيرته قد جعلت الخليفة يتخذ
اماماً للصلاة به بعد وفاة ابن الجواليقي^(٥) . وقد وضع ابن الخل تصانيف
عديدة من الفقه منها شرح التنبيه للشيرازي سماه ((توجيه التنبيه)) وضعه
في مجلدين وهو اول شرح وضع على هذا الكتاب^(٦) وكتاباً آخر في اصول
الفقه^(٧) .

ومن علماء الفقه الشافعي ابو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بNDAR

- (١) الديماضي ، المستفاد ، ورقة ١٣ . ابن خلكان ، وفيات ، ٣ : ٣٦٢ . السبكي
، طبقات ، ٤ : ٩٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١ : ١٨٥ . ابن الصلاح
الشهرزوري ، طبقات ، ورقة ٢١ (م) .
- (٢) ابن خلكان ، وفيات ، ٣ : ٣٦٢ . الصفدي ، الوافي ، ٤ : ٣٨١ . ابن قاضي
شهيه ، طبقات الشافعية ، ١ : ٣٦٨ . الاسنوي ، طبقات ، ١ : ٤٨٧ .
- (٣) ابن خلكان ، وفيات ، ٣ : ٣٦٢ .
- (٤) انظر على سبيل المثال ، ابن الديبشي ، م ١ : ١٩٦ ، ٢١٢ . ابن المستوفي
١ : ١٣٤ . المنذري ، التكملة ، ١ : ٤٠٠ ، ٢ : ١٦٥ . ابن الصابونسي ،
تكملة ، ٤٥ ، ٢٩٧ .
- (٥) ابن حمدون ، التذكرة ، ح ١٢ . ورقة ١٩٣ . الديماضي ، المستفاد ، ورقة ١٣ .
- (٦) الديماضي ، المستفاد ، ورقة ١٣ . ابن خلكان ، وفيات ، ٣ : ٣٦٢ . السبكي
، طبقات ، ٤ : ٩٦ . الاسنوي ، طبقات ، ١ : ٤٨٧ .
- (٧) الاسنوي ، طبقات ، ١ : ٤٨٧ . ابن قاضي شهيه ، طبقات ، ١ : ٣٦٨ .

الدمشقي (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٢ م) الذي وصف بأنه كان انظر اهل زمانه في الفقه (١). انتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي بالعراق (٢). قدم بغداد في حدائته وسمع الحديث من ابي البركات ابن النجاري وابي بكر محمد الانصاري وابي منصور القزاز وغيرهم (٣). وتفقّه بالمدرسة النظامية على الامام اسعد الميهني ولازمه مدة طويلة وتكلم بين يديه بالمسائل، حتى برع في الفقه والخلاف والاصول والكلام (٤). واعاد عنده بالنظامية (٥). وعين مدرسا للفقه بالمدرسة الثقتية سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) ثم عين سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م مدرسا بالمدرسة النظامية (٦). تفقه على يديه الكثير من طلاب العلم ممن درسوا بالمدرستين النظامية والثقتية اثناء تدريسه فيهما (٧).

وابو الحسن علي بن الحسن عن علي الفقيه الشافعي المعروف بأبـن الرميـلي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) الذي كان عالما بالفقه والمناظرة والفتوى (٨).

-
- (١) الذهبي، المختصر المحتاج اليه، ٣ : ٢٣٣ .
 - (٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢ : ٤٧٠ . الاسنوي، طبقات، ١ : ٦٤ . ابن قاضي شهبه، طبقات، ٢ : ٢٤ .
 - (٣) الذهبي، المختصر المحتاج اليه، ٣ : ٢٣٣ . ابن الصابوني، تكملة، ٢٤ - ٢٥ .
 - (٤) الذهبي، المختصر المحتاج اليه، ٣ : ٢٣٣ . ابن الصابوني، تكملة، ٢٥ . المنذري، التكملة، ٣ : ١٠ . الاسنوي، طبقات، ١ : ٥٤٠ .
 - (٥) الاسنوي، طبقات، ١ : ٥٤٠ . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤ : ٤٧٠ .
 - (٦) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ١١٥ ، ١٤٢ .
 - (٧) انظر ابن الديبشي، ذيل، ح ١ ق ٢ ورقة ١٧٦ . ح ٣ ورقة ١٩٦ . ابن المعتوق، تاريخ اربل، ١ : ٣٦٨ . ابن الصابوني، تكملة، ٣٧٠ . ابن الفوطي، تلخيص، ح ٤ ق ١ ٣٣٩ ، ٥٧٩ .
 - (٨) ابن النجار، التواريخ المجدد، ح ١٠ ق ٤ ورقة ٤١٩ . ابن الديبشي، ذيل، ح ٣ ورقة ١٣٥ .

عارفا بالاصول ، وله تعليقة خاصة به في الخلاف^(١) . تفقه بالمدرسة النظامية على الفقيه يوسف الدمشقي واخذ الاصول من ابي الحسن الابنوسي^(٢) . وسمع الحديث من يوسف الارموي وابن الصباغ ومحمد بن طراد الزينبي^(٣) . وحفظ اللغة والنحو حتى اصبح احد المعيدين بالنظامية والمتولي لأوقافها ، وقد عد ابو الحسن احد المرشحين لتولي التدريس بالنظامية^(٤) . او على الاقل منصب قاضي القضاة الا ان وفاته حالت دون ذلك^(٥) .

ومن اشهر علماء الفقه الحنبلي ابو الحكيم ابراهيم بن دينار بن احمد النهرواني البغدادي (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م) الذي وصف بأنه كان من العلماء العاملين بالعلم^(٦) . حسن المعرفة بالفقه والمناظرة والفرائض والخلاف^(٧) سمع الحديث من ابن العلاف وابي الخطاب الكلوزاني وابن الحصين وتفقه بالمذهب على ابي سعد بن حمزة^(٨) . وابتنى له مدرسة بباب الانج لتدريس الفقه الحنبلي

- (١) ابن النجار ، ح ١٠ ق ٤ ، ورقة ٤١٩ ، الصفدي ، الوافي ، ح ١٢ ورقة ٢٦ (م) . السبكي ، طبقات ٤ : ٢٧٢ .
- (٢) السبكي ، طبقات ٤ : ٢٧٢ . الاسنوي ، طبقات ١ : ٥٨٩ . السيوطي ، بغية الوعاة ، ٣٣٢ .
- (٣) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ٤ ، ورقة ٤١٩ . ابن الديبشي ، ذيل ، ح ٣ ورقة ١٣٥ .
- (٤) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ٤ ، ورقة ٤١٩ . ابن الديبشي ، ذيل ، ورقة ١٣٥ . الصفدي ، الوافي ، ح ١٢ ورقة ٢٦ (م) . الاسنوي ، طبقات ، ١ : ٥٨٩ .
- (٥) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ٤ ، ورقة ٤١٩ . ابن الديبشي ، ذيل ، ح ٣ ورقة ١٣٥ .
- (٦) ابن الجوزي ، مناقب احمد بن حنبل ، ٥٣٢ ، ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٣٩ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠١ . ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ق ١ ورقة ١٨٨ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ : ٣٢٧ .
- (٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠١ . ابن الديبشي ، ذيل ، ح ١ ق ١ ورقة ١٨٨ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ : ٣٢٧ .

واقام فيها ، وافتى وحدث ودرس زمنا (١) . قرأ عليه الكثيرون وانتفعوا بعلمه منهم ابن الجوزي الذي قرأ عليه القرآن ودرس المذهب والفرائض (٢) . والسامري صاحب كتاب المستوعب الذي استفاد منه في تصانيفه (٣) .

وقد وضع ابو الحكيم النهرواني عدة تصانيف في الفقه منها كتاب ((شرح الهداية)) كتب فيه تسع مجلدات وحالت وفاته دون اكماله (٤) .

ومن علماء الفقه الحنفي ابو الحصل شجاع بن الحسن بن الفضل البغدادي (ت ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م) احد شيخ الحنفية وفقهائها المميزين (٥) . كان عالما بالمذهب والخلاف متدينا حسن الطريقة (٦) . جيد الكلام في النظر ، درس في مدرسة ابي حنيفة وتفقه عليه جماعته (٧) . منهم آينه عبد الرحمن الذي تولى التدريس بمدرسة ابي حنيفة سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٢ م) نيابة عن المدرسين (٨) . روى شيئا من الاناشيد عن الشريف ابي طالب الزيني والكيلا الهراسي وقرأ عليه ابو المحاسن عمر القرشي الدمشقي (٩) .

-
- (١) ابن رجب ، ذيل ، ٢٣٩ : ١ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ : ٣٢٧ .
 - (٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠١ .
 - (٣) ابن رجب ، ذيل ، ٢٣٩ : ١ . وانظر ابن الدبيثي ، م ٢ : ٢٧ و ح ٢ ق ١ ، ورقة ٩٠ وابن الصابوني ، تكملة ، ص ٣١٤ .
 - (٤) ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٤٠ .
 - (٥) ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ٢ ق ٢ ، ورقة ٧٦ . المنذري ، التكملة ، وفيقات ، م ٤ : ٣٣ .
 - (٦) القرشي ، الجواهر المضيئة ، ١ : ٢٥٥ . وسماء ابو الغنائم (نقلا عن ابن النجار) .
 - (٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠٤ . ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ٢ ق ٢ ، ورقة ٧٦ .
 - (٨) المنذري ، التكملة ، م ٤ : ٣٣ ، ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ق ١ : ١٩٧ .
 - (٩) القرشي ، الجواهر ، ١ : ٢٥٥ .

كما اتخذ حلقة بجامع القصر لتدريس العلوم العربية في ايام الجمع بعد الصلاة^(١) . قرأ عليه الكثيرون وتلمذ له عدد كبير منهم السمعاني السدي ذكر بأنه قرأ عليه غريب الحديث وامالي الصولي^(٢) . وابن الجوزي وابن الانباري ابو البركات^(٣) .

عني ابن الجواليقي بتهذيب اللغة العربية من اضرار العامة ومنسب في ذلك كتابا سماه ((التكملة فيما تلحن فيه العامة)) وهو تنمة لكتاب درة الفواص الذي صنعه الحريري صاحب المقامات المشهورة ، كما صنف كتابا آخر سماه ((المعرب من الكلام الاعجمي))^(٤) وهو معجم لغوي للالفاظ الدخيلة على العربية وصفه تلميذه ابن الانباري بأنه كتاب ((لم يعمل في جنسه اكبر منه))^(٥) .

اما ابو السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) فقد وصف بأنه فريد عصره ووحيد دهره في علم النحو^(٦) . امام في معرفة اللغة واشعار العرب وایامها واحوالها^(٧) . قال عنه تلميذه

-
- (١) ابن الانباري ، نزهة الالباء ، ٢٧٧ ، القفطي ، ابناء الرواء ، ٣ : ٣٣٦ .
 - (٢) السمعاني ، الانساب ، ١٣٩ .
 - (٣) ابن الانباري ، نزهة الالباء ، ٢٧٧ ، القفطي ، ابناء الرواء ، ٣ : ٣٣٦ .
 - (٤) الديماطي ، المستفاد ، ورقة ٧٢ ، الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ١٩٩ .
 - (٥) القفطي ، ابناء الرواء ، ٣ : ٣٣٥ . ابن خلكان ، وفيات ، ٤ : ٤٢٤ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ١٩٩ .
 - (٦) ابن الانباري ، نزهة الالباء ، ٢٧٧ .
 - (٧) ابن الانباري ، نزهة الالباء ، ٢٨٤ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ٢٤٧ .
 - (٨) ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ٩٦ . الديماطي ، المستفاد ، ورقة ٧٧ . ابن ابي عذينة ، تاريخ ، ٤ : ٢٩١ .

ابو البركات ابن الانباري ((كان انحنى من رأينا من علماء العربية . . وآخر من شاهدناه من حذاقهم واكابرهم)) (١) . سمع الحديث من كبار المحدثين كابن الصيرفي وابن الطيوري (٢) وقرأ الادب على الخطيب التبريزي وسعيد السلاسي وابي المعمر العلوي (٣) . حتى برع فأقرأ الناس النحو اكثر من سبعين سنة (٤) . فانتفع بعلمه جماعة كبيرة وتلمذ على يديه الكثيرون (٥) .

صنف عدة تصانيف من النحو والادب منها كتاب ((الامالي)) وهو من اكبر تصانيفه وامتعتها املاء في اربعة وثمانين مجلسا (٧) .

وابو محمد عبد الله بن احمد بن عبد الله المعروف بابن الخشاب (هـ ٥٦٨ / ١١٧٢ م) الذي قيل عنه انه كان اعلم اهل زمانه بكلام العرب واعرفهم بالنحو واللغة والتفسير والحديث (٨) . سمع الحديث من مشايخ وقته

-
- (١) ابن الانباري، نزهة الالباء، ٢٨٥، ولد ابن الانباري سنة ٥١٣ هـ وتوفي سنة ٥٧٧ هـ .
 - (٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠: ١٣٠ . القفطي، انباء الرواء، ٣: ٣٥٦ .
الدمياطي، المستفاد، ورقة ٧٧ .
 - (٣) ابن الانباري، نزهة الالباء، ٢٨٤ . السيوطي، بغية الوعاة، ٤٠٧ .
 - (٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٧: ٢٤٧ .
 - (٥) الاصبهاني، الخريدة، ح ٣ م ١: ٥٣ .
 - (٦) انظر عن تصانيفه العديدة، القفطي، انباء الرواء، ٣: ٣٥٧ . ابن خلكان، وفيات، ٥: ٩٦ . ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٧: ٢٤٨ .
الخوانساري، روضات الجنان، ٨: ١٩١ . السيوطي، بغية، ٤٠٨ .
 - (٧) ابن الانباري، نزهة الالباء، ٢٨٤ . ابن خلكان، وفيات، ٥: ٩٦ . الخوانساري، روضات الجنان، ٨: ١٩١ . ابن ابي عذينة، تاريخ دول الاعيان، ٤: ٢٩١ (م) .
 - (٨) الاصبهاني، الخريدة، ح ٣ م ١: ٧ . ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٤: ٢٨٦ . وسماه سبط ابن الجوزي، حجة العرب، مرآة الزمان، ص ٢٨٨ .

دهره (١) . وكان من اعيان النحاة المشهورين ببغداد بمعرفة العربية (٢) . وعلى الرغم من معاصرته لآئمة اللغة والنحو المقدم ذكرهم الا ان طلبته وجماعته يتعصبون له ويفضلونه على غيره لباعه الطويل بالنحو (٣) . سمع الحديث من هبة الله بن الحصين وابن البنا وآخرين (٤) . واخذ اللغة عن الرواني (٥) . ثم رحل الى اصبهان وسمع بها واستفاد من خزانات كتبها حتى كتب الكثير من كتب الادب بخطه وعاد الى بغداد ، واقرأ الناس تصانيفه في النحو (٦) . مثل ((شرح الايضاح)) وكتاب ((الغرة)) وهو شرح لكتاب اللوح لابن جنى (٧) . وقد وصف هذا الكتاب ابن خلكان بقوله ((ولم ار مثله مع كثرة شروح هذا الكتاب (٨) . وله عدة تصانيف أخرى (٩) . رحل الى الموصل سنة ٥٤٤ هـ وكرمه الوزير جمال الدين الاصبهاني فاستوطنها وتوفي هناك (١٠) .

- (١) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٣ م ١ : ١٩ . ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ١٢٤ .
- (٢) الصفدي ، نكت الهميان ، ١٥٨ . السيوطي ، بغية الدعاة ، ٢٥٦ .
- (٣) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٣ م ١ : ٢٠ . ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ١٢٤ .
الدلجسي ، الفلاكة والمفلوكون ، ١٦٤ .
- (٤) الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٨٦ : ٢ . الصفدي ، نكت الهميان ، ١٥٩ .
الخوانساري ، روّضات ، ٤ : ٥٤ .
- (٥) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٤ : ٢٤١ .
- (٦) القفطي ، انباء الرواء ، ٢ : ٤٧ .
- (٧) القفطي ، انباء الرواء ، ٢ : ٤٧ . ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ١٢٤ . ياقوت الحموي ، ٤ : ٢٤١ . الاسنوي ، طبقات ، ١ : ٥٣٧ . الصفدي ، نكت ، ١٥٨ .
- (٨) ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ١٢٤ .
- (٩) انظر المصادر ونفس الصفحات المذكورة في هامش (٧) وانظر الخوانساري ، روّضات ، ٤ : ٥٥ . والسيوطي ، بغية ، ٢٥٦ ، حاجي خليفة ، ١ : ٧٢ ، ١١٦ ، ٢١٢ ، ٤٣٨ ، ٧٥٢ ، ٨٧٢ ، ٩٦٠ ، ١١٥٦ : ٢ .
- (١٠) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٣ م ١ : ٢٠ . القفطي ، انباء الرواء ، ٢ : ٤٨ .
الدلجسي ، الفلاكة ، ١٦٤ .

ب - الشعراء :

استمرت الحركة الشعرية بالنشاط ، وبرز في هذا العصر الكثير من شعراء العربية ، سواء من كانت لهم علاقة بالخليفة ووزرائه وأرباب دولته أو من الذين عاشوا في هذه الفترة . وقد أسهم عدد كبير من هؤلاء الشعراء من خلال مدحهم للخليفة ووزرائه وأركان دولته في تقوية صيت الخلافة وتشبيث سلطانها السياسي خاصة وأن هذا العصر كان عصر صراع سياسي بين الخلافة العربية والمتسلطين الأجانب على الرغم من أن مدح بعضهم كان بدافع الكسب المادي^(١) . فالشعراء يصورون رجال الأمة العربية وما يتحلون به من خصال رفيعة ، وما يحققونه من أعمال وكأنهم بذلك يريدون أن يرفعوهم نصباً عيّن الشباب شعارات تعبر عن آمال الأمة التي حققوها والتي تأمل منهم أن يحققوها^(٢) . فلم يأل شعراء هذه الفترة جهداً في إبراز مكانة الخليفة المقنني ودوره في إنهاء التسلط السلجوقي ، مسجلين انتصاراته على السلاجقة وابتهاج الناس بطردهم من العراق وإفشال مخططاتهم الرامية لاحتلال بغداد ، فقد انهى العماد الاصفهاني مصوراً ذلك بقصيدة طويلة مطلعها :-

أضحت ثغور النصر تبسم بالظفر وغدت خيول النصر واضحة الغرر
أضحى ولي في رضاك معظم وأجل ذى ملك بسخطك محتقر
أضحى حى الباغى رضاك منعماً بين الورى وغدا دم الباغى هدر

ومنها يذكر جيش الخلافة فيقول :

لله جيش للخليفة قـاد رب الخليفة باليمان والظفر
مجر اذا جر القنا لا يرتضي وجه المجرة ان يكون لها مجر
فوق الجياد الجرد ما وردت وى الا وخيل عدوها عنها صدر

(١) انظر عبد الكريم توفيق المهود ، الشعراء العرب في العراق ، ص ٨٨ ، ص ٩٩ .

(٢) ضيف ، شوقي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

فالأرض وهي فسيحة ضاقت بهم
هم أوقدوا نارا هم احترقوا بها
وعلى العدا منه فما وجدوا مفر (١)
وشرارهم متطايير بهم الشرر
وفي قصيدة أخرى يسجل فيها العماد الأصفهاني أيضا انتصار الخلافة
على السلاجقة فيقول :-

والجيش من ملك الجيوش برأيه
هزم العدى قبل اللقاء برعبه
من صائب ومجاشع من صائل
فغدوا بألم في الشقاوة هائل (٢)
بهزيمة الرعديد بأس الباسل
طلبوا الفرار ولم يزل متكفلا

ويقول الحميص بيص في هذا الصدد بقصيدة رائعة طويلة يمدح بها المقتفي

دلفوا لحريك جاهلين سريرة
فغلبتهم والمرهفات مصونة
يحي معاندها القديم الأول
وظبي القضاء من الصوارم اقتتل (٣)
نبت الديار بهم ولورضى نوى
غش الأمام تحلته الشمال

وصور الشاعر الأديب أبو المظفر بن علي الأنباري (٤) انتصارات الخلافة ، مفتخرا
بذلك الانتصار العربي ، من خلال مدحه للوزير عون الدين بن هبيرة فيقول :

ولما نحت ابنا فارس أرضنا
وماهم بأساد معانلها القنسا
كثائب للهيجاء ضاق بها البسر
واغيا لها البيض اليمانية التبر
نضاهن بيضا اخلصتها قيونها
صقلا وشيحت وهي من علق حمير (٥)
وكانت طلوع الشمس بيضا وجوههم
فما غريت الا وأوجههم صفير

(١) الأصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ٣٦ - ٣٨ .

(٢) الأصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ٤٢ - ٤٣ .

(٣) الحميص بيص ، الديوان ، ٢ : ٣٥٦ . وانظر عن الشاعر ص ٢٦١ من هذا الفصل .

(٤) فلاح بن علي بن يحيى الأنباري ، شاعر وأديب ، اختص بالوزير عون الدين بن هبيرة ، وصف بأنه كان فصيح اللهجة ، مليح العبارة ، يتبادى أنشاده وسلك أسلوب العرب ، توفي سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م . انظر

الأصبهاني ، الخريدة ، ٤ م ١ : ٣٠١ .

(٥) الأصبهاني ، الخريدة ، ٤ م ١ : ٣٠٦ .

(١) وفي قصيدة للشاعر ابو نصر محمد بن احمد الاوانسي
(ت ٥٥٢ هـ / ١١٦١ م) اتى فيها على دور الوزير عون الدين وابرز دوره في
اعادة هبة الخلافة وتحرير العراق وفيها يقول :-

وزير دح الافلاك باسـا فقيدت بين طوع واغتصاب
وسر عزيزها فعنت اليه ولم تطمع لغوث من طلاب
وذلل للخلافة كل مولى وابعد مطلب قود الصصاب (٢)

وسبدو ان اهتمام الدولة وعلى الاخص الوزير عون الدين بن هبيرة
بالشعراء والادباء ومجالسه الادبية التي كان يعقدها لهم واعطياتها الدارة
عليهم قد انشطت الحركة الادبية والشعرية في هذه الفترة من جهة ووطدت
علاقته بهم من جهة اخرى، فلا غرابة ان نرى ان اكثر هؤلاء الشعراء قد سجن
او نكل به بعد وفاة الوزير سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م ومنهم العماد الاصبهاني (٣)
وممن المعالي محمد بن الحسين بن تركان (٤). وابو المظفر مفلح بن علي
بن يحيى الانباري (٥). وجمال الدين ابو العباس احمد بن عمر البادراني
الشاعر الاديب والفقيه الجليل (٦).

-
- (١) شاعر مجيد وكاتب سديد ، قرنه الوزير عون الدين واختص بخدمته ، وولاه
بعض الاعمال في واسط وبغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٢ م . مدح الوزير
بقصائد عديدة ، وصنف عدة رسائل ثرية بديعة . انظر الاصبهاني ،
الخريدة ، ج ٤ م ١ : ٥٥ . القفطي ، المحمدون من الشعراء ، ٥٩٠ . ابن
الديبشي ، ذيل ، م ١ : ١٠٠ - ١٠١ . الصفدي ، الوافي ، ٢ : ١٠٩ .
ابن شاکر الكتبي ، فوات ، ٢ : ٣٤٣ .
- (٢) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٤ م ١ : ١٤ .
- (٣) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ٥٦ .
- (٤) انظر الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٤ م ٢ : ٥٠٦ . ابن الديبشي ، ذيل ،
م ١ : ٢٢٦ - ٢٢٧ .
- (٥) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٤ م ١ : ٣٠١ ، ٣٠٢ .
- (٦) المصدر نفسه ، ج ٤ م ٢ : ٥١٤ .

ومن كبار الشعراء في هذه الفترة أبو سعيد المؤيد بن محمد بن علي بن محمد الالوسي (ت ٥٥٢ هـ / ١١٦١ م) الذي كان من أعيان شعراء عصره ، كثير الغزل والهجاء (١) . مدح كثير الكثير من أكابر الدولة ومنهم الوزير ابن هبيرة (٢) .

ارتبط الشاعر أبو سعيد بخدمة السلطان السلجوقي مسعود ، فملا قدره وأثرى واقتنى الأملاك والعقارات وكثر رياسه وفي ذلك يقول أحد الشعراء :
مختال بالسيف المحلى والقنا كطفان مخطر في سباط مطهر (٣) .
ويبدو أن علاقته بالسلاجقة ومولاته لهم جعلته يقبح القول ويتكلم بما لا يليق في ذكر المقتفي وأكابر دولته ، فأمر الخليفة بالقاء القبض عليه سنة ٥٤٢ هـ / ١١٥٢ م وجسه وفي الحبس مدة طويلة إلى أن أفرج عنه في خلافة المستجد (٤) .

ومن جديد أشاره التي يتغنى بها بهنداد قصيدته الغزلية الرائعة التي مطلعها :

غلامية الأعطاف تهتز للصبا كما اهتز في ربح الشمال قضيب
تعلقها طفلا صغيرا وناشئا وكبيراً وها رأسي بها سيهيب (٥)

- (١) انظر ترجمته ، الاصفهاني ، القسم العراقي ، ١٢٤ : ٢ - ١٢٣ . ابن النجار التاريخ المجدد ، هـ ١٠ ق ٢ ورقة ٢٢٥ ، ابن خلكان ، وفیات ، ٤٢٨ : ٤ - ٤٣١ . الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ١٩٨ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٢ : ١٩٩ . ومعجم البلدان ، ١ : ٢٤٧ . ابن شاکر الكتبي ، فوات ، ٢ / ٧٧ .
- (٢) ابن خلكان ، وفیات ، ٤ : ٤٢٨ .
- (٣) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، هـ ١٠ ق ٢ ورقة ٢٢٥ . وكطفان اسم مسخرة بهنداد آنذاك .
- (٤) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، هـ ١٠ ق ٢ : ٢٢٥ . الحموي ، معجم الادباء ، ٢ : ١٩٩ . الاصفهاني ، الخريدة ، ٢ : ١٧٣ . ابن خلكان ، وفیات ، ٤ : ٤٢٨ .
- (٥) الاصفهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ٢ : ١٧٤ .

ومن حبسه كتب قصيدة بشها حنينه وشكواه وفيها يقول :

رحلوا فافنيت الدموع لبعدهم من بعدهم وعجبت اذ انا باق
وابيت مأسورا وفرق ذكركم عندى تعادل فرحة الاطلاق (١)

وابو القاسم هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز القطراني
(ت ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) الشاعر الذي غلب على شعره الهجاء (٢)، ((ولم يسلم
منه احد لا الخليفة ولا غيره)) (٣) فقد تعرض للمقتفي من خلال هجائه لابن
المرخم الذي عينه الخليفة بمنصب اقص القضاء سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م بقوله :

يا حزينة الطي الطمي	قد ولي ابن المرخم
ولي على الشرع والقضا	ولي على كل مسلم
اترى صاحب الشريعة	قد جن او عسي ؟
وارى المقتفي الامام	من الحق قد عسي . (٤)

كما تعرض بالهجاء لقاضي القضاة ابو القاسم الزينبي بقصيدة طويلة
سجن على اثرها مدة وفيها يقول :

يا اخي الشرط امسك لست للثلب اتسرك (٥) .

-
- (١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٧ : ٢٠٠ .
(٢) انظر ترجمته، ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ٢٠٧ . الاصبهانسي،
الخريدة، القسم العراقي، ٢ : ٢٧٠ . الكامل، ١١ : ٢٩٢ . ابن خلكان،
وفيات، ٥ : ١٠٤ . سبط ابن الجوزي، مرآة، ٨ : ١٨٢ .
(٣) ابن خلكان، وفيات، ٥ : ١٠٧ .
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ٢٠٧ . والبيت الاخير من سبط ابن الجوزي،
مرآة، ٨ : ١٨٢ . وانظر قصيدته الاخرى فيه، ابن خلكان، وفيات، ٢ : ٣٠٩ .
(٥) ابن خلكان، وفيات، ٥ : ١٠٧ .

ورغم ان الغالب على شعره الهجاء الا ان كثيرا ما كان يتردد الى
الوزير عون الدين بن هبيرة ويمتدحه ويمجديه (١)

وابو الفوارس شهاب الدين سعد بن محمد بن سعد الصفي التميمي
المعروف بحمص بيض (٢) (ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) الذي كان اعلم الناس باخبار
العرب ولغاتهم واعمارهم (٣) . ((جزل الشعر ، فحله)) (٤) . ويمسك
الحمص بيض احد شيخ التيار التقليدي او المحافظ في شعر القرن السادس
الهجري ، الذي لم يلتزم بالمحافظة على شعره فحسب بل تمدها للمحافظة
على سلوكه وطريقة تصرفه بين الناس (٥) . ويبدو ان هذا الاصطناع في شعره
وسلوكة جاء كرد فعل لما احدثه عصره في نفسه من مرارة ونقمة على الاوضاع
السياسية والاجتماعية من جراء تسلط العناصر الاجنبية على الحكم العربي
ذلك العصر الذي كادت فيه الشخصية العربية ان تطمس معالمها وتندثر
ورسومها (٦) . لذلك تراه في اكثر قصائده يتغنى بامجاد العرب وايامهم وحفظهم
للجوار ، وسجاياهم الحميدة (٧) .

- (١) ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ١٠٧ .
- (٢) انظر ترجمته ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٨٨ ، الاصبهاني ، الخريدة ،
القسم العراقي ، ١ : ٢٠٢ . ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ١٠٦ . ابن الديبشي
ذيل ، ٢ ق ٢ ورقة ٦٠ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٤ : ٢٣٤ . السبكي
، طبقات ، ٤ : ٢٢١ . الاسنوي ، طبقات ، ١ : ٤٤٣ . ابن كثير ، البداية
والنهاية ، ١٢ : ٣٠١ .
- (٣) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٤ : ٢٣٤ .
- (٤) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ٢٠٢ .
- (٥) انظر عن التيار المحافظ في شعر القرن السادس الهجري ، مظهر عبيد
السوداني ، الشعر العراقي ، ص ٤٥ وما بعدها .
- (٦) و (٧) انظر مقدمة ديوان الحمص بيض ، ص ٣٤ ، ٤٩ . وانظر قصائده التي
يفتخر بها في مواضع كثيرة من الديوان .

مدح الحبيب ببيت الخليفة المقتفي منذ اول يوم تسلم فيها الخلافة
بقصيدة يقول فيها :-

بالمقتفي امر الا له ومن به	عمر الطريق الى النجاة الامثل
محي الدؤارس من شريعة احمد	ورسوم سنتها مروت عطيل
حبر كمي في الجدال وفي الوض	شهد الحسام بفضل والمقول (١)

وفيها نصف زهده :

لقنت مخاضه الصلاة لفرط ما	ترجى بهن فريضة وتنفل
بدل له من فرط تقوى ربه	شرف يحنبه الورود وماكل
لا تطيبه زخارف الدنيا ولا	تنضي به الاهواء او تنقل (٢)

ومدحه بقصيدة اخرى يفتخر بها ايضا بنفسه فيقول :

ماذا اقول اذا الرواة ترنمو	بفصيح شعري في الامام العادل
واستحسن الفصحاء شأن قصيدة	لاجل مدح وافصح قائل
وترنمت اعطافهم فكأنما	في كل قافية سلاوة باسل
هب يا امير المؤمنين باننسي	قس الفصاحة ما جواب السائل (٣)

وارسل اليه يوما بمقطوعة شعرية مع هدية بيد حاجب الباب :

جل المقام علا ومقدرة	عن وافر القران والنزر
لكنها شيم مطهرة	بسطت فقير الحي والمشرى
كالبحر يقبل غير مفتقر	بلل الرذاذ ووابل المطر (٤)

(١) و (٧) الديوان ، ٢ : ٣٥١ - ٣٥٢ وقد بلغت القصيدة خمس وستين بيتا .
(٣) يا قوت الحموى ، معجم الادباء ، ٤ : ٢٣٥
(٤) الديوان ، ٢ : ٣٤٣ .

ويتأسف الحبيب بيص لوفاة المقتني فيرثيه بقصيدة طويلة بشها حزنه
المعيق فيقول في مطلعها :

الخطب اكبر في النفوس واعظم من ان تراق له الدموع او الدم
عن المزا ، فكل جلد طاجز عما الم ، وكل آفوه بفحس
ولو ان شمس الصبح راقبت العلى لتغيبت ، فالصبح داج مظلم
ولكورت حزنا لفقد خليفة شهد السنان بباسه والمخدم (١)
ولم يقتصر مدحه للخليفة فحسب بل تعداه للوزير الزينبي وابــــن
هبيرة (٢) .

ومن كبار الشعراء ابو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله
المعروف بالابله البغدادي (٣) (ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) شاعر العراق (٤) ، والذي
وصف بأنه جمع في شعره بين الصناعة والرقدة (٥) . طرق شتى اغراض الشعر من
غزل ومدح وهجاء ونسيب وغير ذلك .

ومن شعره في هذه الفترة ما مدح به ابن الوزير عون الدين بسن
هبيرة بعد ان اطلق سراحه من قلعة تكريت سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٧ م ، بقصيدة
عدت من قصائده الجميلة حتى ان الوزير طرب لها ، فخلع عليه واصله ببلنخ
من المال وفيها يقول :

-
- (١) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ٣٤٨ .
(٢) انظر الديوان ، ح ١ : ١٠ ، ٢١٠ ، ٣١٦ ، ٣٤٤ . ح ٢ : ١٥ ، ١٨ ،
١٥٠ ، ١٥٧ ، ٣٨٢ . الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ،
١ : ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ .
(٣) انظر ترجمته ، القفطي ، المحدون من الشعراء ، ابن الديبشي ، ذيل ،
م ١ : ١٨٥ . ابن خلكان ، وفيات ، ٤ : ٨٧ - ٨٨ . ابن الفوطي ،
ح ٤ ق ١ : ٢٩٧ . الصفدي ، الوافي ، ٢ : ٢٤٤ .
(٤) الغساني ، المسجد المسبوك ، ١٨٩ (القسم المحقق) .
(٥) ابن خلكان ، وفيات ، ٤ : ٨٧ .

بأى لسان للوشاة الام وقد علموا اني سهرت وثاموا
ويستكثرون الوصل لي بليلة وقد مر عام بالصدود وعام (١)

ويبدو ان الشاعر الابله قد آزر الخلافة باجراءاتها الرامية للتخلص
من التسلط السلجوقي من خلال مدحه للوزير بن هبيرة الذي قاد الجيـ
المباسي في اكثر من مناسبة لتحرير مدن العراق . ففي قصيدة له يقول :

وهواك اقسم انه اوفى قسم ما كنت في السلوان الا منهم
وغدا تعود الى العراق مظفرا والمرب قد اوليتها ملك المعجم (٢)

وقد بث مشاعره لفقدان الخليفة المقتفي الذي اعاد هيبة الخلافة
من غت المتسلطين السلاجقة في قصيدة رثاء فيها منها :

عزاء وان اضحى الحزاء حراما مضى من حى سرب الانام وصامما
قض عامر الدنيا وظامرا هلبا عطا كجمات السيول جما مـ
قض قائد الخيل سواها تخال نعاما بل نظن نعاما
قض نجبه من كان بالعدل ملهما والجيش يردى السارقين لهما (٣)

واضافة الى ما تقدم ، فقد برز عدد من الشعراء في هذه الفترة
منهم شرف الدين ابو الحسين محمد بن الخل (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٨ م) الذي
مدح الخليفة المقتفي ووزيره ابن هبيرة (٤) . وابو المكارم محمد بن الحسين
الامدي الشاعر الاديب (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٨ م) الذي كان يتردد دائما على

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢٤ : ٣٣٤ .

(٢) انظر مظهر عبد السوداني ، الشعر العراقي ، ص ١٩٠ ، نقلا عن ديوان
الابله البغدادي ، وانظر قصيدته الاخرى في هذا الصدود . عبد الكريم
المبود ، الشعر العربي ، ص ٢٩٦ .

(٣) مظهر عبد السوداني ، الشعر العراقي ، ص ١٥٠ . نقلا عن ديوان الابله .

(٤) انظر ترجمته ، الاصبهاني ، الخريدة ، ص ٣٨٣ : ١ . ابن الديبشي
ذيل ، ص ٢٠١ ورقة ١٢٥ .

عون الدين بن هبيرة ويحضر مجالسه (١) . وأبو الفتح محمد بن محمد بسن
هر الاديب (ت ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) الذي وصف شعره بأنه ذا ((طــــلاوة
بغدادية ، وحلاوة عراقية ، وغذوة فراتية)) مدح المقتفي وأعيان دولته (٢) .
وأبو محمد عبد القادر بن علي بن الفضل بن نومة الواســــطي
(ت ٥٢٦ هـ / ١١٨٠ م) (٣) . وغيرهم الكثير (٤) .

٤ - التاريخ :

ومن كتب بالتاريخ في هذا العصر أبو العباس أحمد بن بختيــــار
بن علي المنذائي الواسطي (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) (٥) الذي صنف كتابين فسي

- (١) انظر ترجمته ، الاصبهاني ، المصدر نفسه ، الجزء ، ٣٢٥ . ابن الديبشي ،
ذيل ، م ١ : ٢٢٥ . الصفدي ، الوافي ، ١٧ : ٣ .
- (٢) انظر الاصبهاني ، المصدر نفسه ، ح ٢ القسم العراقي ، ٣٦٠ . الصفدي
الوافي ، ١ : ١٢٦ . ابن رجب ، ذيل ، ٤٨٢ : ١ .
- (٣) انظر الخريدة ، ح ٤ م ١ : ٤٠٦ . ابن الديبشي ، ذيل ح ٣ ورقة ٩٢ .
ابن الصابوني ، تكملة ، ص ٢١ . الصفدي ، الوافي ، ح ١٥ - ١٧ ق ٢ ،
ورقة ٢٤٠ .
- (٤) انظر الخريدة ، ح ٤ م ١ : ١٩٥ . وح ٢ : ٣٦١ (قسم شعراء الشام) .
ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ١٢٧ . ابن خلكان ، وفیات ، ح ١ : ٣٨٦ ،
ح ٥ : ١٩ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ط ٦ : ٣٦١ ، ح ٧ : ٢٠٩ .
المنذري ، التكملة ، ١ : ٣٠٩ ، ٣١٠ . ابن ابي عديبة ، تاريخ دول
الاعيان ، ١٤ : ٣٧ (م) .
- (٥) ولد بواسط ورحل الى بغداد ، وثقفه بالمدرسة النظامية واعاد بهســــا
فترة ، وسمع الحديث من كبار المحدثين وحدث به ببغداد وواسطه
تولى القضاء مدة بواسط والكوفة ثم عزل منها وعاد الى بغداد وتوفي
فيها . انظر ترجمته ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٨ . البنداري ،
تاريخ بغداد ، ورقة ١٥ . المنذري ، التكملة ، ٦ : ٨٤ . ياقوت
الحموي ، معجم الادباء ، ١ : ٣٧٩ ، السبكي ، طبقات ، ٤ : ٣٧ . الاسنوي
، طبقات ، ٢ : ٤٣٦ . الصفدي ، الوافي ، ٦ : ٢٦٢ . السيوطي ، بغية
الوطاء ، ١٢٩ .

التاريخ احدهما يدخل في حقل كتب التراجم وهو كتاب ((تاريخ الحكام وولاة الاحكام بمدينة السلام))^(١) ، ذكر فيه تراجم من تولى منصب قضاء القضاة ببغداد واخبارهم ، ونوابهم في الحكم ، والشهود الذين قبلت شهاداتهم من قبل قضاة القضاة ، وقد انتهى كتابه هذا بوفاة ابي القاسم علي بن الحسين الزينبي سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م^(٢) . وقد عد هذا الكتاب احد المصادر المهمة التي اعتمدها المؤرخ ابن الديبشي في كتابه ((ذيل تاريخ مدينته السلام ببغداد))^(٣) وصنف كتابا آخر هو ((تاريخ البطائح))^(٤) .

ومن الذين صنفوا في مجال الكتابة التاريخية ابو علي الحسين بن جعفر بن عبد الصمد العباسي (ت ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م) امام مسجد ابن الشعلي ، كان اديبا فاضلا صالحا له معرفة بالادب والشعر ، سمع الحديث من كبار المحدثين وحدث به^(٥) . كتب سيرة الخلفيتين المسترشد بالله

-
- (١) ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ١٤١ . وسماه ابن الجوزي ، كتاب القضاء ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٨ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١ : ٣٧٩ . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٣٧ . وسماه ابن النجار ، تاريخ القضاء والحكام ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ١ ورقة ١٤ ، ١٢ ، ٥٦ .
 - (٢) ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ١٤١ .
 - (٣) انظر مثلا . ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، ٥٩٥ . م ٢ : ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧٨ . والجزء المخطوط ، ح ١ ق ١ ورقة ١٤٤ ، ١٧٠ . ح ١ ق ٢ : ٢٠١ ، ٢١٣ . ح ٣ ورقة ٢٥ .
 - (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٧٨ . ابن الديبشي ، ذيل ، م ١ : ٢٠٢ . الحموي ، معجم الادباء ، ٢ : ٢٣١ . ابن الفوطي ، تلخيص ح ٤ ق ٤ : ٦٢٣ .
 - (٥) انظر ترجمته ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩١ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ١٥٥ . ابن رجب ، ١ : ٢٣٣ .

والمقتفي (١) . كما عمل لنفسه مشيخة (٢) . ولا يعرف خبرا لهذين الكتابين .
وصنف احمد بن علي بن العباس بن بابا في عصر الخليفة المقتفي
كتابنا سماء ((رأس مال النديم)) وهو مجموعة من الملاحظات التاريخية كتبها
في عصره (٣) .

ورضع ابو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بسن
حمدون (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) كتابا كبيرا يقع في اثني عشر مجلدا (٤) ، جمع
فيه صنوفا شتى من العلوم ، كالادب والشعر والنوادر والحساب والتاريخ ، سماء
((التذكرة)) (٥) . وقد وصفه ابن خلكان بقوله ((وهو من احسن
المجاميع . . لم يجمع احد من المتأخرين مثله)) (٦) وقد خصص المجلد
الاخير من كتابه هذا للتاريخ العربي الاسلامي ، وقد رتبته على طريقته
الحوادث وانتهى به الى سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م (٧) .

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٤ : ١٩١ . ابن رجب ، ذيل ، ١٤ : ٢٣٣ . ابن
شاکر الکتبي ، عيون ، ١٢٤ : ٥٢٠ .
 - (٢) ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٤ : ١٧١ .
 - (٣) بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ٦٤ : ١٣٢ . حاجي خليفة ، كشف
الظنون ، ١ : ٨٣٠ .
 - (٤) الصفدي ، الوافي ، ٢ : ٣٥٧ .
 - (٥) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١٤ : ١٨٤ . ابن الديبشي ، ذيل ،
١ : ٢٠٥ . ابن خلكان ، وفیات ، ٤ : ١٦ . المنذري ، التكملة ، ٣ : ٣٥٨ .
الصفدي ، الوافي ، ٢ : ٣٥٧ . ابن شاکر الکتبي ، فوات ، ٢ : ٣٧٧ . وللتعرف
على ابواب ومواضيع هذا الكتاب انظر مقالة عيسى اسکندر معلوف ،
التذكرة الحمدونية ، المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي ،
ج ١٠ م ٤ ، ص ٤٣٥ - ٤٤١ .
 - (٦) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ٤ : ١٦ .
 - (٧) انظر التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ (مخطوطة في مكتبة الدراسات
العلمية برقم (١٢٨٢)) .

ويبدو ان صلة ابن حمدون وعائلته ايضا بالدولة وتقلدها مناصب هامة فيها (١). جعله قريبا من الخلفاء وكبار رجالات الدولة من جهة ومن الوثائق الرسمية والتاريخية الموجودة عادة في بغداد ما امكنه الاطلاع على اكبر قدر ممكن من هذه الوثائق التي استفاد فيها في كتابة ((تذكركه)) على ما يبدو ، الامر الذي احتوت على الكثير من المعلومات والحكايات التي وجد الخليفة المستجد فيها بعد انها نسي الى سعة الدولة وحرمتها وتعرض فيها للقدح (٢). قال في القبض عليه الى ان توفي سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م (٣).

٥ - العلوم العقلية :

وازدهرت الى جانب العلوم الدينية واللغوية والادبية علوم الطب والفلك والهندسة والحساب . فاما الطب ، فقد انتشرت صناعته في العراق وظهر اطباء تغنوا في هذا العلم تصنيفا وتدرسا وتطبيقا ، ومنهم اوجد الزمان هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) الذي اطلق عليه لقب فيلسوف العراقيين (٤) . تعلم صناعة الطب على ابي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن (٥) . واطلع على كتب العلماء الاوائل وبلغ في الاهتمام

- (١) انظر ابن خلكان ، وفيات ، ١٦ : ٤٤ . ابن الديبشي ، ذيل ، ١ : ٢٢١ . وانظر الفصل الرابع ص
- (٢) الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ١٨٥ . ابن خلكان ، وفيات ، ١٦ : ٤ .
- (٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٣٣٠ . الاصبهاني ، الخريدة ، القسم العراقي ، ١ : ١٨٤ . ابن خلكان ، ١٦ : ٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ٢٥٣ .
- (٤) الشهرزوري ، نزهة الارواح وروضة الافراح ، ٧٩ .
- (٥) الشهرزوري ، نزهة الارواح ، ٧٩ . ابن ابي اصيبعة ، الانباء في طبقات الاطباء ، ٣٧٤ .

بها حتى قيل عنه ((لم يكن في زمانه اعرف منه بالطب))^(١) . وقد تفنن
اوحده الزمان بمعالجة بعض الامراض بطريقة الاوهام^(٢) . اسلم آخر عصره
وجلس للناس بقصد التدريس فقصدته طلاب العلم والعلماء والاطباء يسألونه
ويتعلمون منه^(٣) .

صنف ابو البركات عددا من الكتب الطبية منها ((اختصار التشرح))
وهو اختصار لكتاب جالينوس في التشرح ، و ((كتاب الاقرباذين)) على شكل
ثلاث مقالات ، وآخر عن طريقة تركيب دواء اكتشفه وطالج به وسماه ((برشعنا))^(٤)

ويظهر ان بواعثه في معالجة الامراض وسمعته العلمية ، جعلت
سيف الدين غازي امير الموصل يستدعيه ، لمعالجته من مرض آلم به ، بعد
ان عجز عن مداواته اطباء الموصل وذلك سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م^(٥) .

ولم تقتصر معرفته بالطب فحسب ، بل كان عارفا بعلم الاوائل ، وصنف
في ذلك كتابنا اسماء ((المعبر)) وهو من اجل كتبه واشهرها ، ذكر فيه
المنطق والطبيعة حتى قيل عنه انه احسن كتاب ألف في هذا الشأن^(٦) .

وكان يعاصره ابو الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التليذ
(ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤) الذي وصف بأنه ((ايقراط عصره وجالينوس زمانه))

-
- (١) ابن الاثير ، الباهر ، ٩٢ .
 - (٢) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٧٤ . الغزولي ، مطالع البدور ، ١٠٥ / ٢ .
١٠٦ .
 - (٣) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٤٤٤ - ٤٤٥ .
 - (٤) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٧٤ ، ٣٨٨ .
 - (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٣٨ . والباهر ، ٩٢ . ابن واصل ، مفرج
الكروب ، ١ : ١١٦ .
 - (٦) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٣٤٣ . ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٧٤ .
ابن العبري ، تاريخ ، ٢١٠ . وللاستزادة انظر نعمة محمد ابراهيم ،
ابو البركات وفلسفته الطبيعية ، رسالة ماجستير غير منشورة .

وهو ختم هذا العلم ((^(١)) كان عالما بقوانين صنعة الطب ، انتهت اليه رئاستها^(٢) . فاصبح مقصد العالم في علم الطب^(٣) . وتتلذذ على يديه عدد كبير ، فقد قدرت احدى مجاميع تلاميذه بخمسين تلميذا ، كان يشركهم معه اثنا معاينته المرضى فيمألهم بتشخيص الحالات المرضية ووصف العلاج^(٤) .

اشتهر ابو الحسن بكثرة تصانيفه وتعليقاته على هواشي الكتب الطبية ومن اشهرها ((الاقرباذين الكبير)) الذي احتوى على عشرين بابا وقد اشتهر به لكثرة تداول الناس والمهتمين بالطب له . وقد وضع كتابا عد منها لاطباء البهيمارستانات ساء ((الاقرباذين الموجز)) وغيرها من التصانيف^(٥) .

ويبدو ان مهارته وتفنه في علم الطب جعلت الخليفة يفيض اليه رئاسة الطب ببغداد^(٦) . وكان يتقاضى راتبا مقداره عشرين الف دينار سنويا ينفق اكثره على طلاب العلم^(٧) . وقد اكتسب مكانة علمية متميزة ومنزلة رفيعة لدى الناس ، من خلال سيرته الحسنة وتواضعه ومروءته في معالجة المرضى ، ففي وفاته ((لم يبق ببغداد من الجانبين من لم يحضر البهجة وشهد جنازته))^(٨) .

-
- (١) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٣٤٠ . ابن خلكان ، وفيات ، ١١٩ : ٥ .
 - (٢) القفطي ، المصدر نفسه ، ٣٤٠ . ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٤٩ . ابن المعبري ، ٢٠٩ .
 - (٣) ابن خلكان ، وفيات ، ١١٩ : ٥ . ويذكر الشهرزوري انه كان يعرف الحكمة ودقائق المنطق ، نزهة ، ٦٠ .
 - (٤) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ .
 - (٥) المصدر نفسه ، ٣٥١ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٤٤٥ / ٧ . ابن خلكان ، وفيات ، ١٢٤ : ٥ .
 - (٦) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٥١ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٤٤٥ : ٧ .
 - (٧) الشهرزوري ، نزهة الارواح ، ٦٠ .
 - (٨) ابن خلكان ، وفيات ، ١٢٥ : ٥ .

ومن الاطباء ايضا ابو الحسن علي بن هبة بن علي بن اثيردي الذي وصف بأنه كان مشهورا بالتقدم بصناعة الطب وجودة المعرفة وحسن المباشرة بالعلاج^(١)، صنف كتابا سماه ((شرح كتاب دعوة الاطباء)) واهداه الى الطبيب ابي العلا محفوظ بن المسيحي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)^(٢). وهو احد الاطباء المشهورين بصناعة الطب. وقد التقاه العماد الاصبهاني بواسطة اثناء اقامته بها وتردد عليه للمعالجة واثنى عليه بقوله ((كان عالما فاضلا مرضي الصنعة في مداده المرض))^(٣).

وابو سعيد بن هبة الله بن اثيردي الذي كان احد الاطباء بالبيمارستان المعزدي واصبح احد المتقدمين بصناعة الطب ايام المقتفي^(٤).

اما الصيدلة ، فالى جانب قيام الاطباء بصناعة الادوية فسي البيمارستان^(٥). وردت اشارات عن وجود صياولة ينفذاد يبيعون الادوية ، ويهدو ان محل تواجدهم في سوق الريحانيين قد جاء في ترجمة محمد بن علي بن الحسن الشهرزوري (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) انه كان

-
- (١) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٩٩ .
 - (٢) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٩٩ .
 - (٣) الاصبهاني ، الخريدة ، ج ٤ م ٢ ، ٤٩٨ .
 - (٤) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٩٩ .
 - (٥) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٣٢٢ .

ذا معرفة تامة بالفرائض والحساب وكان له دكان بسوق الرهحانيين يبيع فيه
العطر والادوية (١).

وفي علم الفلك والنجوم ، فقد كان البديع ابو القاسم هبة الله
البغدادي المعروف بالاصطرابي (ت ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م) وحيد زمانه في عمل
الالات الفلكية ولا سيما الاصطراب (٢) . وكان متقنا لعلم النجوم والرصد (٣) .
اطلع على اسرار الات الفلكية ((وعرف بها مقدار مسير انوارها ، واقام على
صحة اعماله واثباتها بالقوانين الاقليدسية حتى صغر شأن من تقدمه فسي
صناعتها)) (٤) .

ومن اهم انجازاته العلمية التي بزمين تقدمه بهذا العلم ، انه اكمل
نواقص الكرة ذات الكرسي — وهي احدى الات التي يستخدمها الفلكيون
والمهتمون بعلم الهيئة والنجوم — وجعلها بعروض متعددة بعد ان كانت
بعرض واحد ، وصنف في ذلك رسالة ايدها بالبراهين الهندسية (٥) . كما
تفنن بصنع البركار والمساطر وغيرها من الات الفلكية التي اصبحت من
الذخائر التي يتفالى بها الناس (٦) .

-
- (١) السمعاني ، الانساب ، ٣٤١ ب . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٨٧ .
 - (٢) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٣٣٩ . ابن خلكان ، وفيات ، ٥ : ١٠١ .
ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ٢٤١ .
 - (٣) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٣٧٦ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ،
٧ : ٢٤١ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٤ : ١٠٣ .
 - (٤) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٣٣٩ .
 - (٥) القفطي ، المصدر نفسه والصفحة . ياقوت الحموي ، معجم
الادباء ، ٧ : ٢٤١ .
 - (٦) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ٢٤١ .

وقد صنف البديع الاصطلاحي كتاباً في علم الازياج سماه ((المعرب المحمودي)) (١) . كما جمع لنفسه ديوان شعر كتبه بيده (٢) .

اما علم الحساب والجبر والهندسة ، فقد اهتم معظم الفقهاء والمحدثين بهذه العلوم لعلاقتها على ما يبدو بالفرائض والتركات والارث ، فمن المحدثين الذين اهتموا بهذه العلوم المحدث المشهور ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري المعروف بقاضي المارستان (ت ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م) السدي وصف بأنه كان اسند شيخ بقي في زمانه ، واليه كانت الرحلة من اقطار الارض (٣) . كان عارفاً ، متقناً لعلم الحساب والهندسة والمقابلة والمنطق والهيئة (٤) . حتى يؤثر عنه قوله ((ما من علم الا وقد نظرت فيه وحصلت منه الكل والبعض ، وما اعرف اني ضيعت ساعة في لهو)) (٥) .

صنف ابو بكر في هذه العلوم منها شرحه للمقالة العاشرة من كتاب اقليدس المعروف ((باصول الهندسة)) ، وقد اثنى على هذا الشرح القفطي بقوله ((وهو شرح جميل حسن مثل فيه الاشكال بالمدد وعندى هذه النسخة)) (٦) .

-
- (١) انظر حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١ : ٧٣٩ ، ٧٦٥ .
 - (٢) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧ : ٢٤١ .
 - (٣) الدمياطي ، المستفاد ، ورقة ٩ وانظر ترجمته في ابن الجوزي ، ١٠ : ١٠٩ . ابن رجب ، ذيل ، ١ : ١٣٩ . الذهبي ، العبير ، ٤ : ٩٦ . وتذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٢٨١ . سبط ابن الجوزي ، مرآة ، ٨ : ١٧٨ .
 - (٤) الفسائي ، المسجد المسبوك ، مجلد ٢ ورقة ٥٩ (م) . ابن رجب ، ذيل ، ١ : ١٩٣ .
 - (٥) ابن الجوزي ، مناقب احمد بن حنبل ، ٥٢٨ .
 - (٦) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ٦٥ .

وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد الحاسب المعروف بأبن السوادى
الواسطى (ت ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م) الذى قيل عنه بأنه كان ذا معرفة تامة
بالحساب ومنها الحساب القبطى والمساحة والجبر والمقابلة والهندسة ، السى
جانب معرفته بالحديث الذى حدث به فى بغداد وسمع منه جماعة كثيرة (١) .

والسموأل بن يحيى بن عياش المغربى البغدادى (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م)
الذى برع فى العدديات بلغاً لم يصله احد فى زمانه (٢) . وبلغ فى صناعة
الجبر الغاية (٣) . كان حاد الذهن متوقد الذكاء صنف فى العلوم الرياضية
والطبية عدة تصانيف منها ((المفيد الاوسط فى الطب)) وكتاب ((اعجاز
المهندسين)) وكتاب القوافى فى الحساب الهندسى ورسائل فى مسائل الجبر
والمقابلة ، وكتاب المثلث القائم الزاوية وغيرها (٤) .

اما بالنسبة للفلسفة وما يتصل بها من علوم فقد تعثرت مسيرتها بسبب
انكار بعض الفقهاء والعلماء لها (٥) . واتهام من يشتغل بها بالكفر

(١) ما بن الديبى ، ذيل ، ح ٢ ق ٢ ورقة ١٦٥ . ابن الفوطى ، تلخيص ،

ح ٤ ق ١ : ٣٠٤ . ح ٣٩٥ : ٣٩٠ . الصفدى ، الوافى ، ح ١١ ورقة ٣ (م) .

(٢) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٤٧١ .

(٣) الصفدى ، الوافى ، ح ١٠ ورقة ١٨٧ (م) .

(٤) ابن ابي اصيبعة ، الانباء ، ٤٧٢ . الصفدى ، الوافى ، ح ١٠ ورقة
١٨٧ (م) .

(٥) تعتبر الحملات التى شنّها الامام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)
على الفلسفة والمتفلسفين ذات اثر كبير فى انصراف الناس عنها ، وقد
عززت هذه الحملات بمواقف بعض الفقهاء من المتشددىين من الفلسفة
والمنطق . انظر د . جميل صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ٤٧٢ .
ادم منز ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ٣٨١ .

والزندقة (١) وقد يعاقب بالضرب والحبس أحيانا ، فقد قبض على اقضى القضاة ابن المرخم سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م وفتشت مكتبته فوجد فيها كتاب الشفاء لابن سينا والنجاء والارشادات ورسائل اخوان الصفا وغيرها من الكتب الفلسفية فأمر الخليفة باحراقها بحضور عدد كبير من العلماء (٢)

الرحلة العلمية الى بغداد :

احتفظت بغداد بمكانتها العلمية ، وقصدها عدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين للدراسة والتدريس . فمن الاندلس قدم اليها ابو بكر محمد بن علي بن ياسر الانصارى (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) المحدث المشهور والفقهاء البار ، دخلها سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ولقي اثمتها وتفقّه على ايديهم ، حتى برع في الخلاف والجدل ثم عاد الى الاندلس وحدث هناك (٣) .

ورحل اليها من الاندلس ايضا ابو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني الغرناطي (ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) مؤلف كتاب ((تحفة الازدهان))

(١) انظر ما اورده ابن رجب عن لسان عبد الله بن علي البغدادي المقرئ (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) والتي يوصم علم الكلام بالكفر :

الفقه علم به الاديان ترتفع والنحو عز به الانسان ينتفع
ثم الحديث اذا ما رمته خرج من كل معنى به الانسان يتدع
ثم الكلام قدره فهو زندقه وخرقه فهو خرق ليس يرتفع

ذيل طبقات الحنابلة ، ١ : ٢١١ . وانظر وصية عبد القادر الجيلاني المتصوف لتلاميذه ، المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٩٧ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٩٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ٢٥٨ .

ابن شاكر الكتبي ، عيون السوارب ، ١٢ : ٥٢٢ .

(٣) السبكي ، طبقات ، ٤ : ٨٨ . ابن الجوزي ، غاية النهاية ، ٢ : ٢١١ . المقرئ ،

نفع الطيب ، ٢ : ٢٦٤ ، ٣ : ٣٨٣ .

وكتاب ((تحفة الالباب ونخبة الاداب)) (١) . قدم بغداد في صباه ثم عاد اليها سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) وسمع الحديث وحدث بها وسمع منه جماعة كثيرة منهم ابو المحاسن الدمشقي (٢) .

وابو عمر محمد بن ابي الفتح المغربي (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) قدم بغداد سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ، وسمع الحديث من ابي البركات الانطاقي وابو الحسن علي بن هبة الله وغيرها وعاد الى بلده (٣) .

ورحل اليها من ((مصر)) ابو اسحاق ابراهيم بن منصور الفقيسه الشافعي المعروف بالمراقي (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) لطلول اقامته ببغداد ، فقد كان قد قدم اليها منذ صباه وتفق على ابي بكر الارموي ، وابو الحسن بن الخل وعاد الى مصر وتولى الخطابة والامامة بجامعتها (٤) .

ومن ((دمشق)) قدمها ابو المحاسن عمر بن علي بن الخضر القرشي (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) الحافظ المشهور بطلب الحديث وكتابته وتحصيله قدم بغداد سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م وسمع من ابي الوقت عبد الاول وابو جعفر القياسي وابو المظفر الترمكي وابو النجيب السهروردي وغيرهم حتى جمع لنفسه

-
- (١) الصفدي ، الوافي ، ٢٤٦ : ٣ وذكر انه الف كتابا في المعجائب . المقرئ ، نفع الطيب ، ٣ : ٥٥ وانظر هامش ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ، م ٢ : ٤٥ .
- (٢) ابن الدبيثي ، ذيل ، م ٢ : ٤٥ .
- (٣) ابن الدبيثي ، ذيل ، م ١ : ٢ ورقة ١٧٨ (م) .
- (٤) المنذري ، التكملة ، م ٢ : ٢١٦ . ابن الصابوني ، تكملة ، ٢٩٦ - ٢٩٧ . ابن خلكان ، وفيات ، ١ : ١٣ . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٢٠١ . الذهبي ، المعبر ، ٤ : ٢٩١ . الصفدي ، الوافي ، ٦ : ١٥١ .

معجماً لشيخه في الحديث (١) .

ومحي الدين ابو الحسين احمد بن حمزة بن علي الموازيني
(ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) ، المحدث احد عدول دمشق ، قدم بغداد قبل سنة
٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م وسمع فيها من ابي الكرم المبارك الشهرزوري وابو بكر
الزاغوني وابن الرطبي وجماعة آخرون ، وحدث بدمشق (٢) .

وابو الحسن علي بن ابراهيم بن نجا بن غانم الانصاري الدمشقي
(ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) الفقيه الواعظ ، قدم بغداد مرارا واول سماعه فيها
سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م من ابي صابر بن الهروري وابي الفرج عبد الخالق
بن احمد وسعد الخير بن محمد الانصاري وطاد الى دمشق وحظي بمنزلة
رفيعة لدى نهر الدين بن زكي واتخذة رسولا لدى ديوان الخلافة
ببغداد (٣) .

ورحل اليها من حماء ابو البركات عبد الله بن الحسين بن رواحة
الانصاري الخزرجي (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م) الشاعر الخطيب الذي نال تكريماً
وعطاء الخليفة المقتفي بعد ان مدحه بقصائد رائعة (٤) .

-
- (١) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ١١٣ (نسخة الدراسات) . ابن
الدبيثي ، ذيل ، ح ٣ ورقة ١١١ - ١١٢ . وانظر ترجمته ، الذهبي ،
المهر ، ٢٢٤ : ٤ . الياقصي ، مرآة الجناء ، ٤٠٢ : ٢ .
 - (٢) ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ١ ق ١ ورقة ١٧٣ . المنذري ، التكملة ، ١٨٥ : ١ .
الذهبي ، المهر ، ٢٥٥ : ٤ .
 - (٣) ابن النجار ، التاريخ ، ح ١٠ ورقة ٢٩٥ . ابن الدبيثي ، ذيل ، ح ٣
ورقة ١٣١ . المنذري ، التكملة ، ٤١٧ : ٢ . ابن الصابوني ، تكملة ،
٢٣٧ . ابو شامه ، ذيل الروضتين ، ص ٣٤ . ابن رجب ، ذيل ،
٤٣٦ : ١ .
 - (٤) الصفدي ، الوافي ، ح ١٥ : ورقة ٤٦ (م) . وانظر ابن الصابوني ،
ص ٢٩٦ .

ومن (الموصل) رحل اليها ابو منصور المظفر بن القاسم الشهرزوري
(ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) الشيخ الفاضل، قاضي سنجار، قدم اليها سنة
٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م وحدث وكتب عنه الكثير، منهم السمعاني، وكان قد قدم
بغداد وتفق على ابي اسحق الشيرازي وتكرر قدومه اليها الى ان توفي (١).

وابو بكر محمد بن القاسم الشهرزوري (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) المعروف
بقاضي الخافقين، قدم بغداد في صباه وتفق على عبد العزيز الانماطسي
وابو نصر محمد الزينبي ثم سافر الى خراسان يطلب الحديث وعاد الى بغداد
سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م وحدث بها (٢). سمع منه الكثيرون ومنهم السمعاني
الذي قال عنه ((سمعت منه ببغداد، ولما وافيت الموصل صادفته معتكفا في
جامعها سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م فلازمته وقرأت عليه الكثير)) (٣).

وقصدها من ((اربل)) ابو علي الحسن بن خل الاربلي الكسري
(ت ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م وسمع الحديث من ابي الوقت
عبد الاول السجزي، وقد اتاهه القاضي ابو عبد الله الشهرزوري في القضاء
ببغداد بعد سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م (٤).

(١) السمعاني، الانساب، ٣٤١ ب. ابن المستوفي، تاريخ اربل، ١/ ٢١١. ابن
خلكان، وفيات، ٣ : ٢٣٣. السبكي، طبقات، ٤ : ٣١٠. الصفدي،
النكت، ٢٩٣. الاسنوي، طبقات، ٢ : ٩٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ١١٢. ابن المستوفي، ١٠ : ٢٠٤. ابن
خلكان، وفيات، ٣ : ٢٣٣. ابن الفوطي، تلخيص، ٤ : ٣ ص ٥٥٥.
السبكي، طبقات، ٤ : ٩٦. الاسنوي، طبقات، ٢ : ٩٨.

(٣) السمعاني، الانساب، ٣٤١ ب.

(٤) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ١ : ١٧٢. ابن الديبشي، ذيل،
٢ ق ١ ورقة ١٧١.

وابو العباس الخضر بن علي بن محمد السراج الصوفي
(ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) قدم بغداد سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م وسمع بها من
ابي الكرم المبارك الشهرزوري وابو زكريا السلطاسي، وقرأ على الفقيه ابي الحسن
بن الخل الكتب الكثيرة (١).

اما من المشرق الاسلامي فقد رحل اليها من ((همدان)) ابو العلاء
الحسن بن احمد بن المطار (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) الفقيه، المقرئ، الحافظ
صاحب التصانيف المشهورة بالقراءات والحديث والنحو، قدم بغداد مرارا وآخرها
سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م، حدث بها وسمع منه وقرأ عليه الكثيرون من طلاب
العلم والشيخ (٢).

وابو سعيد محمد بن ابراهيم المعروف بالفهاد قدم بغداد من
همدان عدة مرات مع السلطان مسعود وسمع الحديث من محمد بن عبد الباقي
الانصاري سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م وطأ الى همدان وحدث بمسوطاته فيها وفي
اصفهان (٣).

ورحل اليها من ((اصفهان)) سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م الفقيه والاديب
ابو جعفر بن ابراهيم الاصفهاني (ت ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م). سمع الحديث من
كبار شيخ الحديث كابي الكرم بن المبارك الشهرزوري ومحمد بن ناصر، وكان

(١) ابن الديلمي، ذيل، ٢ ق ٢ ورقة ٤٢. ابن المستوفي، تاريخ،
١٨٥: ١. المنذري، التكملة، م ٣: ٣٦٦. ابن الفوطي،
تلخيص، ح ٤ ق ٣: ١٦٧.

(٢) البنداري، تاريخ بغداد، ورقة ٢٨. ابن الديلمي، ذيل، ح ١ ق ١
ورقة ١٦٧. ح ٢ ق ١ ورقة ١٥٢. الدمياطي، المستفاد من تاريخ
بغداد، ورقة ٣٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤: ١٣٢٤.

(٣) ابن الديلمي، ذيل، ١: ٦٨.

قد حصل على علم الفقه والادب في اصفهان وقد سكن بغداد الى وفاته (١) .
وقد قيل عنه ببغداد ((ما رأينا مثله في زهده وتقله وصبره على اشتغاله
بالمعلم)) (٢) .

ورحل اليها من اصفهان ايضا ثابت بن محمد بن حسن المدايني
(ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٢ م) خطيب اصفهان ، قدم بغداد سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م
وسمع الحديث من ابي بكر بن كامل وابو الفضل محمد بن عمر الارموي وطاد السى
بلده واملى مسموطة هناك (٣) .

وقدمها سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م من اصفهان ايضا ابو عبد الله محمد
بن عبيد الله بن الحسين (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) وتفقه بها على ابي عبد الله
بن السلال وابي صابر بن عبد السلام الهرزي (٤) .

اما من ((يزد)) فقد قدم اليها الفقيه الشافعي ابو علي الحسين
بن احمد بن الحسين اليزدي الذي بقي فيها حتى وفاته سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م
وصف بأنه كان من المقبلين على التحليم (٥) .

ومن ((مراغة)) رحل الى بغداد سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م الفقيه ابو بكر
محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم الملقب بصدر الدين (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م)
وسمع الحديث من شيخ الشيخ اسماعيل النيسابوري وطاد الى بلده وتولى

-
- (١) ابن الديلمي ، ذيل م ١ : ١٦٢ . القفطي ، المحمدون من الشعراء ١٠٦٤ .
الذهبي ، تاريخ الاسلام ٨ ، ورقة ١٠٣ .
 - (٢) ابن الديلمي ، ذيل م ١ : ١٦٢ .
 - (٣) ابن الديلمي ، ذيل م ١ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .
 - (٤) ابن الديلمي ، ذيل م ٢ : ٣٧ - ٣٨ . المنذرى ، التكملة ،
٢٨٢ : ٣ - ٢٨٣ .
 - (٥) الصفدي ، الوافي ١١ : ورقة ٥٥ (م) . الاسنوى ، طبقات ٢ : ٦٤ .
— ٥٦٥ . الذهبي ، معرفة القراء الكبار ٢٠ / ١٢٧ .

نضائها (١) .

اما من ((نيسابور)) فقد قصدها الفقيه الصوفي والامام المحدث
عمر بن احمد بن منصور بن عجدوس الصفار (ت ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م) وحدث بها
كتاب التيسير في التفسير لابي نصر القشيري وحكايات الصوفية لابن باكويسـة ،
والقى الدرس في المذهب والاصول وذلك سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) (٢) .

وقدم بغداد من ((نيسابور)) ايضا سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م ابو محمد
عبد الواحد بن عبد الماجد بن عبد الواحد القشيري المحدث ، وهو من بيت
التصوف والصلاح والخطابة ، وحدث بها وسمع منه خلق كثير منهم ابو المحاسن
عمر القرشي الدمشقي (٣) .

ورحل اليها الفقيه ابو منصور محمد بن اسعد المعروف بحفدة العطار
(ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٢ م) تلميذ الامام الغزالي ، قدم بغداد سنة
٥٥١ هـ / ١١٥٦ م وحدث بها الى جماعة كبيرة من طلاب الحديث عن الحسين
المهزومي وابي الفتيان الدهستاني (٤) . وقد اطلع السبكي على اجمة مسائل سألها
اياها الفقيه يوسف الدمشقي وهي عبارة عن مسائل فقهية وصوفية (٥) .

-
- (١) ابن الديلمي ، ذيل ، م ٢ : ١٩ . المنذرى ، التكملة ، ١ : ٣٩٩ . ابن
الفرات ، تاريخ ، م ٤ : ٢ : ١٠٣ .
 - (٢) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٩٠ (نسخة مكتبة الدراسات) . ابن
الصلاح الشهرزوري ، طبقات ، ورقة ٢٠ .
 - (٣) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ١ ورقة ٩٠ . ابن الديلمي ،
ذيل ، ح ٣ ورقة ٨٢ .
 - (٤) ابن الجوزي ، ١٠ : ٢٢٩ . ابن الديلمي ، م ١ : ١٧٢ . ابن خلكان ،
وفيات الاعيان ، ٣ : ٣٧٣ . ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ق ٢ : ٨٩٠ .
الاسنوي ، طبقات ، ١ : ٤٤١ . الصفدي ، الوافي ، ٢ : ٢٠٢ . السمعاني
، التحبير في المعجم الكبير ، ٢ : ٨٩ .
 - (٥) السبكي ، طبقات ، ٤ : ٦٦ .

وأبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود الطريثيبي النسابوري
(ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) الفقيه الشافعي المدرس بنظامية نيسابور ، قدم بغداد
سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م وروى لجماعة من أهل الحديث وافق ووعظ فيها وعاد
إلى بلده (١) .

ومن ((مرو)) رحل إليها الحافظ المؤرخ المشهور أبو سعد عبد الكريم
بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) وكتب عن
عامة شيخ بغداد في وقته منهم أبو بكر محمد بن عبد الباقي واسماعيل
السمرقندي وشهده وآخرون غيرهم ، ترجم لهم في كتابه الذي ذيله على تاريخ
ابن الخطيب (٢) . وقد كان قدم السمعاني إلى بغداد سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م (٣)

ومن ((هراة)) رحل إليها أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب
السجزي (ت ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م) الذي وصف بأنه مسند زمانه (٤) . كان مكثرا
من الحديث عالي الاسناد ، سمع صحيح البخاري ومسند الدارمي والمنتخب وسافر
إلى الأحواز والبصرة ، وقدم بغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، فازدحم الناس عليه
فتصدر لأقراء الحديث بالنظامية وحدث بمسوغاته لجماعة كبيرة منهم السمعاني ،

-
- (١) الذهبي ، المختصر المحتاج إليه ٣ : ١٩٠ . ابن الفوطي ، تلخيص ،
ح ٤ ق ٤ : ٧١٩ . السبكي ، طبقات ٤ : ٣٠٩ . الاسنوي ، طبقات ،
٢ : ٤٩٨ . ابن قاضي شهيد ، طبقات الشافعية ٢ : ٢٢ . ابن
العماد الحنبلي ، الشذرات ، ٤ : ٢٦٣ .
(٢) ابن الديبشي ، ذيل ، ح ٣ ورقة ٧٩ - ٨٠ وانظر ترجمته ، ابن خلكان ،
وفيات ٢ : ٣٧٨ . الدماطي ، المستفاد ، ورقة ٥٠ . الذهبي ،
تذكرة الحفاظ ٤ : ١٣١٦ - ١٣١٨ . السبكي ، طبقات ٤ : ٢٥٩ .
الصفدي ، الوافي ، ح ١٥ - ١٧ ق ٢ ورقة ٢٥٠ . وللاستزادة انظر
مقدمة كتابه التحبير ، ص ١٩ .
(٣) السمعاني ، الانساب ، ٣١٨ .
(٤) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤ : ١٣١٥ .

وعمر القرشي وابن تركان وغيرهم (١). وقد كان يقرأ الحديث في مجلس الوزير ابن هبيرة (٢).

ومن ((كازرون)) قدم بغداد سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م (احمد بسن منصور بن احمد بن همد الله الكازروني (ت ٥٨٢ هـ / ١١٩١ م) وسمع الحديث من شيخ الشيخ اسماعيل النيسابوري وقرأ القرآن بالقراءات على ابي محمد سبط ابن الخياط وغيرهم وطاد الى بلده وتولى قضاءها (٣).

اما من ((اليمن)) فقد رحل اليها العالم محمد بن عيسى اليماني المهندس سنة (٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) ودرس فيها علم الهندسة ، وقد التقى به العماد الاصبهاني ببغداد واستفصر منه ببعض المسائل الخاصة بهندسة اقليدس (٤).

ووفد الى بغداد الكثير من العلماء والفقهاء والادباء وطلاب العلم والمعرفة من مدن العراق فمن ((واسط)) رحل اليها سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ابو الحسن صدقه بن الحسين بن احمد الواسطي الواعظ (ت ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م)

-
- (١) انظر السمعاني ، الانساب ٢٩١ ب . والتحبير في المعجم الكبير ، ١ : ٦١١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ١٨٢ . الديلمياطي ، المستفاد ، ورقة ٤٥ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢ : ٣٩٢ . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٣١٥ . والعبر ، ٤ : ١٥١ . ابو شامة ، الروضتين ، ١ : ١٢٢ . المنذرى ، التكملة ، ١ : ١٢٦ . ابن العماد الحنبلي ، جذرات ، ٤ : ١٦٦ .
- (٢) ابن الديبشي ، ذيل ، ١ : ٢٧٢ .
- (٣) ابن الديبشي ، ذيل ، ١ : ٢٣٠ - ٢٣٠ (م) . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٥٠٦ .
- (٤) الاصبهاني ، الخريدة ، ٣ : ٦١ (قسم الشام) . الصفدي ، الوافي ، ٤ : ٣٠٣ - ٣٠٤ .

وسمع الحديث من ابي الوقت السجزي واكثر في طلبه وسماعه وكتابته (١). وقد صجه اثناء قدومه بغداد جماعة كثيرة وسمعوا الحديث معه منهم ابو حفص عمر بن هارون الذي اصبح اماما لمسجد الطيورين واقرأ الناس القرآن بالقراءات الكثيرة (٢). والمحدث ابو الفرج محمد بن عبد الرحمن التاجر (٣).

ورحل اليها من واسط علي بن احمد بن علي ابن الصياد سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٨ م واقام بالمدرسة النظامية وتفقّه وقرأ القرآن بالقراءات وطاد الى واسط واصبح خطيبا بجامعة واقرا الناس مدة طويلة (٤).

ورحل اليها من ((الكوفة)) الشاعر الاديب علي بن محمد بن يحيى بن عمر الزيدى الحسيني وحضر مجالس الوزير عون الدين بن هبيرة الادبية والفقهية ومدح الخليفة المقتفي والوزير ، وطاد الى بلده (٥).

ومن ((البصرة)) رحل اليها الفقيه ابو احمد محمد بن طلحة بن علي المالكي (ت ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م) الذي وصف بأنه كان المرجع بالبصرة بالفتوى واملاء الحديث واقراء القرآن ، قدم بغداد بعد سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م

-
- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٢٠٤ . ابن الديبتي ، ذيل ، ح ٢ ق ٢ ورقة ٨١ . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٢٣٠ . الصفدي ، الوافي ، ح ١٤ ورقة ٦٦ (م) .
 - (٢) ابن الديبتي ، ذيل ، ح ٣ ورقة ١١٢ .
 - (٣) انظر ترجمته ، ابن الديبتي ، ذيل ، ح ٢ : ٤٢٠ . المنذري ، التكملة ، ٤ : ٦٩ . ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ ق ١ : ٥٢٠ .
 - (٤) انظر ترجمته ، ابن الديبتي ، ذيل ، ح ٣ ورقة ١٢٩ . المنذري ، التكملة ، م ٤ : ٢٦ — ٢٧ .
 - (٥) ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ورقة ٣٠ — ٣١ . (نسخة مكتبة الدراسات) وانظر ترجمته ، الاصبهاني ، الخريدة ، ح ٤ م ١ : ٢٥٠ وفيه مقتطفات من اشعاره . الصفدي ، الوافي ، ح ١٢ ورقة ١٩٣ (م) .

وسمع من أبي الفضل محمد بن ناصر وغيره ثم رحل إلى واسط (١).

ورحل إليها من ((البصرة)) أيضا أبو الفضل عبد الوهاب بن أحمد الانصاري البصري سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م وسمع بها الحديث من كبار المحدثين وروى بها شيئا من الاناشيد ثم قدمها ثانية سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م وقرأ كتاب التاريخ لأبي الحسن بن الزاغوني (٢).

وأضافة إلى ما تقدم فقد رحل إليها في هذه الفترة عدد آخر من العلماء والفقهاء والمحدثين من القوا الدرس وحدثوا بها أو ممن تتلمذ ونهل العلم بهنداد (٣).

الزهد والتصوف :

إن الظروف السياسية والاجتماعية والقلق النفسي دفعت بمجموعة من الصحابة والتابعين إلى الاعتزال عن الناس والرغبة عن الدنيا ، والانقطاع عن زخرفها والخلوة إلى حياة النسك والزهد والعبادة رافعة شعار القرار من الدنيا (٤). واستمرت حركة الزهد باستمرار عوامل ديموميتها ، زادت بها احتشام

-
- (١) ابن الديلمي ، ذيل ، م ١ : ٢٩٨ .
 - (٢) ابن الفجار ، التاريخ المجدد ، ج ١٠ ق ٢ ورقة ١١٥ .
 - (٣) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ : ٤٩ ، ١٦٤ . ابن الديلمي ، ذيل ، ج ١ ق ١ ورقة ١٢٤ . ج ١ ق ٢ ورقة ٢٢٤ ، ٢٨٦ . وم ٢ : ٨٠ ، ٩٦ (مطبوع) . ج ٣ ورقة ٧ ، ٨٧ . ابن النجار ، التاريخ المجدد ، ج ١٠ ق ١ ورقة ٩٨ . وق ٢ ورقة ٣٩٠ ، ٣٩١ . ابن الصابوني ، تكملة ، ٨٠ ، ٢٩١ . الصفدي ، الوافي ، ج ١٥ ورقة ٤٩ (م) . ابن أبي عديبة ، تاريخ دول الاعيان ، ٤ : ٣٧ .
 - (٤) فتاح ، د . عرفان عبد الحميد ، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، ٤٤٠ ، ٤٦ . وانظر كولد ، تسهير ، العقيدة والشرعية في الاسلام ، ١٤٧ .

المصادر والمراجع

(ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) (١) انه كان يطوف بأسواق بغداد ويعظ الناس . فامتلك اعجاب الوزير عون الدين بن هبيرة وصحبه مدة طويلة يقود جملة مننادى معه وكان ذلك قبل ان يلي الوزارة (٢) . وابو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) الواعظ الذي وصف بالزاهد المخشوش وكان قد انقطع الى الخلوة والمجاهدة ، كان له مجلس للوعظ كل يوم جمعة في جامع القصر يعظ الناس وهو واقفا (٣) .

وقد حاز الواعظ ابو منصور المظفر بن ابي الحسن (ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) مكانة كبيرة لدى الخليفة والسلطين السلاجقة على السواء (٤) . ولقي من الناس القبول التام حتى ان عامة الناس كانت تتسرك اشغالها لحضور وعظه (٥) .

ولغ من تعلق الناس بالوعظ ، ان عامة بغداد ضربت الجناس السلجوقي سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م الذي ارسلهم السلطان مسعود السلجوقي لقتل

(١) محمد بن يحيى الزبيدي ، اليمنى ، كان ادبها ونحوها ولغوها وعروضها مشارك في انواع من العلوم له تصانيف عديدة منها ((الرد على ابن الخشاب ، العروض ، منهاج الاقتفاء)) انظر ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٢ : ١٣٤ . السيوطي ، بغية ، ١١٣ . القرشي ، الجواهر ، ٢ : ١٤٢ .

(٢) ابن رجب ، ذيل ، ١ : ٢٥١ . وقد تعرض البديع الاصطرابي لهم بابيات من شعره ، انظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ : ٥٨١ .

(٣) انظر ترجمته ، ابن الجوزي ، ١٠ : ٢٢٩ . ابن الديبشي ، ذيل ، ٢ : ٤٩ — ٥٥٠ . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٨١ . الصفدي ، الوافي ، ٤ : ٤٤ .

(٤) انظر ص ١١٠ — ١١١ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١١ : ١٦٣ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ : ٧٥ .

الواعظ محمد بن الفضل الاسفراني، (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) (١) بسبب وشاية احد الوعاظ من اصحاب السلطان، ولم يكتف العامة بذلك بل اقاموا له عزاء ببغداد بعد سماعهم نبأ وفاته في بسطام، فاسمعوا الواعظ الواعظي كلاما قبيحا عندما حضر مجلس العزاء (٢).

ولفت التجربة الروحية لدى الزهاد والنساک ذروتها ومداهها بظهور المتصوفة الذين بالغوا في الوحدة ونهذ الدنيا والابتعاد عن الناس، ومجاهدة النفس والتكشف في مآكلهم وملبسهم (٣).

وخلال هذا العصر برز ثلاثة من اشهر شيخ التصوف في العراق وهم ابو النجيب السهروردي، والشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ ابو العباس احمد بن علي الرفاعي البطاحي.

فابو النجيب، عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي الصوفي (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) شيخ العراق في وقته (٤). وصدرها المشار اليه (٥).

(١) محمد بن الفضل ابو الفتح الاسفراني، احد الوعاظ الشافعية على مذهب الاشاعرة، كانت بينه وبين الفيزيائي بن خض وتحاسد، اخرج من بغداد ايام المسترشد ثم اعاده المقتدي الى بغداد، ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ١١٠ - ١١١.

(٢) انظر ابن الجوزي، المنتظم، ١٠ : ١١١.

(٣) فتاح، د. عرفان عبد الحميد، المصدر السابق، ٦٣ وانظر عن تطور الفلسفة الصوفية حتى القرن السادس الهجري، نكلسون، في التصوف الاسلامي وتطوره، ١٠٨ وما بعدها. قبر كيلاني، في التصوف الاسلامي، ٣٨ - ٥٥١ د. قاسم فني، تاريخ التصوف في الاسلام، ٦٢١ وما بعدها.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ٢ : ٢٧٣. الاسنوي، طبقات، ٢ : ٦٤ - ٦٥.

(٥) ابن المستوفي، تاريخ آريل، ١ : ١٠٧.

قدم بغداد سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م وهو شاباً وتغقه بالمدرسة النظامية على
اسعد السيهني (١). وسمع الحديث من ابن نهان وأبي بكر محمد بن
عبد الباقي الانصاري وزاهر الشامي وغيرهم (٢). وحفظ الكثير من كتب
الحديث والتفسير منها تفسير الواحدي (٣). وقرأ الادب على أبي زيد الفصحي
النحوي (٤). ثم صاحب الشيخ حماد الدباس الصوفي وأثر طريقة التصوف والرياضة
والتفرد وقصد الشيخ احمد بن محمد الغزالي، وأقام عنده مدة وعاد إلى
بغداد (٥). وبدأ الوعظ فظهر له القبول للكثير من اهل زمانه ملوكا وسلاطين
وزراء وعامة الناس (٦). حتى اشتهر اسمه في الافاق وقصده طلاب المعرفة
والعلم من انحاء العالم الاسلامي (٧).

-
- (١) السمعاني، الانساب، ٣١٨. ابن الديلمي، ذيل، ج ٣ ورقة ١٠٢. ابن
خلكان، وفيات، ٢٤ : ٢٧٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان،
٣ : ٢٨٩.
- (٢) ابن الديلمي، ذيل، ج ٣ ورقة ١٠٣. السبكي، طبقات، ٤ : ٢٥٦. ياقوت
الحموي، معجم البلدان، ٣ : ٢٨٩. ويذكر انه سمع باصبهان، وقدم
د. تحسين حميد دراسة مستفيضة عن شيوخه بالحديث في بحثه ((ابو
النجيب السهروردي)) تحت الطبع في مجلة المؤرخ العربي.
- (٣) الدلجي، الفلاكة والفلسوكون، ١٢٩.
- (٤) ابن الديلمي، ذيل، ج ٣ ورقة ١٠٣. السبكي، طبقات، ٤ : ٢٥٦.
- (٥) الدلجي، الفلاكة، ١٢٩.
- (٦) ابن الديلمي، ذيل، ج ٣ ورقة ١٠٣. السبكي، طبقات، ٤ : ٢٥٦.
- (٧) الشمراني، الطبقات الكبرى، ١ : ١٤٠. الدلجي، الفلاكة، ١٢٩.
- (٨) الشمراني، الطبقات الكبرى، ١ : ١٤٠.

ويظهر ان كثرة مرهديه (١) واصحابه من المثقفة والصوفية جعلته يتخذ من الخبرة التي كان يأوي اليها ايام تغرده وخلوته مكانا لا يواشهم وتدرسهم ، فابتنى بها طائفة والى جانبه مدرسته التي عرفت به فيها بعد (٢) . وقد ادت هاتان المؤسستان دورا علميا وتربويا بارزا ، حتى بعد وفاة ابي النجيب السهروردي (٣) .

وفي سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م (عين ابو النجيب مدرسا بالمدرسة النظامية ، لتدريس الفقه الشافعي ، بقي فيها مدة سنتين حيث عزل وكان ذلك سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) (٤) . عاد بعدها الى مدرسته للتدريس والوعظ واملاء الحديث و ((لزم طريقة التصوف حتى صار المشار اليه في علم الطريقة والتوحيد في سلوكها على الحقيقة)) (٥) . فانتفع به خلق كثير وكثر لــــه المريدون ، وانتشرت تلامذته في الاقاق (٦) . وظهرت كراماته (٧) . حتى لقب بقدوة الفريقين ، مفتي العراقيين (٨) .

- (١) المرید : هو المبتدئ المتجرد من ارادته ، وهو الذي يغني نفسه في الشيخ بترك اختيار نفسه . انظر د . عرفان عبد الحميد فتاح ، المصدر السابق ، ١٣٠ . قمر كيلاني ، المصدر السابق ، ١٣٠ .
- (٢) ابن خلکان ، وفيات ، ٢ : ٢٧٣ . السبكي ، طبقات ، ٤ : ٢٥٦ . الاسنوي طبقات ، م : ٦٤ .
- (٣) د . تحسين حميد ، ((ابو النجيب السهروردي)) بحث تحت الطبع في مجلة المؤرخ العربي .
- (٤) ابن خلکان ، وفيات ، ٢ : ٢٧٣ - ٢٧٤ . ابن الديبشي ، ح ٣ ، ورقة ١٠٣ . الاسنوي ، طبقات ، ٢ : ٦٤ . وانظر ابن الجوزي عن اسباب عزله ، المنتظم ، ١٠ : ١٤٧ .
- (٥) ابن الديبشي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ١٠٣ .
- (٦) السمعاني ، الانساب ، ٣١٨ ب . ابن الديبشي ، ح ٣ ، ورقة ١٠٣ .
- (٧) ابن المستوفي ، تاريخ آريل ، ١ : ١٠٧ .
- (٨) اليافعي ، مراء الجنان ، ٣ : ٣٧٢ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٤ : ٢٠٨ .

ومن أشهر مهديه وتلاميذته : أبو المرحا سالم بن عبد السلام
بن جردون الزاهد (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) (١) . وأبو شجاع عبد السلام بن
محمد بن عبد الرحيم الخطيب (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) (٢) والشيخ أبو نصر
عمر بن أبي بكر محمد بن أحمد الصوفي المعروف بأبن السديد البغدادي الذي
لبس خرقة (٣) التصوف منه (٤) . ويحيى بن القاسم المعروف بأبي مفرج التكريتي
الامام الفاضل والفقيه العالم (٥) . وغيرهم الكثير (٦) .

-
- (١) انظر ترجمته ، الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٢ : ١٩٩ ، السبكي ،
طبقات ، ٤ : ٢٢٠ ، ابن الفوطي ، تلخيص ، ح ٤ : ٧٨٤ ، الاسنوي ،
طبقات ، ١ : ٢٦٨ .
- (٢) انظر ترجمته ، ابن الديبشي ، ذيل ، ح ٣ ورقة ٥٥٧ ، السبكي ، طبقات ،
٤ : ٢٥٤ .
- (٣) الخرقة : لباس مصنوع من قطع مختلفة من القماش ، حل محل لباس
الصوف الذي كان يلبسه أوائل المتصوفة ، وللصوفية في لباس المريد الخرقة
فلسفة معينة منها انسلاخ ارادته الذاتية والفناء بأرادة الشيخ
والانسلاخ من الاخلاق الرديئة ، انظر د . عرفان عبد الحميد ، المصدر
السابق ، ١٣٠ .
- (٤) انظر ترجمته ، الذهبي ، المختصر المحتاج اليه ، ٣ : ١٠٩ ، ابن
الصابوني ، تكملة ، ٧٥ .
- (٥) انظر ترجمته ، ابن شامة ، ذيل الروضتين ، ١٢٠ ، ياقوت الحموي ،
معجم الادباء ، ٧ : ٢٨٨ - ٢٨٩ ، السبكي ، طبقات ، ٥ : ١٤٩ .
- السيوطي ، بغية ، ٤١٤ .
- (٦) انظر ابن الديبشي ، ذيل ، م ٢ : ٢٥ ، ح ٢ ق ٢ ، ورقة ٤٣ ، ح ٣
ورقة ٤ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ابن المستوفي ، تاريخ اربل ، ١ : ١١٤ ، ١١٠ ،
المنذري ، التكملة ، ٤ : ١٩٨ .

وقد صنف أبو النجيب السهروردي عدة مصنفات^(١)، ومن أشهرها كتاب ((آداب المريدين))^(٢) الذي لخص فيه آراءه بالتصوف، ويظهر أن الكتاب الفكنهاج عمل للمريدين البهتدين السالكين لطريقة الصوفية، ففي ذلك يقول السهروردي ((٠٠ لا بد لطالب كل شيء أن يعلم ماهية ذلك الشيء وحقيقته، حتى تتكامل له الرغبة فيه، ولا يصح لأحد أن يسلك طريق الصوفية حتى يعرف عقائدهم وأدابهم في ظاهريهم وباطنيهم ٠٠ حتى يحذو حذوهم))^(٣).

وتناول أبو النجيب في كتابه معتقد الصوفية ((فالصوفية أجمعوا على أن الله عز وجل واحد لا شريك له، موصوف بما وصف به نفسه، مسمى بما سمي به نفسه، ليس بجسم ولا بجوهر ولا أعراض له ولا أبعاد ٠٠ لا تلحقه المباديات ولا تمنعه الاشارات ٠٠٠ ولا تدركه الابصار))^(٤).

وأكد السهروردي ضرورة ربط العلم بالعمل باعتباره أحد السبيل إلى الصوفية للوصول إلى الحقيقة بقوله ((أن أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على الطلب والموهبة تبلغ غاية العلم))^(٥) وقد لخص ذلك بقوله ((فإذا تجرد العلم عن العمل كان عقيماً وإذا خلا العمل عن العلم كان سقيماً))^(٦).

كما بين التسلسل الهرمي لطبقات الصوفية ومقام كل طبقة وما ينبغي أن تكون عليه ((فاهل التصوف على ثلاث طبقات مريد طالب ومتوسط سائر،

(١) انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ١ : ٤٣، ٢ : ١١٠٠. كما له، معجم المؤلفين، ٥ : ١١٣.

(٢) انتهى د. تحسين حميد من تحقيق هذا المخطوط وسينشر قريباً.

(٣) آداب المريدين ورقة ١١ - أ ب.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) المصدر نفسه ورقة ٦ ب.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

ومنتهى وأصله فالمرید صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهى صاحب يقين . . . فمقام المرید المجاهدات والمكایدات وتجرجع المرات . . . ومقام المتوسط ركوب الاحوال في طلب المراد ومراعاة الصدق في الاحوال . . . وهو صاحب تلويين لأنه يرتقي من حال الى حال . . . ومقام المنتهى الصمود والثبات واجابة الحق من حيث دطه)) (١) .

كما بين ايضاً آداب المریدين في محبة بعضهم البعض الآخر وادابهم في السفر واللباس والاكل والنوم والسماح والتواضع والسؤال والمرض والمهمات وغيرها (٢) .

اما ابو محمد عبد القادر بن ابي صالح الجيلاني في (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م) فقد وصف بأنه شيخ العصر وقدوة العارفين ، سيد اهل الطريقة في زمانه (٣) . الفقيه المحدث والعالم الزاهد (٤) . صاحب الكرامات والمقامات والعلوم والمعارف (٥) . قدم بغداد شاباً وسمع الحديث من كبار المحدثين مثل ابي بكر احمد بن سوسن التمار وابن بيان (٦) . وابي غالب بن الباقلاني وابن السراج وغيرهم (٧) ودرس الفقه على ابي سعد المبارك

-
- (١) ابو النجيب السهروردي، آداب المریدين ، ورقة ٦ .
 - (٢) انظر المصدر السابق، ورقة ١٢ وما بعدها .
 - (٣) ابن رجب، ذيل، ١ : ٢٩٠ . ابن تفری بردي، النجوم الزاهية ، ٥ : ٣٧١ . ابن شاکر الکتبي، فوات ، ٢ : ٤ .
 - (٤) ابن الفوطي، تلخيص، ٤ : ٣ : ١٠٧ .
 - (٥) الديماطي، المستفاد ، ورقة ٥٠ . الصفدي، الوافي، ١٥ - ١٢ ق ٢ ورقة ٢٣٩ . ابن رجب، ذيل، ١ : ١١٠ . وانظر اليافعي، مرآة الجنان ، ٣ : ٣٥٤ - ٣٥٥ .
 - (٦) ابن الجوزي، المنتظم ، ١٠ : ٢١٩ . ابن المستوفي، تاريخ آريـل، ١ : ٩٥ .
 - (٧) ابن المستوفي، تاريخ آريـل، ١ : ٩٥ . الديماطي، المستفاد ، ورقة ٥٠ . اليافعي، مرآة الجنان ، ٣ : ٣٥٣ .

ابن المخري (١) . وابي الخطاب الكلوزاني وابي الوفاء علي بن غفيل (٢) حتى برع في المذهب والخلاف والاصول (٣) . وقرأ الادب على ابي زكريا التبريزي (٤) . ثم لازم الانقطاع والرياضة والمجاهدة ، وصحب الشيخ حماد الدباس واخذ منه علم الطريقة واقام معه حتى توفي (٥) . ولبراعته في الفقه والوعظ فوضت اليه المدرسة التي بناها ابو سعد المخري ، فجلس فيها للدرس والوعظ حتى ضاقت المدرسة بالناس (٦) . وبلغ مكانة عظيمة في عصره ، فعظمه اكثر مشايخ زمانه من العلماء والزهاد وحضر مجالسة كبار رجالات الدولة حتى الخليفة نفسه (٧) .

وكثر مریدوه واصحابه ، وتلمذ عليه الكثير من كانوا يقرأون عليه بمدرسته التفسير والحديث والمذهب والاصول والخلاف حتى النحو (٨) . ومن اشهر

- (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٥ : ٢١٩ . الصفدي ، الوافي ، ١٥٥ - ١٧ ق ٢ ورقة ٢٣٩ . ابن شاکر الکتي ، فوات ، ٤ : ٢ . ومنه اخذ خرقة التصوف . ابن الوردی ، تاريخ ، ١٠٢ : ٢ . ابن رجب ، ذیل ، ١ : ٢٩٠ .
- (٢) الدمياطي ، المستفاد ، ورقة ٥٠ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ٣٥٣ : ٣ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٤ : ١٩٩ .
- (٣) ابن رجب ، ذیل ، ١ : ٢٩٠ .
- (٤) الدمياطي ، المستفاد ، ورقة ٥٠ . ابن الوردی ، تاريخ ، ١٢ : ٢ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ٣٥٣ : ٣ .
- (٥) الدمياطي ، المستفاد ، ورقة ٥٠ . ابن الوردی ، تاريخ ، ١٢ : ٢ . ابن رجب ، ذیل ، ١ : ٢٩١ .
- (٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠٥ : ٢١٩ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٤ : ١٩٩ . ويذكر ان عدد من كان يحضر مجلسه قد قدر بسبعين الفا . ابن الوردی ، تاريخ ، ٢ : ١٠٠ . وهو رقم مبالغ فيه .
- (٧) انظر ابن رجب ، ذیل ، ١٥ : ٢٩٣ . التادفي الحنبلي ، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ١٦٦ . وانظر الفتح الرياني والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلاني ، ٣٦٥ .
- (٨) الشمراني ، الطبقات الكبرى ، ١٢٧ : ١ . ويذكر انه اتقن سبعة عشر علما .

مرديه واصحابه وتلاميذته ، عدى بن مسافر (١) . وعمر الدمشقي القرشي (٢) .
وعمر بن ابي بكر الدزيجاني (٣) . وعبد الله بن ابي الحسن الجبائي الذي
ترك بغداد بعد وفاة شيخه (٤) . وغيرهم ومنهم اولاده واحفاده الذين
سار اكثرهم على طريقته التي عرفت بعدئذ بالطريقة القادرية (٥) .

وقد صنف الشيخ الجبلاني عدة تصانيف (٦) منها كتاب الفتح الرياني
والفيض الرحماني الذي هو عبارة عن مجموعة مجالس له بالذكر مؤرخة باليوم
والسنة والكان (٧) . وفيها خلاصة لآرائه في الزهد والتصوف وحث المريدين
على الالتزام بالشرع ، وما ينهي للمريد الالتزام به واتباعه من اجل الوصول
للحقيقة لذلك جاء الكتاب بصيغة المخاطبة على اسلوب المشايخ واهل الطرق (٨) .

- (١) انظر ترجمته ، الشمراني ، الطبقات الكبرى ١ : ١١٨ . ابن كثير ،
البداية والنهاية ١٢ : ٢٤٣ . ابن تغري مردى ، النجوم الزاهرة ،
٣٦١ : ٥ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٤ : ١٧٩ .
- (٢) انظر ترجمته ، ص
- (٣) انظر ترجمته ، ابن المستوفي ، تاريخ اربل ١ : ٣٦٧ و ٢ : ٥٦٨ .
- (٤) ابن الديلمي ، ذيل ، ح ٣ ، ورقة ٢١ .
- (٥) انظر ابن الديلمي ، ذيل ، م ٢ : ٦٩ . ح ٢ ق ١ ورقة ٩٠ . ابن النجار ،
التاريخ المجدد ، ح ١٠ ق ٢ ورقة ١٢٣ . المنذرى ، التكملة ، م ٢ : ٩٦ .
م ٣ : ٦٥ ، ١٧٨ وم ٤ : ١١٠ . ابن الصابوني ، تكملة ، ٣٦٨ . وانظر
التادفي الحنبلي ، قلادة ، ص ٥٣ - ٦١ .
- (٦) انظر حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١ : ٦٦٢ ، ٨٧٩ ، ٢ : ١٢٤٠ ،
١٧٣٨ ، ٢٠٥٣ . وانظر فهرس مخطوطات المكتبة القادرية .
- (٧) انظر على سبيل المثال ، الصفحات ٩١ ، ١٧ ، ٢١ ، ٩٦ ، ١١٧ ، ١٤١ ،
١٩٠ .
- (٨) ينادى الشيخ الجبلاني مرديه بصيغة (ياظلام) انظر على سبيل
المثال الصفحات ١١ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٢٧ ، ٢٢٨ .

فقد حث الشيخ عبد القادر مردييه على الالتزام بالقرآن والسنة بوصفها ركنين اساسيين للمتصوف فيقول ((العمل بالقرآن يوقفك على منزلة ، والعمل بالسنة يوقفك على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يبرح بقلبه وهمته من حول قلب القوم ، هو المطيب والبخر لها ، المصطفى لاسرارهم ٠٠ هو السفير بين القلوب والاسرار وبين ربها عز وجل)) (١) .

ويوصي مردييه واتباعه بترك الدنيا والخلوة ((اهينوا الدنيا فانها والله لا تطيب الا باهانتها)) (٢) ويوضح الفائدة من ترك الدنيا والعزلة عن الناس بقوله ((الدنيا حجاب عن الآخرة ، والآخرة حجاب عن الدنيا والآخرة كل مخلوق حجاب عن الخالق ٠٠٠ لا تلتفت الى الخلق ولا الى الدنيا ولا الى ما سوى الحق عز وجل حتى تأتي الى باب الحق باقدام شرك وصحة زهدك)) (٣) .

ويوجه الجيلاني متصوفته ومردييه الى الطريق الصحيح للتصوف مخاطباً اياهم ((٠٠٠ يا من لبس الصوف البس الصوف لسرك ثم لقلبك ثم لنفسك ، ثم لبدنك ، بداية الزهد من هناك تكون ، لا من الظاهر الى الباطن ، اذا صفا السر تعدى الصفاء الى القلب والنفس والجوارح والماكول والملبوس ٠٠٠)) (٤) .

ويؤكد ايضا على ضرورة مصاحبة المتصوف البتدي للشيخ وخدمتهم ((فمن ليس له شيخ فابليس شيخه)) (٥) فضرورة مصاحبتهم تكمن بانهم ((٠٠ يدلونك على الحق عز وجل ، وما وصل من وصل الا بالعلم والزهد في الدنيا والاعراض عنها ٠٠٠ واذا كنت على اثر القوم قولوا وفعلا خلوة وجلوة ،

(١) الفتح الرباني ، ص ٧٦ وانظر ص ١١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٦ ، وانظر ص ١٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

(٤) الفتح الرباني ، ص ١١١ وانظر ايضا ص ١١٤ ، ١١٦ ، ٢٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٦٢ .

علما وعلا ٠٠٠ فحينئذ يمدك الله نورا ترى به نفسك وغيرك)) (١).

وابو العباس احمد بن علي بن احمد المعروف بأبن الرفاعسي
(ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) الذي وصفه المؤرخون بالزاهد القدوة (٢). شيخ
العارفين (٣) صاحب الاحوال والكرامات (٤).

ولد ابو العباس سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) بالبطائح وتكفل بتربيته وتأديبه
خاله منصور البطايعي الزاهد (٥). ثم تفقه بالمذهب الشافعي، وقرأ الكتب
الفقهية العديدة ومنها ((شرح التبيه)) لأبي اسحق الشيرازي والبالغ بالزهد
والعبادة والتجرد (٦). حتى ليؤثر عنه القول ((سلكت كل طريق فما رأيت
اقرب ولا اسهل ولا اصلح من الذل والافتقار والانكسار لتعظيم امر الله والشفقة
على خلق الله)) (٧). فكان يحمل الحطب للارامل والمساكين ويستقي لهم الماء
ويوزر المجذومين، حتى وصف بالتواضع والقناعة (٨).

وقد مارس الخطابة والوعظ، حتى شاع ذكره في الافاق بكلامه الرفيع
واسلوبه البديع (٩). فتبعه خلق عظيم من الفقهاء وعامة الناس واحسنوا فيه

-
- (١) المصدر نفسه، ١٣٦.
 - (٢) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ١ : ٣٨٥. اليافعي، مرآة الجنان، ٣ : ٤٠٩.
 - (٣) الفسائي، المسجد المسبوك، ١٨٧ (القسم المطبوع).
 - (٤) السبكي، طبقات، ٤ : ٤٠. الاسنوي، طبقات، ١ : ٥٨٩.
 - (٥) السبكي، طبقات، ٤ : ٤٠. الشعمراني، الطبقات الكبرى، ١ : ١٤٠. الذهبي، المعبر، ٤ : ٢٣٣.
 - (٦) الذهبي، المعبر، ٤ : ٢٣٣. الصفدي، الوافي، ٧ : ٢١٩.
 - (٧) السبكي، طبقات، ٤ : ٤٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٤ : ٢٦٠.
 - (٨) الفسائي، المسجد المسبوك، ١٨٧ (القسم المطبوع). اليافعي، مرآة الجنان، ٣ : ٣٠٩. الشعمراني، الطبقات الكبرى، ١ : ١٤٢.
 - (٩) ابن القوطي، تلخيص، ٤ : ٣ ص ٥٣٥.

الاعتقاد ، فانتبهت اليه الرئاسة في علوم الطريقة ومه عرف امر تربية المريدين بالبطائح فتخرج بصحبته خلائق لا يحصون سموا بالطائفة البطائحية ————— او الرفاعية (١) .

ومن آرائه التربوية التي يدعو فيها الى مساعدة الفقراء قوله ((الصدقة افضل من العيادات البدنية والنوافل)) (٢) . ويقول ايضا ((الفقراء اشرف الناس لان الفقر لباس المرسلين وجلباب الصالحين وتاج المتقين ونيية المريدين)) (٣) .

كما كان كثيرا ما يؤكد على العلم في مواعظه فيقول ((ما اقبح الجهل بالالياه والعلة بالاطباء والجفاء بالاحباب)) (٤) . ويسجدو ان العلم عند الرفاعي خطوة اولية للانسان لتقويم النفس لخدمة الناس والمجتمع فيقول ((اذا اراد عز وجل ان يرقى العبد الى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه اولا ، فاذا أدب نفسه واستقامت معه كلفه بأهله فان احسن اليهم ، . . . كلفه بجيرانه واهل محله . . .)) وهكذا وصولا الى بلده ثم الى بلدان اخرى (٥) .

-
- (١) ابن خلكان ، وفيات ، ١ : ١٥٤ . الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ١ : ١٤١ .
وقد انتشرت بين اصحابه فيما بعد بعض الخرافات وكثر الزغل فيهم وتحذرت لهم احوال شيطانية كركوب الاسود ودخول التنانير وهي مشتعلة واللعب بالشعابين وهذا ما لا عرفه الشيخ الرفاعي . انظر الذهبي ، المعبر ، ٤ : ٢٣٣ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ٣ : ٤٠٩ .
- (٢) الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ١ : ١٤٠ .
- (٣) المصدر نفسه والصفحة .
- (٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
- (٥) الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ١ : ١٤٣ .

ومن آرائه بالزهد قوله ((الزهد اساس الاحوال المرضية والمراتب العالية وهو اول قدم القاصدين الى الله تعالى والراضين عنه والمتوكلين عليه ، فان لم يحكم اساسه في الزهد لم يصح له شيء بعده)) (١)

وفي المريدين يقول ((ومن علامة اقبال المريد ان لا يتعجب شيخه في تربيته ، بل يكون سميما مطيعا للاشارة وان يفتخر به شيخه ، الا انسه يفتخر بشيخه)) (٢) .

وقد صنف الشيخ ابو العباس عدة تصانيف منها ((البرهان)) و((الطريق الى الله)) و((حالة اهل الحقيقة مع الله)) و((النظام الخاص لاهل الاختصاص)) وغيرها (٣) .

-
- (١) المصدر نفسه والجزء ١ ، ١٤٠ .
 - (٢) المصدر نفسه والجزء ١ ، ١٤٢ .
 - (٣) انظر كحالة ، معجم المؤلفين ، ٢ : ٢٥ .

أولا - المصادر الخطية :

ابن أبي عذينة : شهاد ب الدين احمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)
١ - " تاريخ دول الاعيان " الجزء الرابع ، نسخة مكتبة المتحف

العراقي برقم " ٩٢٠١ " .

الهند اري : الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)
٢ - " تاريخ بغداد " نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا

بجامعة بغداد برقم " ١٢٣٢ " .

ابن حمدون : محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)
٣ - " التذكرة الحمدونية " ح ١٢ نسخة مصورة في مكتبة

الدراسات العليا بجامعة بغداد برقم " ١٢٨٢ " .

ابن الديلمي : محمد بن سعيد بن يحيى الواسطي (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)
٤ - " ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد " نسخة مصورة في مكتبة

الدراسات العليا بجامعة بغداد ح ١ ق ١ برقم " ١٥٢ "

ح ١ ق ٢ برقم " ٥٧٤ " ح ٢ ق ١ برقم " ٤٤٦ " ح ٢ ق ٢

برقم " ٣٥٠ " ح ٣ نسخة المجمع العلمي العراقي برقم

" ٥٨٢ " .

الديلمي : شهاب الدين احمد بن ايوب (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
٥ - " المستفاد من ذيل تاريخ بغداد " ح ٨ أجزاء بمجلد

واحد ، نسخة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد

برقم " ٢٥ " مخطوطات .

الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
٦ - " ملخص تاريخ الاسلام " ٨ ح ٥ ٨ نسخة مكتبة الأوقاف
العامة برقم ٥٨٩٢ / تاريخ ٠ لخصه احمد بن محمد بسنن
علي الحلبي الحصكفي (ت ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م) ٠

ابن الصلاح الشهرزوري : ابو عمر وتقي الدين عثمان بن عبد الرحمن
(ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م)
٧ - " طبقات الشافعية " نسخة مكتبة الدراسات العليا بجامعة
بغداد برقم " ١٢٨٩ " ٠

الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
٨ - " الوافي بالوفيات " نسخة مصورة في المكتبة المركزية
بجامعة بغداد برقم ٩٢٠ / عن ف ٠

ابن ظافر الازدي : جمال الدين ابو الحسن علي بن ظافر بن حسن
(ت ٦١٣ هـ / ١٢١٤ م)
٩ - " اخبار الدول المنقطعة " نسخة الدكتور عبد الجبار ناجي
عن الاصل الموجود في مكتبة
امارني اياها مشكورا ٠

العظيمي : محمد بن علي (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م)
١٠ - " تاريخ العظيمي " نسخة مصورة في مكتبة المتحف العراقي
برقم " ٩٤١٢ " عن الاصل الموجود في مكتبة بايزيد العامة -
اسطنبول - تركيا ٠

القساني : ابو العباس اسماعيل بن العباس الرضوي (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م)
١١ - " المسجد المسبوك والجواهر المحكوك في اخبار الخلفاء والملوك
نسخة مصورة في مكتبة المتحف العراقي
٣٦ / تاريخ ٠ ح ٢ ق ٢ برقم ٣٧ / تاريخ ٠

ابن النجار : محب الدين ابو عبد الله محمد بن محمود (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)
١٢- " التاريخ المجدد لمدينة السلام واخبار فضلائها الاعلام
ومن ورد ها من علماء الانام " نسخة مكتبة المجمع العلمي
العراقي وتقع بارب مجلدات برقم ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ / تاريخ
ونسخة مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد برقم " ٥٧٥ " .

ثانيا - المصادر المطبوعة :

ابن ابي اصيبعة : موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)
١٣- " عيون الانباء في طبقات الاطباء " تحقيق الدكتور نزار
رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥ .

الاريلي : عبد الرحمن سنبط قنتبهو الاريلي (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م)
١٤- " خلاصة الذهب المسهوك ، مختصر في سير الملوك " .
صححه وعلق عليه مكي السيد جاسم ، بغداد ١٩٦٤ .

ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)
١٥- " التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية " تحقيق الدكتور
عبد القادر احمد طليحات ، دار الكتب الحديثية
القاهرة ١٩٦٣ .

١٦- " الكامل في التاريخ " دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

الاسنوي : جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)
١٧- " طبقات الشافعية " جزان تحقيق عبد الله الجبوري ،
مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٠ - ١٩٧١م .

الاصفهاني : عماد الدين ابو حامد محمد بن محمد القرشي (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م)

١٨- " خريدة القصر وجريدة العصر " القسم العراقي ، ح ١ تحقيق

الدكتور جميل سعيد ومحمد بهجت الاثرى ، ح ٢ تحقيق

الاثرى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ ، ١٩٦٥ ح ٣

م ١ ، ح ٤ م ١ ، ح ٤ م ٢ منشورات وزارة الاعلام العراقية ،

١٩٧٣ ، ١٩٧٦ . قسم شعراء الشام ، تحقيق الدكتور

شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦٤ .

ابن الانباري : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م)

١٩- " نزهة الالباء في طبقات الادباء " تحقيق الدكتور ابراهيم

السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٩ .

الباعوني : شمس الدين محمد بن احمد الشامي الدمشقي (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م)

٢٠- " تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء " ، تحقيق

يوسف البان سركيس ، مجلة المقتطف لسنة ١٩٠٨ .

ابن بسام : محمد بن احمد

٢١- " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " ، تحقيق حسام الدين

السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ .

البنداري : الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)

٢٢- " تاريخ دولة آل سلجوق " ، دار الافاق الجديدة ، بيروت

١٩٧٨ .

بنيامين : ابن يونة التطيلي النباري الاندلسي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)

٢٣- " الرحلة " ترجمة وتعليق عزرا حداد ، المطبعة الشرقية ،

بغداد ١٩٤٥ .

ابن تغري بردى : جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)
-٢٤- " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، القاهرة -

١٩٢٩ - ١٩٥٦ .

ابن جبير : ابو الحسن محمد بن احمد الكتاني الاندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)
-٢٥- " الرحلة " ، منشورات دار الهلال ، بيروت ١٩٨١ .

ابن الجزري : شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)
-٢٦- " غاية النهاية في طبقات القراء " تحقيق برجستراسر ،
القاهرة ١٩٣٢ .

ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
-٢٧- " تلبيس ابليس " ، دار الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٦٨هـ .
-٢٨- " مشيخة ابن الجوزي " ، تحقيق محمد محفوظ ، تونس ١٩٧٧ .
-٢٩- " المصباح المضي في خلافة المستضي " ، تحقيق ناجية
عبد الله ابراهيم ، مطبعة الاوقاف ، بغداد ١٩٧٦ .
-٣٠- " مناقب بغداد " ، منسوب اليه ، تحقيق محمد بهجت الاثرى ،
بغداد ١٣٤١هـ .

-٣١- " مناقب الامام احمد بن حنبل " ، دار الافاق الجديدة ،
بيروت ١٩٧٧ .

-٣٢- " المنتظم في تاريخ الملوك والامم " ، حيدر اباد الدكسن ،
الهند ، ١٣٥٨هـ .

الجيلاني : عبد القادر بن عبد الله بن ابي صالح (ت ٥٦١هـ / ١١٦٥م)
-٣٣- " الفتح الرباني والفيض الرحمانى " ، دار العلوم الحديثة ،
بيروت ١٩٨٣ .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)
٣٤- " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " ، باعتناء محمد
شرف الدين بالتقيا ، طبعة وكالة المعارف التركيسة ،
استانبول ١٩٤١ - ١٩٤٣ .

الحسيني : علي بن ناصر بن علي (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)
٣٥- " اخبار الدولة السلجوقية " ، تحقيق محمد اقبال ، لاهور
١٩٣٣ .

الحوي : ابو الفضائل محمد بن علي (ت ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م)
٣٦- " التاريخ المنصوري " ، عني بنشره بطرس غرياز ينويج ، موسكو
١٩٦٠ .

الحيص بيص : شهاب الدين ابو الفوارس سعد بن محمد الصبغي التميمي
(ت ٥٧٤هـ / ١١٧٨م)
٣٧- " الديوان " ، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي
السبع ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٤ .

ابن خلدون : ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٨٢م)
٣٨- " المقدمة " ، دار العودة ، بيروت (بدون تاريخ) .
٣٩- " كتاب المعبر ودويوان المبتدا والخبر " ، دار الكتاب
الليبناني ، بيروت ١٩٦٦ .

ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر
(ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
٤٠- " رفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان " ، ٦ أجزاء ،
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة
بمصر ١٩٤٨ .

- الخوانساري : محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م)
- ٤١- " روضات الجنان في احوال العلماء والسادة " ٨ أجزاء ، تحقيق اسد الله اسماعيليان ، طبعة طهران ١٣٩٠ هـ .
- ابن الديبشي : ابو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الواسطي (ت ١٢٣٩ هـ / ١٢٣٧ م)
- ٤٢- " ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، مجلدان ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، منشورات وزارة الاعلام العراقية - ١٩٧٤-١٩٧٩ .
- ابن دحية : ابو الخطاب عمر بن ابي علي (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)
- ٤٣- " كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس " ، تحقيق عباس الحزاي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٦ .
- الدلجي : شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م)
- ٤٤- " الفلاكة والمفلوكون " ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ١٣٨٥ هـ .
- الدميري : محمد بن موسى الشافعي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
- ٤٥- " حياة الحيوان الكبرى " ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة (بدون تاريخ) .
- الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ / ١٥٥٨ م)
- ٤٦- " تاريخ الخميس في احوال انفس ونفيس " ، القاهرة ١٢٨٣ هـ .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
- ٤٧- " تذكرة الحفاظ " ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٨ .
- ٤٨- " دول الاسلام " ، تحقيق فهد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ .

٤٩- " العبر في خبر من غير " ، تحقيق الدكتور صلاح المنجد ،

الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٣ .

٥٠- " المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابي عبد الله

محمد بن سعيد الديبشي " ، ٣ أجزاء ، تحقيق الدكتور

مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد

١٩٥٥ ، ١٩٦٣ ، ١٩٧٧ م . ١

٥١- " المشتبه في الرجال اسمائهم وانسابهم " ، تحقيق علي

محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٢ .

٥٢- " معرفة القراء الكبار على الاعصار " ، جزءان ، تحقيق محمد

سيد جاد الحق ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٩٦٩ .

ابن الراهب : بطرس بن ابي الكرم بن المذهب المعروف بابن الراهب
(ت)

٥٣- " تاريخ ابن شاعر " ، غني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي ،

بيروت ١٩٠٣ .

الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م)

٥٤- " راحة الصدور واية السرور " ، نقلها الى العربية الدكتور

ابراهيم امين الشواربي واخرون ، مصر ١٩٦٠ .

ابن رجب : ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)

٥٥- " ذيل طبقات الحنابلة " ، تحقيق محمد حامد النقاشي ،

مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

الروذراوري : ابو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م)

٥٦- " ذيل كتاب تجارب الامم " ، تحقيق هـ . ف . امدروز ، طبعة

شركة التدن الصناعية بمصر ١٩١٦ م .

- الزبيدي : السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م)
٥٧- " تاج العروس من جواهر القاموس " ، دار ليبيا للنشر ،
بنغازي ١٩٦٦ .
- ابن الساعي : ابو طالب علي بن انجب (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م)
٥٨- " الجامع المختصر " ، ح ٩ ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ،
بغداد ١٩٣٤ .
- ٥٩- " مختصر اخبار الخلفاء " ، ط ١ ، المطبعة الاميرية ، مصر
١٣٠٩ هـ .
- سبط ابن الجوزي : شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلسي (ت ٦٥٤هـ /
١٢٥٦م)
٦٠- " مرآة الزمان في تاريخ الاعيان " ، ح ٨ ، حيدر آباد
الدين ، الهند ١٩٥١-١٩٥٢ .
- السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)
٦١- " طبقات الشافعية الكبرى " ، المطبعة الحسينية المصرية
(بدون تاريخ) .
- السمعاني : ابو سعد عبد الكريم التميمي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)
٦٢- " الانساب " ، طبعة حرجليوت ، ليدن ١٩١٢ .
٦٣- " التحبير في المعجم الكبير " ، جز ١ ، تحقيق الدكتور
منيرة ناجي سالم ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٥ .
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) -
٦٤- " تاريخ الخلفاء " ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،
مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٢ .

- ٦٥- " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " ، عنسي
بتصحيحه محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة بمصر
١٣٢٦ هـ .
- ٦٦- " حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة " ، المطبعة
الشرفية بمصر ١٣٢٧ هـ .
- ابن شاکر الکتبی : محمد بن احمد (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
٦٧- " عيون التواريخ " ، ١٢ ح ، تحقيق الدكتور فيصل السامسر
ونبيلة عبد المنعم ، بغداد ١٩٧٧ .
- ٦٨- " فوات الوفيات " ، جز ١ ، تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١ .
- ابو شامه : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٦ م)
٦٩- " الروضتين في اخبار الدولتين " ، تحقيق الدكتور محمد
حلمي محمد احمد ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ٧٠- " الذيل على الروضتين " ، تراجم رجال القرنين السادس
والسابع " ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ١٩٤٧ .
- الشعراني : عبد الوهاب بن احمد الانباري (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م)
٧١- " لواقح الانوار في طبقات الاخيار المسمى بالطبقات
الكبرى " ، ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر
١٩٥٤ .
- الشهرزوري : شمس الدين محمد بن محمود (ت بعد سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م)
٧٢- " نزهة الارواح وروضة الافراح " ، جز ١ ، تحقيق خورشيد
احمد ، حيدرآباد الدکن ، الهند ١٩٧٦ .

الشيذري : عبد الرحمن بن نصر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
٧٣- " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " ، نشر الباز العرينسي ،
١٩٤٦ .

الصابي : ابو الحسن هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م)
٧٤- " تحفة الامراء في تاريخ الوزراء " ، تحقيق عبد الستار
احمد فراج ، دار الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨ .

ابن الصابوني ، جمال الدين محمد بن علي (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م)
٧٥- " تكملة اكمال الاكمال " ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ،
بغداد ١٩٥٧ .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)
٧٦- نكت الهميان في نكت العميان " ، تحقيق احمد زكي بسك ،
المطبعة الجمالية ١٩١١ .

٧٧- " الوافي بالوفيات " ، ١ - ح ٤ ، باعثناء هلموت ريتسر ،
فيسبادن ١٩٦١ ، ح ٥ - ح ٦ باعثناء س . ديد رينسخ ،
دار صادر ، بيروت ١٩٧٠ - ١٩٧٢ ، ح ٧ ، تحقيق احسان
عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٩ .

ابن الطقطقي ، محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)
٧٨- " الفخرى في الاداب السلطانية " ، دار صادر ، بيروت
١٩٦٠ .

ابن العبري ، ابو الفرج غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)
٧٩- " تاريخ مختصر الدول " ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت
١٩٥٨ .

ابن العديم ، عمر بن احمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م)
٨٠- " زبدة الحلب من تاريخ حلب " ، تحقيق سامي الدهان ،
دمشق ١٩٥١ .

ابن العربي ، ابو بكر محي الدين (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م)
٨١- " كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار " ، القاهرة ١٢٨٢هـ .

عمارة اليميني ، نجم الدين بن ابي الحسن الحكيم (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م)
٨٢- " النكت المصرية في اخبار الوزراء المصرية " ، تحقيق هرتويخ
درنبرغ ، باريس ١٨٩٧ .

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
٨٣- " شذرات الذهب في اخبار من ذهب " ، منشورات المكتب
التجاري للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ) .

ابن العمرائي ، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م)
٨٤- " الانباء في تاريخ الخلفاء " ، تحقيق الدكتور قاسم
السامرائي ، ليدن ١٩٧٣ .

عمرو بن متي ،
٨٥- " اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجلد " روما
١٨٩٦ .

ابن عنبه ، جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م)
٨٦- " كتاب عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب " ، بومبي
١٣١٨هـ .

الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م)
- " مطالع البدور في منازل السرور " ط ١ ، مطبعة
ادارة الوطن ١٣٠٠ هـ .

الفساني ، ابو العباس اسماعيل الرسولي (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)
٨٧- " المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء
والملوك " ، تحقيق الدكتور شاكر محمود عبد المنعم ،
دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٥ .

الفارقي ، احمد بن يوسف بن علي بن الازرق (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)
٨٨- " تاريخ الفارقي " ، تحقيق الدكتور بدرى عبد اللطيف عوض ،
الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٥٩ .

الفاسي المكي ، تقي الدين محمد بن احمد (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٦م)
٨٩- " شفاء الغرام باخبار البلد الحرام " ، مطبعة عيسى اليابسي
الحلبي ، ١٩٥٦ .

ابو الفدا ، اسماعيل بن علي بن محمد (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
٩٠- " المختصر في اخبار البشر " ، دار المعرفة للطباعة والنشر ،
بيروت ، بدون تاريخ .

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)
٩١- " تاريخ ابن الفرات " ، ٤ ، ٤١ ، تحقيق الدكتور حسن
محمد الشماع ، مطبعة حداد ، بغداد ١٩٦٧ .

ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)
٩٢- " تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب " ، ٤ ، ٤١ ، ٤٣ ،
٤٤ ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، دمشق ١٩٦٣ - ١٩٦٧ ،
٥ ، باعتناء الحافظ محمد عبد القدوس القاسمي ، لاهور ١٩٣٩ .

- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)
٩٣- " القاموس المحيط " ، مطبعة البابي الحلبي بمصر
١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ابن قاضي شهبه ، ابو بكر بن احمد بن محمد الاسدي (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م)
٩٤- " طبقات الشافعية " ، باعثناء الدكتور عبد العليم خان ،
حيدرآباد الدكن ، الهند ١٩٧٨-١٩٧٩ .
- ٩٥- " الكواكب الدرية في السيرة النورية " ، تحقيق الدكتور
محمود زايد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧١ .
- القرشي ، محي الدين ابو محمد عبد القادر الحنفي (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م)
٩٦- " الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية " ، حيدرآباد الدكن ،
الهند ١٣٣٢هـ .
- القرماني ، ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م)
٩٩- " كتاب اخبار الدول واثار الاول " ، بيروت ، بدون تاريخ .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)
١٠٠- " آثار البلاد واخبار العباد " ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ .
- القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)
١٠١- " انباء الرواة على انباء النحاة " ، تحقيق محمد ابو الفضل
ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠-١٩٥٥ .
- ١٠٢- " تاريخ الحكماء " ، باعثناء جوليوس ليبيرت ، لينزك ١٩٠٣ .
- ١٠٣- " المحمدون من الشعراء " ، تحقيق حسن معمرى ،
منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة بن اسد (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)
١٠٤- " ذيل تاريخ دمشق " ، تحقيق امدرود ، مطبعة الابسا
اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ .

القلقشندی ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
١٠٥- " مآثر الانافة في معالم الخلافة " ، تحقيق عبد الستار
احمد فراج ، الكويت ١٩٦٤ .

١٠٦- " صبح الاعشى في صناعة الانشا " ، المطبعة الاميرية
بالقاهرة ١٩١٣م .

الكاظمي ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)
١٠٧- " مقام في قواعد بغداد " ، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل
عواد ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٥ .

١٠٨- " مختصر التاريخ " ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة
الحكومة ، بغداد ١٩٧٠ .

ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
١٠٩- " البداية والنهاية في التاريخ " ، مكتبة المعارف ، بيروت
١٩٦٦ .

ماري بن سليمان ،

١١٠- " اخبار فطارة كرسى المشرق من كتاب المجلد " ، روما
١٨٩٩ .

الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
١١١- " الاحكام السلطانية والولايات الدينية " ، مطبعة مصطفى
الهاشمي الحلبي بمصر ١٩٦٠ .

ابن المستوفي ، شرف الدين بن ابي البركات بن احمد الاربلي (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)

- ١١٢ - " تاريخ اربل " ، تحقيق سامي السيد خمس ، منشورات
وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، ١٩٨٠ .

المقدسي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)

- ١١٣ - " احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم " ، لايدن ١٩٠٩ .

المقري : احمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)

- ١١٤ - " نفع الطيب " ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،
مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٩ .

المقريزي ، احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

- ١١٥ - " السلوك لمعرفة دول الملوك " ، تحقيق محمد مصطفى
زيادة ، القاهرة ١٩٥٦ .

ابن المعمار ، ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)

- ١١٦ - " كتاب الفتوة " ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد واخرون ،
مطبعة شفيق ١٩٥٨ .

ابن ماتي ، ابو المكارم اسعد بن الخطير (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)

- ١١٧ - " قوانين الدواوين " ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة
١٩٤٣ .

المنذري ، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)

- ١١٨ - " التكملة لوفيات النقلة " ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف
ح ١ - ح ٤ ، مطبعة الاداب ، النجف ١٩٦٩ - ١٩٧١ .
ح ٥ - ح ٦ ، القاهرة ١٩٧٥ - ١٩٧٦ .

/ ابن منقذ : ابو مظفر اسامة بن مرشد الكليني (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)
١١٩ - " كتاب الاعتبار " ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ، ١٩٣٠ .

/ المستوفي القزويني : حمد الله ابي بكر بن احمد بن نصر (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م)
١٢٠ - " تاريخ كريدة " ، باهتمام دكتور عبد الحسين نواشمي ،
مؤسسة حاب وانتشارات امير كبير ، ١٣٣٦-١٣٣٩هـ -
(بالفارسية)

ابن النظام الحسيني : محمد بن محمد بن عبد الله اليزدي (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م)
١٢١ - " العرابة في الحكاية السلجوقية " ، ترجمة وتحقيق -
عبد النعيم محمد حسنين وحسين امين ، بغداد ١٩٧٩ .

النظامي العروضي : احمد بن عمر بن علي السمرقندي (الف بين سنتي ٥٥١-٥٥٢هـ)
١٢٢ - " جهار مقالة " ، نقله الى العربية عبد الوهاب عزام ويحيى
الخشاب ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٩ .

نظمي زاد ، مرتضى :
١٢٣ - " كلشن خلفا " ، نقله الى العربية موسى كاظم نسور ،
بغداد ١٩٧١ .

النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)
١٢٤ - " نهاية الارب في فنون الادب " ، دار الكتب المصرية ،
القاهرة ١٩٢٩ .

ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)
١٢٥ - " مفرج الكروب في اخبار بني ايوب " ، تحقيق الدكتور
جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة فواد الاول بمصر
١٩٥٣ .

ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
١٢٦ - " تنمة المختصر في تاريخ البشر " ، المطبعة الحيدريّة ،
النجف الاشرف ١٩٦٩م .

الوطواط : رشيد الدين ابوبكر محمد بن محمد البلخي (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م)
١٢٧ - " مجموعة الرسائل " ، مطبعة المعارف ، القاهرة ١٣١٥هـ .

اليافعي : ابو محمد عبد الله بن اسعد اليمني (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
١٢٨ - " مرآة الجنان وعبرة اليقظان " ، منشورات مؤسسة الاعلمي ،
بيروت ١٩٧٠ .

ياقوت الحموي : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٦٦م)
١٢٩ - " معجم الادباء " ، ٧ أجزاء ، طبعة حرجليوث ، مصر
١٩٢٣ .

١٣٠ - " معجم البلدان " ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت
(بدون تاريخ) .

ثالثا - المراجع الحديثة :

الانباري : عبد الرزاق علي
١٣١ - " النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي " ، النجف
١٩٧٠ .

بارتولد : فلاد يميرو فيتش
١٣٢ - " تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي " ، نقله
عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ١٩٨١ .

الباحسين : الدكتور علي عبد الرحمن

١٣٣- " تاريخ مكة في العصر العباسي " ، دراسة مكتوبة بخط يسهـ

محفوظة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم

" ٢٤٤ ب / ٩٥٣ ر ٠٥ " .

بروكلمان : كارل

١٣٤- " تاريخ الادب العربي " ، نقله الى العربية عبد الحليم منتصر

والدكتور يعقوب بكر ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥-١٩٧٧ .

تامارا : تاليوت رايس

١٣٥- " السلاجقة " ، تاريخهم وحضارتهم " ، ترجمة لطفي الخـوري

وابراهيم الداقوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٨ .

تحسين حميد مجيد : الدكتور

١٣٦- " المعتضد بالله " ، بغداد ١٩٦٩ . رسالة مقدمة الى كلية

الاداب بجامعة بغداد لنيل درجة الماجستير (مطبوعة بالالسة

الكاتبه) .

ثابت : نعمان

١٣٧- " الجندية في الدولة العباسية " ، مطبعة بغداد ١٩٣٩ م .

جارشلي : اسماعيل حقي اوزون

١٣٨- " امراء مكة في العهد العثماني " ، ترجمة الدكتور خليل عيسى

مراد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨٥ .

جب : هاملتون

١٣٩- " دراسات في حضارة الاسلام " ، ترجمة الدكتور احسان عباس

واخرون ، بيروت ١٩٧٤ .

الجميل : الدكتور رشيد

- ١٤٠- " دولة الاتابكة في الموصل " ط ١ ، بيروت ١٩٧٠ .

حسن : الدكتور حسن ابراهيم

- ١٤١- " تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي " ، القاهرة

١٩٦٧ .

حسين أمين : الدكتور

- ١٤٢- " تاريخ العراق في العصر السلجوقي " ، مطبعة الارشاد ،

بغداد ١٩٦٥ .

الحسيني : محمد باقر

- ١٤٣- " العملة الاسلامية في العهد الاتابكي " ، مطبعة دار الجاحظ ،

بغداد ١٩٦٦ .

حلمي : الدكتور احمد كمال الدين

- ١٤٤- " السلاجقة في التاريخ والحضارة " ، الكويت ١٩٧٥ .

الخالدي : الدكتور فاضل

- ١٤٥- " الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس

الهجري " ، دار الاديب ، بغداد ١٩٦٩ .

- ١٤٦- " النظم في العراق في اواخر الدولة العباسية " ، رسالة مقدمة

الى كلية الاداب بجامعة عين شمس لنيل درجة الدكتوراه

، مطبوعة بالالة الكاتبة .

الحضري بك : محمد

- ١٤٧- " محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية " ، مطبعة الاستقامة ،

القاهرة ١٣٧٦ هـ .

خليل : الدكتور عماد الدين

- ١٤٨- " عماد الدين زنكي " ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل
• ١٩٨٥

الدوري : الدكتور عبد العزيز

- ١٤٩- " دراسات في العصور العباسية المتأخرة " ، بغداد ١٩٤٥ •
١٥٠- " مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي " ، بيروت ١٩٨٠ •

دوزي : رينهارت

- ١٥١- " المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب " ، ترجمة الدكتور
أكرم فاضل ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ١٩٧١ •

رنسيان : ستيفن

- ١٥٢- " تاريخ الحروب الصليبية ، نقله الى العربية الدكتور البساس
العربي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ •

الزهراني : محمد مسفر

- ١٥٣- " نظام الوزارة في الدولة العباسية " ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
• ١٩٨٠

السرناجوي : عبد الفتاح

- ١٥٤- " الخلافة العباسية ، اضحلالها وسقوطها " ، مطبعة عطاي
١٩٥٥ (ط ٠ السادسة) •

السوداني : الدكتور مزهر عبد

- ١٥٥- " الشعر العراقي في القرن السادس الهجري " ، بغداد ١٩٨٠ •

سوسة : احمد سوسة و مصطفى جواد

- ١٥٦- " دليل خارطة بغداد " ، بغداد ١٩٥٨ .

ضييف : شوقي

- ١٥٧- " تاريخ الادب العربي " ، ج ٥ ، دار المعارف بمصر

• ١٩٨٠

عاشور : الدكتور سعيد عبد الفتاح

- ١٥٨- " الحركة الصليبية " ، ط ١ ، مطبعة لجنة البيان العربي

• ١٩٦٣

العبيد : عبد الكريم توفيق

- ١٥٩- " الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط

بغداد " ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ١٩٧٦ .

العبيد : نافع توفيق

- ١٦٠- " الدولة الخوارزمية " ، مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٧٨ .

عبد النعيم حسنين : الدكتور

- ١٦١- " سلاجقة ايران والعراق " ، القاهرة ١٩٥٩ .

الغامدي : الدكتور سعد بن محمد

- ١٦٢- " اوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي " ، بيروت

• ١٩٨٣ •

فتاح : الدكتور مرفان عبد المجيد

- ١٦٣- " نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها " ، بيروت ١٩٧٤ .

فهد : الدكتور بدري محمد

- ١٦٤- " تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير " ، مطبعة الارشاد ،
بغداد ١٩٧٣ .

- ١٦٥- " العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري " ، بغداد ١٩٦٧ .

فهمي عبد الرزاق سعد :

- ١٦٦- " العامة في بغداد " ، بيروت ١٩٨٣ .

فوزي : الدكتور فاروق عمر

- ١٦٧- " الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة " ، دار الخليج
للطباعة ، الشارقة ١٩٨٣ .

القزاز : الدكتور محمد صالح داود

- ١٦٨- " الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير " ،
مطبعة القضاء ، النجف ١٩٧١ .

كاهن : كلود

- ١٦٩- " تاريخ العرب والشعوب الاسلامية " ، نقله الى العربية
بدر الدين القاسم ، بيروت ١٩٧٧ .

- ١٧٠- " الكيان السياسي " ضمن كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة
الاسلامية ، لنون جي . كرونباوم . ترجمة صدقي حميد ،
بغداد ١٩٦٦ .

لمستراح : غي

- ١٧١- " بغداد في عهد الخلافة العباسية " ، ترجمة بشير يوسف
فرنسيس ، المطبعة العربية ، بغداد ١٩٣٦ .

متر : ادم

- ١٢٢- " الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى " ، نقله السبى
العزبية محمد عبد الهادى ابوريدة ، القاهرة ١٩٥٢ .

مالكي : سليمان عبد الغنى

- ١٢٣- " بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة
العباسية في بغداد " ، الرياض ١٩٨٣ .

المعاضيدى : الدكتور عبد القادر

- ١٢٤- " واسط في العصر العباسي " ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ،
بغداد ١٩٨٣ .

ناجي : الدكتور عبد الجبار

- ١٢٥- " الامارة المزدية " ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ١٩٧٠ .

النجار : محمد رجب

- ١٢٦- " حكايات الشطار والعياريين في التراث العربي " ، الكويت
١٩٨١ .

هنتر : فالتر

- ١٢٧- " المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري " ،
ترجمة كامل العلي ، عمان ١٩٧٠ .

رابعاً - المراجع الاجنبية :

Arnold, Sir Thomas W.

1. "The Cliphate" London 1965

Bosworth, C.E.

2. "Islamic Dynasties" Edinburgh University Press 1976.
3. "The political and dynastic history of the Iranian world" in the Cambridge history of Iran, Vol. 5 pp. 1-292.

Cahen, C.

4. "Atabak" in E.I. 2nd Edition, Vol. I, pp. 731-733.
5. "Ikta" in E.I. 2nd Edition, Vol. III, pp. 1080-1091
6. "Pre-Ottoman Turkey" London 1968

Muri, W.

7. "The Caliphate : Its Rise, Decline and Fall" Khayats, Beirut 1963.

Lanepool, S.

8. "Catalogue of oriental coins in the British Museum" Vol. III, London 1877
9. "The Mohammadan Dynasties" Khayats, Beirut 1966

Lambton, A.K.S.

10. "Internal Strusture of the seljuq Empire" in the Cambridge history of Iraq" Vol. 5 pp. 203-283.

Lewis, B.

11. Government, society and economic life under the Abasids and Fatameds" in the Cambridge medieval history, Vol. IV. pp. 639-661.

Sayer, I.M.

12. "The Empire of the Salcuqids of Asia Minor" in the Journal of Near Eastern Studies. Vol. 10, 1951, pp. 268-280.

Zettersteen, K.V.

13. "Al-Muktafai" in E.I. old Edition, Vol. III pp. 719-720.

خامسا — البحوث والمقالات :

جواد : الدكتور مصطفى

- ١ — " الربط البغدادي واثرها في الثقافة الاسلامية " ، مجلة
سومر ، م ١٠ ، ح ١ لسنة ١٩٥٤ .
٢ — " قبيلة جاران الكردية " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ،
م ٤ ، ح ١ لسنة ١٩٥٦ .
٣ — " نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها " ، مجلة الاعتدال
البغدادي ، م ٢ ، لسنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ .

خضباك : الدكتور جعفر

- ٤ — " القضاء في العراق في العصر السلجوقي " ، مجلة الجمعية
التاريخية ، العدد ٣ ، لسنة ١٩٧٤ (بغداد) .

العلي : الدكتور صالح احمد

- ٥ — " قضاء بغداد في العصر العباسي " ، مجلة المجمع العلمي
العراقي ، م ١٨ ، لسنة ١٩٦٩ .

غنيمة : يوسف

- ٦ — " النفود العباسية " ، مجلة سومر ، م ٩ ، ح ١ لسنة ١٩٥٣ .

فوزى : الدكتور فاروق عمر

- ٧ - " دور اهل ميسان في الدفاع عن عروبة العراق " ، مجلة المورد ، م ١٥ ، عدد ٣ لسنة ١٩٨٦ .

المشهداني : الدكتور محمد جاسم

- ٨ - " نهاية النفوذ السلجوقي في العراق " ، مجلة المورخ العربي ، م ٢٥ لسنة ١٩٨٤ .

مصطفى : الدكتور شاكر

- ٩ - " طغبتكين رأس الاسرة البورية ومؤسس النظام الاتابكي " ، مجلة الاداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٢ لسنة ١٩٧٢ .

مكاربوس كتار

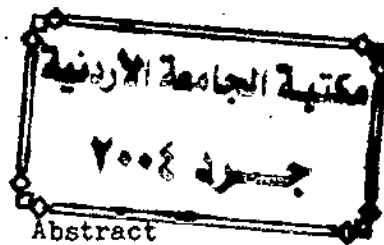
- ١٠ - " بغداد في القرن الرابع الهجري " ، مجلة المورد ، م ٢ ، ح ٢ ، لسنة ١٩٧٣ .

النقشبندی : ناصر

- ١١ - " الديثار العباسي " ، مجلة سومر ، م ٢ ، ح ٢ ، لسنة ١٩٤٦ .

1-317

Library of University of Jordan - Center of Theology
Reserve



Abbassid Caliphate went through a setback in the middle of the third century Hijra due to the predominance of foreign elements in the army and due to their intervention with the affairs of Abbassid Caliph. This was followed by the reign of the Buwayhid in Iraq; thus depriving the Caliph of his power and they had sustained the Caliphate for merely political consideration. They were followed by Seljuks who had done what the Buwayhid had done.

It must be noted here that the Caliphate did not make a total submission to the factors of feebleness and weakness. Rather, it went on striving to retrieve back the power taken by foreign rulers. Iraq, however, enjoyed the opportunity of having competent leaders who, being very much characterized with political prowess, and with the support of people in Baghdad, succeeded to bring back the sovereignty of the Caliphate and liberate Iraq. The period, therefore, witnessed a real period of prosperity.

Most scholars considered the period of Mutathid reign (279-289H)/(892-901) and that of al-Nassir (575-622H)/(1179-1225) as one of the most distinguished periods, ignoring therefore a significant period between the above two periods where the Caliphate flourished; that the reign of al-Muktafi who waged, backed by people in Baghdad, ferocious battles against Seljuk invaders in order to restore the political dominance of the Caliphate and to reject the foreign Seljuk rule. He was able to level a strong blow to the Seljuk existence in Iraq, thus managing to bring back what the Caliphate lost in terms of sovereignty and respect

The role of the Muktafai in eliminating the Seljuks existence is dealt within chapter two. The chapter also considers the Caliph's role in buidling up the army which had its due significance in liberating Iraq. It also includes an exposition of the public opinion about the Caliphate.

Chapter three deals with the relationship the Abbassid Caliphate conducted with Islamic emirates and city state, the stance of the central authority represented by the Caliph himself, together with his status and how far spiritually influential he is as well as what is left of his power on these emirates.

Chapter four deals with administration and institutions during the age of al-Muktafai and what they went through by the virtue of his support such as the ministry, the army which was rebuilt after a series of failures.

Finally, chapter five presents a study of the cultural and scientific aspects in terms of theology, literature and philology as well as the prominent figures and how much they contributed to the development of these fields in addition to their books and mansuscripts. The chapter also includes something on the scientific trip to Baghdad since it is the most important cultural centre in the Islamic World.

throughout the Bawayhid and Seljuk domination. He also managed to enhance the power of the Caliphate over all parts of Iraq after it has been released from the clutches of foreign invaders. His age was undoubtedly the beginning of an age which paved the way for other Caliphs to have access to rule without being disturbed by an influential foreign power that may exercise its foreign domination on the Caliphate or it may meddle with its affairs. The struggles waged by al-Muktafai to release Iraq from Seljuk's rule have been glossed over while lights have been cast on Caliphs who were either preceding him or coming after.

The significance of this study lies in the remarkable role played by al-Muktafai in confronting the Seljuki rule and doing away with it in Iraq despite the harsh circumstances that the caliphate went through, he thus managed to win the sympathy of the people in Baghdad - they played a leading role in coping strictly with the Seljuki domination and in having a warm response to the calls made by the Caliph to defend Baghdad.

This study falls into five chapters: chapter one is concerned with the political, economic and social situation and what the Caliphate suffered during the Seljuki hegemony. It also includes a survey of the serious attempts made by the Caliphate to get rid of the foreign rule since this period comes before the period the study is concerned with. That is because it sheds light on the procedures adopted by the Caliphate in confronting the Seljuks. As such, the chapter includes a brief sketch of the life of the Caliph in question, along with his succession to the Caliphate and the problems he faced during the early years of his reign.